

مجلة لسانيات العربية وآدابها

Arap Dilbilimi ve Edebiyatı Dergisi

Journal of Arabic Linguistics and Literature

E-ISSN: **2718-0468**

مجلة نصف سنوية دولية محكمة

International Refereed Biannual Journal /Uluslararası altı aylik hakemli dergi

Volume:4, Issue:8, October 2023 / Cilt : 4, Sayı :8 Ekim 2023

المجلد (٤) العدد (٨) أكتوبر ٢٠٢٣



ضاد
ḌÂD

مجلة لسانيات العربية وآدابها

Arap Dilbilimi ve Edebiyatı Dergisi

Journal of Arabic Linguistics and Literature

E-ISSN: 2718-0468

مجلة نصف سنوية دولية محكمة

International Refereed Biannual Journal /Uluslararası altı aylık hakemli dergi

Volume: 4, Issue: 8, October 2023 / Cilt : 4, Sayı 8: Ekim 2023

المجلد (٤) العدد (٨) أكتوبر ٢٠٢٣



مجلة لسانيات العربية وآدابها

Arap Dilbilimi ve Edebiyatı Dergisi

Journal of Arabic Linguistics and Literature

E-ISSN: 2718-0468

دورية (نصف سنوية) دولية محكمة، تعنى بالبحوث والدراسات المهتمة باللغة العربية وآدابها، بمختلف تخصصاتها المعرفية ومناهجها البحثية، وكذلك بالدراسات المعنية بتعلمها وبتعليمها لأبنائها ولغير الناطقين بها.

An international (semi-annual) journal dealing with research and studies interested in Arabic language and literature, with its various knowledge disciplines and research curricula, as well as studies concerned with its education to its parents and non-native speakers.

Çeşitli bilgi uzmanlık alanları ve araştırma yöntemleriyle Arap Dili ve Edebiyatı'yla ilgilenen çalışma ve araştırmaların yanı sıra ana dili Arapça olan ve olmayanlarin Arapça eğitimi ve ögrenimiyle ilgilenen uluslararası, hakemli ve altı aylık süreli yayın.

E mail / E Posta / البريد الإلكتروني

info@daadjournal.com

daad@daadjournal.com

daaddergisi@gmail.com

Website / Web sitesi /الموقع الإلكتروني

www.daadjournal.com

Advisory Board / Danışma Kurulu / الهيئة العلمية والاستشارية

Advisory Board / Danışma Kurulu / الهيئة العلمية والاستشارية

Reviewers of this İssue / Sayının Hakemleri / هيئة تحكيم العدد



Arap Dilbilimi ve Edebiyatı Dergisi
Journal of Arabic Linguistics and Literature
E-ISSN: 2718-0468

İÇİNDEKİLER /CONTENTS/ المحتويات

الانزياح التركيبي في مرثيات الخنساء لأخيها صخر

دراسة في أسلوبيات الإبداع وجماليات التشكيل اللغوي

د. إيهاب سعيد إبراهيم إبراهيم
جامعة قسطمونى، تركيا
البريد الإلكتروني: ihabalnagmy@gmail.com
معرف (أوركيد): 0000-0001-8056-257X

بحث أصيل الاستلام: ١٠-٨-٢٠٢٣ القبول: ١٠-١٠-٢٠٢٣ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

موضوع هذه الدراسة هو دراسة الانزياح التركيبي -بصفته سمةً أسلوبيةً تمتازُ بها الكتابةُ الشعريةُ -في الغالب- ويلجأ إليها المبدعُ لإنتاج معانٍ شعرية غيرِ تلك التي تُنتجها الصياغة المعيارية؛ بُغية التمكين في نفس المتلقي لمعنى يقصده، أو زيادة التأثير في وجدانه- في مرثيات الخنساء لأخيها صخر، لما تعكسه هذه المرثيات من تجربة شعرية ووجدانية صادقة لا يُشكُّ في صدقها -بحسب ما تناقلته الأخبار حولها-؛ فكانت عنايةُ الدراسة متوجهةً إلى بيان مدى تأثير ذلك النوع من الانزياح في تمكين معاني الرثاء التي أبدعتها الشاعرة في نفس المتلقي لرثائها، وبيانِ إلى أي حدٍّ أسهم في نقل إحساسها بفجيعتها في فقد أخيها صخر إلى الآخرين.

الكلمات المفتاحية:

الأسلوبية، الانزياح التركيبي، الخنساء، مرثيات الخنساء لأخيها صخر.

للاستشهاد/ **Atif İçin / For Citation:** إيهاب سعيد إبراهيم، إبراهيم (٢٠٢٣). الانزياح التركيبي في مرثيات الخنساء لأخيها صخر، دراسة في أسلوبيات الإبداع وجماليات التشكيل اللغوي. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٢١٩- ٢٤٧ /https://www.daadjournal.com/

Structural Deviation in Al-Khansa's Elegies to Her Brother Sakhr a Stylistic Study of Linguistic Aesthetics

Ihab Said Ibrahim Ibrahim

Assistant Professor, Kastamonu University, Turkey

E-Mail: ihabalnagmy@gmail.com

Orcid: 0000-0001-8056-257X

Research Article Received: 10.08.2023 Accepted: 10.10.2023 Published: 30.10.2023

Abstract:

This article aims to investigate the grammatical deviation in the Al-Khansa's elegies to her brother, Sakhr, as a dominant stylistic feature that often characterizes poetic writing to which the poet resorts in order to produce poetic meanings other than those provoked by standard grammatical rules. And thus it enables her to form a purposful meaning to the recipient, or to harness his conscience. This is because those elegies reflect a true personal poetic and emotional experience according to literarure about Al-Khansa and her elegies. For that reason, the main focus of this study was to elucidate the effect of this type of deviation on generating the connotations of lamentation the poet expresses to the mind of the recipient. In addition, it explores the level of deviation that contributes to conveying her grief due to the loss of her brother, Sakhr, to others. It has become clear to us through the models of structural deviation in the elegies of Al-Khansa about her brother Sakhr, and from the analysis of these models; This stylistic feature (synthetic deviation) appeared in all its forms in al-Khansa's elegies about her brother Sakhr. And each of these types had its impact and role in empowering the meaning of lamentation - in the place and in the context in which it occurred - in the spirit of the recipient of the poetry. This effect and role depends very much on the role of the poetry recipient himself in revealing and accessing this effect, and his sense of structural deviation. As a special creativity in the text that he receives.

Keywords:

Stylistics, Structural Deviation, İnziyâh-ı Terkîbî, Al-Khansa, Al-Khansa's elegies

مقدمة:

تُعنى هذه الدراسة بدراسة ظاهرة الانزياح -بصفتها إحدى الظواهر المميزة للأسلوب عامة والشعر خاصة- في أحد أنواعها وهو الانزياح التركيبي، في شعر الخنساء في رثاء أخيها صخر، وهي إحدى أشهر شواعر العرب ليس في العصر الجاهلي فحسب؛ بل في كل عصور الشعر العربي، ومرجع تلك الشهرة هو ذلك الرثاء الذي طَبَّقتْ به شهرتها الآفاق، فكان أهم ما أبدعته قريحتها، وسمة مميزة لشاعريتها، حتى إن ابن سلام الجمحي(٢٣٢هـ) لم يسلكها إلا في طبقة أصحاب المراثي من طبقاته لشعراء العصر الجاهلي، وجعلها الاسم الثاني فيها ضمن الأسماء التي ذكرها في تلك الطبقة[١].

إشكالية الدراسة وأسئلتها:

تتمثل إشكالية الدراسة في ظاهرة الانزياح التركيبي، ووجودها في مرثيات الخنساء لأخيها صخر، وأشكال هذا الوجود وتنوعاته، وبناء على هذه الإشكالية المذكورة؛ يمكننا صوغ الأسئلة التي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها فيما يلي:

أولا: هل كان لظاهرة الانزياح التركيبي وجود في شعر الخنساء في رثاء أخيها صخر؟

ثانيا: كيف وظَّفت الخنساء الانزياح التركيبي بصوره المختلفة لتمكين شعريتها من ناحية ومعاني رثائها لأخيها صخر من ناحية أخرى في نفس المتلقي؟

ثالثا: ما الأبعاد البلاغية والجمالية التي أفادها الانزياح التركيبي في مواضع حدوثه في مرثيات الخنساء لأخيها صخر؟

(١) انظر: طبقات فحول الشعراء: ٢٠٣/١، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني جدة.

هدف الدراسة:

عطفا على ما قدَّمنا من إشكالية الدراسة وأسئلتها؛ فإن الدراسة تهدف إلى رصد هذه ظاهرة -الانزياح التركيبي- في مرثيات الخنساء لأخيها صخر، وعرض نماذج لصورها المتنوعة وأشكالها المختلفة فيها مع تحليل تلك النماذج، وذلك للكشف عن مدى تأثير هذه الظاهرة في تلك المرثيات بلاغيًّا وجماليًّا، وكيف استفاد منها شِعرُ الخنساء في الرثاء في إيصال مكنونات نفسها حول فقد أخيها إلى الآخرين، وكيف أسهمت هذه الظاهرة كذلك في التمكين لشعرية الخنساء في نفس المتلقي من خلال ما أضفته هذه الظاهرة من معان ثوان إلى تعبيرات الشاعرة وصورها وأسلوبها الشعري.

حدود البحث في الدراسة:

تدور الدراسة في حدود مرثيات الخنساء لأخيها صخر، معتمدة في تلك المرثيات على نسخة ديوان الخنساء بشرح أبي العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب (ت٢٩١هـ)[1]، ذلك من حيث استخراج ظاهرة الانزياح والوقوف على نماذجها وأمثلتها، أما من حيث تحليل نماذجها فتمتد حدود البحث للتراث البلاغي العربي القديم، والدراسات البلاغية الحديثة التي تفيد في فهم المرامي البلاغية التي تكمن وراء الظاهرة في مواضع ورودها المختلفة في مرثيات الخنساء لأخيها صخر.

منهج البحث في الدراسة:

اتبعت الدراسة منهجا يقوم على إجرائَيْ الاستقراء والتحليل المتمثلين فيما يلي:

---

(١) حققه الدكتور أنور أبو سويلم، جامعة مؤتة، ونشرته دار عمار بالأردن عام ١٩٨٨م.

أولا: جمع نماذج الانزياح التركيبي وأمثلته من مرثيات الخنساء لأخيها صخر من خلال قراءة تلك المرثيات قراءة متأنية مدققة عدة مرات، وتصنيف هذه النماذج من حيث نوع الانزياح الحاصل فيها.

ثانيا: تحليل نماذج كل نوع منها في ضوء معطيات الدرس البلاغي القديم والحديث، ومحاولة الكشف عما فيه من أبعاد بلاغية من خلال استقراء كل نموذج في سياقه الوارد فيه في تلك المرثيات.

خطة البحث:

جاءت الدراسة بعد المقدمة السابقة في أربعة عناوين رئيسة، كان أولها: **الانزياح (المصطلح والمفهوم والأنواع)، وخُصِّصَ** للحديث -باختصار- عن ظاهرة الانزياح تعريفا، وبيانا لأنواعها وأثرها في الشعر، وأما العنوان الثاني فكان: **الانزياح بالتقديم والتأخير**، وكان الثالث: **الانزياح بالحذف أو الزيادة**، وكان الرابع والأخير: **الانزياح بالالتفات**، وقد ذُكِر تحت هذه العناوين الثلاثة الأخيرة نماذج مختلفة لأنواع الانزياح المذكورة في مرثيات الخنساء لأخيها صخر، مع تحليل تلك النماذج تحليلا يكشف عن جمالياتها وأبعادها البلاغية، ثم **خُتِمَتْ** الدراسة بخاتمة تضمنت أهم نتائجها وما توصلت إليه، ثم قائمة المصادر والمراجع التي أفادت منها.

١- الانزياح (المصطلح والمفهوم والأنواع):

١-١- مصطلح الانزياح وما يشترك معه من مصطلحات:

لم يكن مصطلح الانزياح مصطلحا وحيدا في الدلالة على العدول عن الواقع الأصل إلى الواقع العرضي على حد تعبير د. عبد السلام المسدي، فكان هناك عدد من المصطلحات التي استخدمها نفر من المشتغلين بالدرس الأسلوبي بديلا عن مصطلح الانزياح، ذكرها الدكتور المسدي كالتالي:

التجاوز- الانحراف- الاختلال- الإطاحة- المخالفة- الشناعة- الانتهاك- خرق السنن- اللحن -العصيان - التحريف[١].

ومن المصطلحات التي استخدمت بمعنى الانزياح أيضا مصطلح: الكسر -الجسارة اللغوية - الغرابة - الابتكار – الخلق، ومنها أيضا: العدول، حتى إن هذه المصطلحات تكاد تجاوز الأربعين مصطلحا[٢].

غير أن مصطلح الانزياح يبقى الأولى من بينها بالاستخدام للدلالة على الظاهرة الأسلوبية التي تعنى بانتقال المبدع من الواقع الأصل إلى الواقع العرضي في تعبيره الإبداعي، ومرد هذه الأولوية -كما يرى الدكتور أحمد محمد ويس- إلى ما يلي[٣]:

١- دقة لفظة (الانزياح) في ترجمة المصطلح الأسلوبي الفرنسي Ecart، إذ إن هذه الكلمة تعني في أصل لغتها البعد.

٢- يمتاز لفظ الانزياح بأن دلالته -إذ يرد في كتب الأسلوبية- منحصرة تقريبا في معنى فني، وهذا يعني أنه مصطلح لا يحمل لبسا من أي نوع كان ثم هو لا يحمل ما يحمله غيره من بعض المصطلحات من ابعاد أخلاقية سيئة تجعل المرء غير مطمئن إليها كما في مصطلح الانحراف مثلا.

١-٢- مفهوم الانزياح:

أشرنا قبل قليل إلى كثرة المصطلحات التي شاركت مصطلح الانزياح في الدلالة الاصطلاحية، "ولئن كان لهذه الكثرة من دلالة فإنما هي تشير إلى مدى أهمية ما تحمله من مفهوم"[١].

---

(١) انظر الأسلوبية والأسلوب: ١٠٠-١٠١.

(٢) انظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ٣٢.

(٣) انظر سبب التفضيل هذا في: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ٥٦.

ولا يبتعد مفهوم الانزياح عن المعنى اللغوي للفظة؛ فقد جاء في الجمهرة في مادة (زوح): "زحت الشَّيْء أزوحه زوحا إِذا أرغته عَن مَوْضِعه ونحيته، وزاح الشَّيْء يزوح ويزيح زيحا وزيحانا إِذا زَالَ عَن مَكَانَهُ وزحته وأزحته أَنا إزاحة وَهُوَ مزوح ومزاح"(٢)، وجعل ابن فارس التنحي والزوال أصل المعنى في المادة كلها، فقال: "الزاء والواو والحاء أصل يدل على تنح وزوال. يقول زاح عن مكانه يزوح، إذا تنحى، وأزحته أنا"(٣).

فكذلك الدلالة الاصطلاحية لمصطلح الانزياح؛ أي المفهوم الذي يدل عليه هذا المصطلح إنما تعني البعد عن الأصل أيضا، وسبقت الإشارة إلى استعمال الدكتور المسدي للواقع الأصل والواقع العرضي للدلالة على ما هو أصل وما هو بعد وزوال وتنح عنه، ليعبر بمصطلح الانزياح عن ذلك البعد والتنحي والزوال عما هو الواقع الأصل.

وبناء على ذلك جاءت التعريفات الرامية إلى بيان المفهوم الذي يدل عليه مصطلح الانزياح كلها دائرة في فلك دلالة البعد عن الأصل أو التنحي والزوال عنه، فمن ذلك مثلا تعريف يوسف أبو العدوس له بأنه: " الخروج عن المعيار لغرض يقصد إليه المتكلم"(٤).

(١) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ٣٣.

(٢) جمهرة اللغة (ز و ح): ١/٥٣٠.

(٣) مقاييس اللغة (ز و ح): ٣/٣٥.

(٤) الأسلوبية الرؤية والتطبيق: ٧.

ويعرفه الدكتور أحمد محمد ويس بأنه: "استعمال المبدع للغةِ مفرداتٍ وتراكيبَ وصورًا استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر"(١).

كما عرفه بعضهم بأنه "انحراف فردي بالقياس إلى قاعدة"(٢).

وعلى هذا المنوال تسير كل التعريفات التي رامت إيضاح مفهوم الانزياح، ومن ثم يمكننا القول بأنها جميعا تدور في فلك الخروج عن المعيار إلى ما يخالفه بقصد التأثير في المتلقي أو إفادة معنى ثانيا غير معنى الكلام الظاهر.

١-٣- أنواع الانزياح:

يقسم الانزياح إلى نوعين رئيسين، وهذان النوعان الرئيسان "تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح، فأما النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللغوية مما سماه كوهن (**الانزياح الاستبدالي**)، وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جارتها في السياق الذي ترد فيه سياقا قد يطول أو يقصر، وهذا ما سمي **بالانزياح التركيبي**"(٣).

وهناك من أضاف نوعا ثالثا إلى النوعين السابقين، وجعله الانزياح الصوتي والإيقاعي، ويقصد به عندهم خروج الشاعر عن القواعد الشعرية المتلقة بالوزن والقافية، والإيقاع عموما(٤).

---

(١) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ٧.

(٢) بنية اللغة الشعرية (جون كوهن) ترجمة محمد الولي العمري: ١٥

(٣) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١١١.

(٤) انظر: الانزياح في شعر سميح القاسم: ٤٤.

والذي يعنينا هنا الانزياح التركيبي الذي هو موضوع هذا البحث؛ وهو ذلك الانزياح الذي يحدث "من خلال طريقة في الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو التركيب أو الفقرة"(١).

ويتنوع الانزياح التركيبي هو الآخر إلى ثلاثة أنواع(٢)، فهناك انزياح تركيبي بالتقديم والتأخير؛ وهناك انزياح تركيبي بمخالفة معيار الأسلوب بالحذف أو الزيادة؛ حذفا وزيادة لا يقتضيهما معيار الأسلوب، وإنما يكونان – أي الحذف والزيادة- لغرض بلاغي يقصد إليه المبدع قصدا، ويهدف من ذلك إلى إحداث معنى ثان للكلام أو للنص المبدَع؛ ليؤكد بذلك الانزياح ذلك المعنى الثاني في نفس المتلقي ويمكِّن له فيه، وهناك انزياح يكون بـ "الانتقال من أسلوب إلى أسلوب انتقالا مفاجئا يستهدف إحداث تأثير فني"(٣)، وهذا النوع من الانزياح يمكن أن يصطلح عليه بـ (الانزياح بالالتفات).

والانزياح التركيبي بأنواعه الثلاثة التي ذكرناها اختصارا هنا هو موضوع هذه الدراسة، ومن ثم يكون لكل واحد منها في مرثيات الخنساء لأخيها صخر وقفة مستقلة، تعنى بذكر نماذج له، وتحليلها في ضوء سياقات ورودها ومعطيات الدرس الأسلوبي.

---

(١) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٢٠.

(٢) ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٢٢، وما بعدها، والانزياح في شعر سميح القاسم: ٤٧ وما بعدها.

(٣) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٢٨.

٢- الانزياح بالتقديم والتأخير في مرثيات الخنساء لأخيها صخر:

يعد تقديم ما حقه التأخير أو تأخير ما حقه التقديم بما يخالف معيارية الأسلوب سواء كان في الشعر أو غيره؛ أكثر ما يمثل الانزياح التركيبي[١].

والتقديم والتأخير المعنيّان هنا هما التقديم والتأخير غير الواجبين من حيث القاعدة النحوية، أو من حيث معيارية بناء الجملة العربية؛ لأن التقديم والتأخير الواجبين وجوبا يقتضيه النظام النحوي العربي يكون الشاعر مضطرا إليهما اضطرارا لا مفر له منهما؛ لأن قواعد بناء الكلام تقتضيهما، ومن ثَمّ فلا يضيفان مزية للشاعر حال حدوثهما في متن إبداعه، ولا يضفيان له خصوصية عليه.

أما التقديم والتأخير حينما يكونان باختيار الشاعر وميله هو بنفسه إليهما من دون أن يكون مضطرا إليهما اضطرارا، ولا أن يفرضهما نظام بناء الكلام عليه؛ فحينها يكونان انزياحا أسلوبيًّا، ويكون وراءهما من المعاني البلاغية ما يستوجب النظر في إبداع الشاعر لالتقاط تلك المعاني واستكناه مراد الشاعر فيها.

ولأهمية باب التقديم والتأخير عُني به البلاغيون القدماء في مؤلفاتهم، وتنوعت أوجه تناولهم له، وممن لفتوا النظر إلى أهميته في الكلام ونظمه عبد القاهر الجرجاني في عبارته الرائقة عنه، التي يقول فيها: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك؛ أنْ قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[٢].

بل إن منهم من عده أمارة الفصاحة والدليل عليها، فيقول الزركشي عنه: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام،

(١) انظر: الانزياح في شعر سميح القاسم: ٤٤.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٠٦.

وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"[١]، ومن ثَمَّ يكون ما يفعله الشاعر من كسر التراتب المعروف للكلام راميا إلى غرض ما، وهنا يكون على المتلقي استفراغ وسعه في النظر في النص الذي بين يديه، والتأمل فيه؛ للوصول إلى مرامي المبدع أو منشئ الكلام فيه.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فإن شاعرة مجيدة فياضة الشاعرية كالخنساء، "تركت دويًّا يملأ سمع الزمان، وشهرة تُتناقل مع الأجيال"[٢]؛ ليس من الطبيعي أن يخلو شعرها من ظاهرة الانزياح بالتقديم والتأخير بصفتها سمة أسلوبية مهمة دالة على تمكُّن الشاعر من اللغة التي يكتب بها، فقد حفلت مرثيات الخنساء لأخيها صخر بنماذج ذلك، وكان منه في مرثياتها لأخيها صخر ما جاء في قولها: [الخفيف]

دق عظمي وهاض مني جناحي   هلك صخر فما أطيق براحا[٣]

فقد جاء المفعولان (***عظمي***) و(***جناحي***) مقدمين على الفاعل الذي هو (***هلك صخر***)؛ ليدل ذلك التقديم للمفعولين على عِظم ما وقع عليها من بلاء جراء موت أخيها، وشدة أثر ذلك عليها، فهي تُرِي الأثر الكبير لذلك المصاب عليها، وتظهره بتقديم ذكره، علاوة على أنه يُلمح في تأخيرها الفاعل الذي هو (هلك صخر) معنى رفضها له، وعدم قبولها إياه بما يجعلها تؤخر ذكره في حديثها، وكأنها تتمنى أن لو كان غير موجودا أصلا.

ومن الانزياح بالتقديم والتأخير أيضا تقديم متعلق الفعل عليه، كما جاء في قولها: [الخفيف]:

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣/٢٣٣.

(٢) الخنساء: ٦٦، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م.

(٣) ديوان الخنساء: ٢٤١.

وبِحِلْمٍ إذا الجهولُ اعتراه يَردَع الجهلَ بعدما قد أشاحا[1]

فنرى تقديم شبه الجملة الجار والمجرور (بحلم) على الفعل الذي يتعلق به (يردع)، فأصل الكلام (يردع الجهل بحلم)، غير أن هذا التقديم أفاد سبق حلمه لجهل الجاهل، وغلبة هذا الحلم على ما سواه من صفات الجهل والطيش التي عند غيره، فكان التقديم هنا أبلغَ في مدحه بهذا الحلم، وأكثر تمكينا لوصفه به -رثاءً له- في نفس متلقي هذا الشعر.

ومن الانزياح بالتقديم والتأخير أيضا تقديم المفعول على الفعل في قولها: [الوافر]

أحاميَكم ورافدَكم تركتم لدى غبراء منهدم رجاها[2]

حيث جاء المفعول به (*أحاميكم*) والمعطوف عليه (*ورافدكم*) سابقين على الفعل (*تركتم*)، فأصل الكلام (أتركتم حاميكم ورافدكم...)؛ لكن تقديم المفعول به هنا يفيد تعظيم شأن المرثي (صخر) بتقديم ذكر أهم صفاته ومناقبه بالنسبة لقومه، حتى يتبين بعد ذلك مدى خطئهم في تركهم إياه، فنَسْجُ الجملة بهذا التقديم يجعل المسئول عنه في سؤال الشاعرة هنا ليس فعل (التَّرك) في ذاته، ولكنه (المتروك) الذي فيه هاتان الصفتان العظيمتان العائدتان بالنفع على قومه الذين تركوه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يفيد التقديم كذلك تقدم ذكره وشأنه على من سواه وما سواه في نفس الشاعرة (أخته)، ومن هنا يكون لهذا الانزياح بالتقديم أثره ودوره في تمكين معنى الرثاء الذي احتواه هذا البيت وسياقه في نفس متلقيه.

ومن الانزياح بالتقديم والتأخير أيضا، تقديم المفعول على الفاعل في قولها: [الوافر]

---

(١) ديوان الخنساء: ٢٤٢.

(٢) ديوان الخنساء: ٢٨٣.

ليبك الخيرَ صخرا من معد ذوو أحلامها وذوو نهاها[١]

فجاء المفعول به في الجملة (*الخير*) مقدما على الفاعل فيها (*ذوو أحلامها*) ليؤكد المعنى ذاته الذي ذكرناه في بعض النماذج السابقة، من أنه تقديم يفيد تقدم المرثي صخر على كل من سواه وكل ما سواه في نفس الشاعرة، علاوة على ما قد يفيده هذا التقديم أيضا من عظم المصيبة وفداحتها بفقد هذا الإنسان الذي هو الخير نفسه بحسب ما وصفته صياغة الشاعرة، فالتقديم هنا إنما للتركيز على أهمية الأمر وعظمه وكبره وتنبيه المتلقي إلى ذلك، وهو ما يخدم غرض الرثاء الذي جاء من أجله هذا الشعر.

ومن التقديم والتأخير أيضا في شعرها ما جاء في قولها: [الخفيف]

وعليهِ أراملُ الحَيِّ والسَّفْـــ ــرُ ومُعْتَرُّهُمْ به قدْ أَلاحا[٢]

حيث قُدِّم الخبرُ شبه الجملة (*عليه*) على مبتدئه المعرفة (*أرامل الحي*)، وهو من التقديم والتأخير الجائز، فليس ثمة ضرورة نحوية تقتضيه أو تفرضه على الشاعرة، وإنما اختارته بإرادتها، وكان لها ألا تقدم الخبر على المبتدأ، غير أن هذا التقديم هنا يسهم في إبراز مدى عظم تلك المصيبة التي حلت على قوم المرثي بموته، بما يفيده من قصر إعالة الأرامل والسفر والمعترّ عليه وحده دون غيره، وهو ما لا تنهض به الصيغة المعيارية للجملة التي يكون فيها كل من المبتدأ والخبر في موضعهما الطبيعي كما لو كانت الجملة: (أرامل الحي عليه)، ومن ثم نرى أن التقديم والتأخير الذي حدث هنا جعل هذه المهمة التي يذكرها البيت من مآثره خصيصة له وحده، لا يشركه فيها غيره، ومن ثم فلا أحد من بعده لهؤلاء

(١) ديوان الخنساء: ٢٨٤.

(٢) ديوان الخنساء: ٢٤٢.

الأرامل ولا السفر ولا المعترين، وبهذا يتضح لنا كيف أن الانزياح بالتقديم والتأخير هنا أسهم في تمكين معنى الرثاء المذكور في البيت وتأكيده في نفس المتلقي.

٣- الانزياح بالحذف والزيادة:

ذكرنا أن من الانزياح التركيبي ما يكون بالحذف أو الزيادة في أصل الكلام، فيخرج الكلام عن الأصل الذي يفرضه المعيار اللغوي عليه، ويكون ذلك الخروج لغاية بلاغية يرمي إليها الشاعر ليمكن بها في نفس المتلقي لشعره أو لخطابه الفني معنى يريده.

٣-١- الانزياح بالحذف:

يكون الانزياح بالحذف بحذف أحد عناصر الكلام لغير ضرورة معيارية، فالشاعر أو المبدع هو الذي لم يذكر ما لم يذكره اختيارا منه وليس جبرا على عدم ذكره، ومن هنا تأتي فائدة الحذف البلاغية، وأهميته فيما يضفيه من معان ثوان، حتى إنه يفضل في بعض الأحيان الذكر والإبانة، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون بيانًا إذا لم تبن"[١]، حتى إن من البلاغين من أرجع أصل بلاغة اللغة إلى الحذف، فيقول د. محمد أبو موسى: "وفي طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره، أو ما يرشد إليه سياق الكلام، أو دلالة الحال، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ والسامع، وتعول على إثارة حسه وبعث خياله، وتنشيط نفسه، حتى يفهم بالقرينة، ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير"[٢].

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٤٦.

(٢) خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: ١٥٣.

أما عن الانزياح بالحذف في شعر الخنساء فقد كان سمة أسلوبية بارزة في شعرها في الرثاء حذفها للمبتدأ الذي غالبا ما يكون هو المرثي، ليفهم من سياق الكلام، ومن ذلك مثلا، قولها: [الكامل]

حامي الحقيقةِ والمجيرُ إذا ما خِيفَ جَدُّ نوائبِ الدَّهرِ(١)

فجاء في شرح ثعلب عن هذا البيت: "حامي الحقيقة: تعني صخرا"(٢)، وإذا علمنا أن هذا البيت هو ثاني بيت في القصيدة التي جاء فيها، وأن الذي قبله لم يأت على ذكر صخر، نكون أمام خبر حذف مبتدؤه هنا، ومثل هذا الانزياح قلنا إنه كثير في شعر الخنساء في الرثاء، فمنه كذلك قولها: [المتقارب]

رفيعُ العمادِ طويلُ النجا (م) دِ سادَ عشيرتَه أمردا(٣)

حيث جاء كل من (رفيع العماد) و (طويل النجاد) خبرين لمبتدأين محذوفين تقديرهما (هو) عائد على صخر.

ومن هذا الانزياح بالحذف أيضا، قولها: [البسيط]

خَطَّـابُ مَفْصَـلَةٍ فَـرَّاجُ مُظْلِمَـةٍ		**إِنْ هابَ مُفْظِعَة أَتَّى لَها بابا**
حَمّـالُ ألويـةٍ شَـهّادُ أَنْجِيَـةٍ		**قَطَّاعُ أَوْدِيةٍ للوِتْرِ طَلَّابًا**
سُـمُّ العُـدَاةِ وفَكَّـاكُ العُنـاةِ إذا		**لاقى الوَغَى لَمْ يَكُنْ لِلْقِرْنِ هَيَّابًا**(٤)

(١) ديوان الخنساء: ١١٠

(٢) ديوان الخنساء: ١١٠

(٣) ديوان الخنساء: ١٤٣.

(٤) ديوان الخنساء: ١٥٥-١٥٧.

ففي هذه الأبيات أيضا جاء قولها: (*خطاب مفصلة*) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره الضمير (هو)، العائد على المرثي، وكذلك الأمر في الأخبار: (*فراج مظلمة*)، و(*حمال ألوية*)، و(*شهاد أنجية*)، و(*قطاع أودية*)، و(*سم العداة*)، و(*فكاك العناة*).

ومن ذلك أيضا قولها: [الكامل]

السـيدُ الجَحْجـاحُ وابـ	(م)	ـنُ السادةِ الشُّمِّ الجَحاجِحْ
الحامـلُ الثِّقـلَ المهـمّ	(م)	مِـنَ المُلمّـاتِ الفـوادِحْ[1]

فكل من البيتين خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو) يعود على المرثي.

والانزياح بالحذف في هذه الأمثلة وما شابهها يدل على مكانة المرثي في نفس الشاعرة، فكأنما هي تقول بهذا الحذف أنه لا أحد يستحق الوصف بهذه الصفات سواه، فإذا ما أخبرت بهذه الصفات العظيمة عن أحد؛ فالجميع يعلم أنه المعنيُّ دون غيره لأنه أحق بها ممن عداه، علاوة على ما قد يفيده هذا الانزياح بالحذف أيضا من عظم شأن المرثيّ وعلو قدره بين القوم جميعا، فهو في غير حاجة إلى النص على أنه المعني بالحديث أو التصريح باسمه كما هو حال الكبار والزعماء المشاهير.

٣-٢-الانزياح بالزيادة:

على عكس الانزياح بالحذف يأتي الانزياح بالزيادة، وذلك من خلال أن يزيد الشاعر على الكلام ما يكون معنى الكلام غير مختل بدونه؛ غير أنه تبقى لتلك الزيادة

(١) ديوان الخنساء: ٣٣٠.

معناها الثاني الزائد على المعنى الأصلي للكلام، ولها فائدتها البلاغية التي إذا ما خلا الكلام من تلك الزيادة غابت تلك الفائدة عنه، وعن الزيادة لفائدة بلاغية يقول ابن الأثير: "وهذا موضع من علم البيان كثيرة محاسنه، وافرة لطائفه، والمجاز فيه أحسن من الحقيقة؛ لمكان زيادة التصوير في إثبات وصف الحقيقي للمجازي، ونفيه عن الحقيقي"(١).

ومن الانزياح بالزيادة في مرثيات الخنساء لأخيها صخر ما جاء زيادةً بالتكرار، كما في قولها: [البسيط]

يا عَـيْنُ مالَـكِ لا تبكـين تَسْـكابا		إِذْ رابَ دَهْرٌ وكان الدهرُ رَيَّابًا
فـــابكي أخــاك لأيتــامٍ وأَرْمَلَــةٍ		وابكي أخاك إذا جاورت أجنابا
وابكي أخاك لخيلٍ كالقَّطا عُصَبٍ		فقَـدْنَ لمَّـا ثَـوَى سَـيْبًا وَأَنْهابـا
وابكيـه للفـارسِ الحـامي حَقيقتَـه		وللضَّـريكِ إذا مـا جـاء مُنتابـا(٢)

فنرى هنا تكرار الجملة (*ابكي أخاك*) ثلاث مرات في البيتين الثاني والثالث، أما فعل الأمر (*ابكي*) فقد جاء في الأبيات الأربعة أربع مرات بالإضافة إلى مضارعه الذي جاء في البيت الأول (*تبكين*)، ليكشف كل هذه التكرار عن مدى حزن الشاعرة على فقْد مرثيِّها (أخيها)، فهي تلح بهذه التكرار على نفسها بالبكاء مرات ومرات، فهو بكاء متواصل غير متناه، وبكاء على صفات ومآثر عديدة، وكأنها تبكي أشخاصا عديدين، وليس شخصا واحدا، والأمر ذاته يمكن لمحه بوضوح في مواضع أخرى من مراثيها لصخر، كما في قولها: [البسيط]

---

(١) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٢٤/٢، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

(٢) ديوان الخنساء: ١٤٨-١٥١.

يا عين جودي بدمع منك مِغْزارِ وابكي لصخر بدمع منكِ مدرار[1]

وكذلك في قولها: [السريع]

يا عين جودي بالدموع الهُمول وابكِ لصخرٍ بالدموعِ الهُجُول[2]

في البيت الأول تكررت عبارة (***بدمع منك***) في البيت مرتين، وتكرر الأمر البكاء -معنى- كذلك مرتين، في قولها (جودي) في الشطر الأول، و(ابكي) في الشطر الثاني، وكذلك تكرر صفة الدمع بالكثرة الشديدة معنى في البيت في قولها (مغزار) في الشطر الأول، وقولها (مدرار) في الشطر الثاني.

وفي البيت الآخر؛ تكررت عبارة (بالدموع) فجاءت مرة في كل شطر، وكذلك تكرر فعل الأمر بالبكاء – معنى-، فجاء في الشكر الأول: (جودي)، وفي الشطر الثاني (ابك) وكذلك تكررت صفة الدمع بالمعنى (الهمول)، و(الهجول).

فكل هذا التكرار دالٌّ -كما ذكرنا سابقا- على إلحاحها على نفسها في البكاء عليه، حتى إنها لا تدع فرصة ولا تُفوِّت ثانية من دون البكاء على ما أصابها في أخيها، لهول ذلك في نفسها، حتى إن البيتين المذكورين جاء كل منهما عاجًّا بألفاظ البكاء واستدراره وغزارته.

ومن الانزياح بالزيادة بالتكرار أيضا ما جاء قي قولها: [المتقارب]

تعرقني الدَّهر نهسا وحزا وأوجعني الدهرُ قرعا وغمزا[3]

(١) ديوان الخنساء: ٢٩٠.

(٢) ديوان الخنساء: ٣٠٦

(٣) ديوان الخنساء: ٢٧٣.

فتكررت لفظة (*الدهر*) مرتين في البيت، وهذا التكرار بالتصريح بذكره اسما ظاهرا في المرة الثانية دون التعبير عنه بالضمير بعد ذكره صريحا في المرة الأولى؛ دالٌّ على شدة مصابها في أخيها وهول تلك المصيبة، وكأن الدهر رماها بالمصيبة مرتين، فهي ليست مصيبة واحدة بل مصيبتان.

ومن الانزياح بالزيادة بالتكرار في مراثي الخنساء لأخيها صخر تكراره لاسمه في مواضع متعددة، منها مثلا قولها: [البسيط]

يا صخرُ وراد ماء قد تناذرَه		**سوم الأراجيل حتى ماؤه طحل**
يا صخرُ تنفح بالسجل السجيل إذا		**حان القداح وتم النائم الخضل**
يا صخر أنت فتى مجد ومكرمة		**تغشى الطعان إذا ما أحجم البطل**(١)

ومنها كذلك قولها: [البسيط]

وإن صخرا لكافينا وسيدنا		**وإن صخرا إن نشتو لنحار**
وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا		**وإن صخرا إذا جاعوا لعقار**(٢)

والتكرار هنا كان لاسم المرثي (*صخر*)؛ حيث جاء في مجموعة الأبيات الأولى ثلاث مرات، مرة في كل بيت منها، وجاء في البيتين الأخيرين أربع مرات، مرة في كل شطر، وتكرار الاسم بهذا الصورة يدل على مدى تعلق الشاعرة به تعلقا شديدا؛ حيث إنه لا تفتر عن ترداد اسمه ما سنح لها ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يدل على استئناسها بذكر اسمه من وحشة فقده،

(١) ديوان الخنساء: ٣١٣-٣١٤.

(٢) ديوان الخنساء: ٣٨٥.

وهول مصيبة ذلك عندها، كأن ذكر ذلك الاسم ملاذ لها من تلك المصيبة، وكأنها تتلمس شيئا من الراحة مما تعانيه بسبب فقدها إياه وحزنها عليه بترديد اسمه وتكراره كل هذا الترديد والتكرار.

وقد يكون انزياح الزيادة ليس بالتكرار، وإنما بالإطناب وذكر الجمل الاعتراضية، ومن ذلك ما جاء في قولها: [الخفيف]

لا تخالي أنـي نسـيت، ولا بُـلّ		**فؤادي ولو شربت القَراحا**
ذكــرَ صـــخر إذا ذكــرتُ نــداه		**عِيل صبري برُزْئِه ثم باحا[1]**

فنرى هنا فصلا بين الفعل وفاعله (**نسيت**) من ناحية والمفعول به (**ذكرَ**) من ناحية أخرى، بزيادة عبارة (***ولا بل فؤادي، ولو شربت القراحا***) بينهما، وهي عبارة يمكن عدها جملة اعتراضية، بين العنصرين المذكورين، هدفها تأكيد الشاعرة استحالة نسيانها ذكر مرثيها، وعدم انطفاء نار حزنها عليها، حتى وإن شربت الماء العذب القراح.

ومن الانزياح بالزيادة بالإطناب والتفصيل أيضا قولها: [البسيط]

فما عَجولٌ على بَوٍّ تُطيفُ به ... لها حَنينان إِصْغارٌ وإكبارُ

تَرتعُ ما رَتعتْ حتى إذا ادَّكَرتْ ... فإنما هي إقبالٌ وإِدْبارُ

لا تسمنُ الدهرَ في أرض وإن رُبِعتْ ... فإنما هي تحنان وتسجار

يوما بأوجدَ مني يومَ فارقَني ... صخرٌ وللدَّهر إحلاءٌ وإمرارُ[2]

فنرى الخنساء في هذه الأبيات الأربعة تعلن عن شدة حزنها على أخيها وتحسرها على فقده من خلال عقد مقارنة بين حالها وحال ناقة مات ولدها

(١) ديوان الخنساء: ٢٤٠-٢٤١.

(٢) ديوان الخنساء: ٣٨١-٣٨٥.

صغيرا، وهو ما دل عليه استخدامها لفظة (عَجول)، فاللفظة بذاتها تدل على الناقة التي مات ولدها[(١)]، وكان لها أن تكتفي في وصف حال الناقة بالدلالة عليه بتلك اللفظة، لكنها استطردت في وصف حالها، مفصلة في ذلك على مدى الأبيات الأول والثاني والثالث لتقول في بداية الرابع: ما هذه الناقة التي حالها كل ما ذكرته مفصلا؛ أشدّ وجدا وأكثر حزنا -بحالها هذه- على فقدها ولدها مني على فقدي لأخي، ومن ثم يكون الانزياح بالزيادة هنا بالإطناب في وصف حال الناقة الفاقدة لولدها مؤثرا في بيان مدة وجد الخنساء وحزنها على مرثيها، فهي لم تقارن نفسها بأية ناقة عادية، وإنما رسمت صورة مفصلة متعددة الألوان والخطوط لهذه الناقة حتى يقف القارئ أو المتلقي لشعرها على مدى حزن هذه الناقة من خلال هذه الصورة المفصلة، ثم يعرف بعد ذلك أن الخنساء أشد حزنا ووجدا منها.

ومن انزياح الزيادة بالإطناب أيضا قولها: [الوافر]

فَمَنْ للضَّيفِ إنْ هَبَّتْ شَمَالٌ		مُزَعْزِعَةٌ تُناوِحُها صَبَاها
وأَلْجَأَ بَرْدُها الْأَشْوَالَ حُدْبًا		إلى الحَجَرَاتِ باديةً كُلاها
هنالك إنْ نزلتَ ببيتِ صَخْرٍ		قَرَى الأَضْيافَ شَحْمًا مِن ذُراها[(٢)]

(١) جاء في العين (ع ج ل) ٢٢٨/١: "العجول من الإبل الواله التي فقدت ولدها"، واستشهد ببيت الخنساء المذكور.

(٢) ديوان الخنساء: ٢٨٣.

فهي في هذه الأبيات الثلاثة ترثي صخرا بذكر كرمه وجوده الذي لا ينازعه فيه أحد، فهو ليس كرما في ظروف عادية، وإنما هو كرم وجود في ظرف يصعب فيه أن يجود أحد، ففي الوقت الذي تشتد فيه الرياح وتخلع من شدتها الخيام، وتُلجئ الإبل التي ضمرت وهزلت من شدة الجدب إلى الاتقاء من شدتها، في هذه الحالة العاصفة والمضطربة كل هذا الاضطراب والمجدبة كل هذا الجدب، يأتي جود صخر وإكرامه ضيفه إكراما وجودا لا نظير له، ونلحظ هنا أن الشاعرة لتمكين ذلك المعنى عن صخر في نفس المتلقي استعانت بالإطناب والتفصيل في ذكر تلك الحالة من الجو والجدب التي يَلقى فيها الضيف كرم صخر المذكور؛ حتى يستبين المتلقي إلى أي حد كان هذا المرثيُّ كريما وجوادا.

ومما سبق عرضه من نماذج يتضح كيف كان للانزياح بالزيادة؛ سواء كان عن طريق تكرار الوحدة المعجمية ذاتها أو تكرار الجملة نفسها بدلا من الاكتفاء بأول ذكر لها -وقد كان ذلك ممكنا- أو كان عن طريق الإطناب؛ إسهامُه في تمكين هذا الرثاء وتأكيد معانيه في نفس متلقيه وسامعه.

٤- الانزياح بالالتفات:

يعد الالتفات من أهم الظاهر الأسلوبية في العربية، حتى إن منهم من عده -لأهميته- "خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، وإليها تستند البلاغة، وعنها يعنعن"[(١)]، وقد تباينت عبارات البلاغيين في تعريف الالتفات وبيان ماهيته وحقيقته، فيعرفه ابن المعتز بأنه: "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"[(٢)]، غير أننا نرى أن ابن الأثير كان أوضحهم عبارة في ذلك[(٣)]، ففي تعريفه وبيان حقيقته يقول:

---

(١) المثل السائر: ٢/١٣٥.

(٢) ابن المعتز، عبد الله بن محمد: البديع في البديع، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠م: ١٥٢

(٣) انظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع: ١٤٢، وما بعدها.

"وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة كالانتقالات من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك"(١)، وذكر السكاكي فيه أن "العرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه"(٢).

وإذا كان ما ذكره السكاكي في عبارته السابقة عاما في كل التفات؛ فقد أشار السيوطي إلى أنه في الالتفات -إضافة إلى هذه الفائدة العامة- "يختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله"(٣).

أما عن مرثيات الخنساء لأخيها صخر فقد كان الالتفات سمة أسلوبية فيها؛ حيث تكرر وروده كثيرا، فبينما تكون تتكلم عنه وتعدد مآثره، تتحول إلى مخاطبته، ومن أمثلة ذلك قولها في قصيدة مطلعها: [المتقارب]

تَذكرتُ صخرا بُعَيْد الهُدوّ	(م)	فانحدرَ الدمعُ مني انحدارا(٤)

ثم قالت في الأبيات التالية مباشرة:

وخيلٍ لبستَ لأبطالها		شَلِيلا ودمَّرت قوما دمارًا

(١) ابن الأثير، المثل السائر: ١٣٥/٢.

(٢) السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم: ٢٩٦. تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

(٣) السيوطي، جلال الدين، الإتقان: ٢٨٩/٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

(٤) ديوان الخنساء: ٢٢٦.

تصيدُ بالرمحِ فرسانَها		وتَهْتَصرُ الكبشَ فيها اهْتِصارًا
فَتُلْحمُه القومَ تحتَ الوغى		وأرسلتَ مُهرَك فيها فَعارا[1]

فبينما كانت تتحدث عن صخر في البيت الأول، وهو غائب عنها، فتقول أنه تذكرته، فدمعن عينها لتذكرها، وبكت؛ نجدها في الأبيات الثلاثة التالية تتحول إلى مخاطبته (*لبستَ*)، و(*دمرتَ*)، و(*تصيد*)، و(*تهتصر*)، و(*فتلحمه*)، و(*أرسلتَ*)، وكأنه حي أمامها يسمع ما تقوله، وتخاطبه به، وهي بذلك التحول من أسلوب الغائب إلى أسلوب المخاطب ترسل رسالة إلى المتلقي بأن صخرا لديها حي لم يمت، تراه فتخاطبه، حتى وإن لم يكن الواقع غير ذلك، فهي لها واقعها الخاص الذي تخلقه لنفسها بوجود صخرا أمامها، فما أبلغ ذلك الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في تمكين رثائها في نفس متلقي شعرها، وخاصة حين يتضافر معه تلك الأفعال التي تمدحه بذكرها، فهي كلها أفعال تنبض بالحركة والحيوية، فتؤكد حركتها وحيوتها هذه الرسالة التي تريد إيصالها -بالانزياح انتقالا من الغيبة إلى الخطاب- إلى المتلقي بأن صخرا حاضر دائما عندها، لم يغيبه الموت عنها، حتى وإن ووري الثرى.

ومن الانزياح بالالتفات أيضا قولها: [المتقارب]

وَسَارُوا إِلَيْهِ وقالوا اسْتَقِمْ		فَلَم يجدوه كَلولًا كَذوبًا
وَطَعْنةِ خَلْسٍ تلافَيْتَها		كَعَطِّ النِّساءِ الرِّداءَ المَجوبا
وَحَمْراءَ في القومِ مظلومةٍ		كأنّ على دَفَّتَيْها كثيبًا
تيمَّمتَها غيرَ مُسْتأمِرً		فصرفَّتَها وَكَسَوْتَ القضيبا[2]

(١) ديوان الخنساء: ٢٢٧-٢٢٩.

(٢) ديوان الخنساء: ٢٦٥.

فنرى أن الخنساء بعدما كانت تتحدث عن صخر الغائب في البيت الأول من الأبيات الأربعة المذكورة -وهو امتداد لأبيات قبله تناولته غائبا أيضا-؛ تحولت من أسلوب الغائب إلى أسلوب الخطاب، فبدأت تخاطبه في البيتين الثاني والرابع؛ حيث تحولت الضمائر (**الهاء**) في (***إليه***) و (***يجدوه***) في البيت الأول إلى (**تاء الفاعل للمخاطب**) في (***تلافيتَها***)، في البيت الثاني و(***تيمَّمتَها***)، و(***فصرَّفتَها***)، و(***كَسَوْتَ***) في البيت الرابع.

ونرى أن هذا الانزياح بالالتفات هنا يدل على حضور صخر الدائم في نفس الخنساء بشخوصه حاضرا مخاطبا أمام عينيها، وكأنها تريد أن تعلن بمخاطبتها إياه رفضها لموته، وعدم تقبلها له، فهي تكلمه وتخاطبه حيا حاضرا أمامها، وبهذا يكون الانزياح بهذا الالتفات أداة أسلوبية تمكن معاني شعرها في رثائه وحزنها عليه -الذي بلغت معه حد عدم الاعتراف بموته- في نفس المتلقي.

وفي مثال آخر للانزياح بالالتفات تقول الخنساء: [الخفيف]

ظَفِرٌ بالأمورِ جَلْدٌ نَجيبٌ		**وَإذا ما سَمَا القتالُ لِحَرْبٍ أَباحَا**
وبِحِلْمٍ إذا الْجَهُولُ اعْتَرَاهُ		**يَرْدَعُ الْجَهْلَ بَعْدَما قد أَشَاحَا**[1]

فهي في البيتين تتحدث عن صخر غائبا بذكر بعض من صفاته في الإقدام والشجاعة والحلم، ، فقولها (***ظفر***) أي هو ظفر، والأفعال (***سما***) و(***أباحا***) (***واعتراه***)، و(***يردع***) كلها مسندة إلى الغائب، ثم تتحول بعد ذلك إلى مخاطبته بعدما كانت تتحدث عنه غائبا، فتقول:

إنني قد علمتُ وجدكَ بالحمـ		**ـدِ وإطلاقكَ العُناةَ الجِناحا**[1]

(١) ديوان الخنساء: ٢٤٢.

فنرى في هذا البيت (كاف المخاطب) في قولها (***وجدك***)، و(***إطلاقك***)، بما يؤكد أنها باتت تخاطبه بعدما كانت تتحدث عنه، ونرى أن في هذا الانزياح بالالتفات كذلك -كما ذكرنا في المثالين السابقين- استحضار لشخص صخر حيا شاخصا أمامها لتعلن بذلك رفضها لفكرة موته، وحتى إن كانت تعرف أنه مات فإنه يبقى على الأقل في وجدانها هي حيا حاضرا، علاوة على ما في الالتفات من تنشيط لذهن السامع واستدرار لإصغائه كما ذكر السكاكي.

ومن الأمثلة التي ذكرناها يتجلى كيف كان الانزياح بالالتفات في مرثيات الخنساء لأخيها صخر مؤثرا في شعرها مُمَكِّنًا لمعانيه في نفس متلقيه.

خاتمة:

يتبين لنا من خلال ما عرضناه من نماذج للانزياح التركيبي في مراثي الخنساء لأخيها صخر، وتحليل هذه النماذج إلى أن الخنساء اعتمدت في عدد كبير من المواضع على هذه السمة الأسلوبية، لتمكين ما أرادت قوله وذكره من المعاني في رثاء صخر في نفس المتلقي لشعرها عنه وفي رثائه.

تبين لنا كذلك أن هذه السمة الأسلوبية (الانزياح التركيبي) تجلت في مراثي الخنساء لأخيها صخر بكافة صورها؛ فكان الانزياح التركيبي بالتقديم والتأخير، وكان بالحذف والزيادة، وكان بالالتفات، وكان لكل نوع منها أثره ودوره في تمكين معنى الرثاء في الموضع الذي ورد فيه -وبحسب سياقه- في نفس المتلقي، ويعتمد ذلك الأثر والدور بشكل كبير جدا على دور المتلقي نفسه في

---

(١) ديوان الخنساء: ٢٤٣.

الكشف عن هذه الأثر والوصول إليه، وإحساسه بالانزياح التركيبي إبداعا خاصا في النص الذي يتلقاه.

المصادر والمراجع

الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للطبع والنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٧.

الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط٣.

الانزياح في شعر سميح القاسم، قصيدة عجائب قانا الجديدة أنموذجا، دراسة أسلوبية، وهيبة فوغالي، رسالة ماجستير، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة، الجزائر، ٢٠١٢م.

الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م.

جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق د: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٩٩٦م.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٧٤م.

الخنساء، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م.

ديوان الخنساء، الخنساء تماضر بنت عمر، شرحه ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن، ط١، ١٩٨٨م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة.

الإتقان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

البديع في البديع، ابن المعتز، عبد الله بن محمد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

العدول النحوي في الشاهد الشعري في الكتاب

شعر زهير بن أبي سلمى أنموذجا

د. عبد الحليم عبد الله

جامعة أردهان، تركيا

البريد الإلكتروني: dr.halim40@gmail.com

معرف (أوركيد): 0000-0002-5298-9741

بحث أصيل الاستلام: ١٥-٩-٢٠٢٣ القبول: ١٠-١٠-٢٠٢٣ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

جعل النحاةُ الشعرَ العربيَّ في عصر الاحتجاج إلى جانب القراءات القرآنية في المستوى الأول من أصول النحو العربي؛ ولكنّ اللافت للانتباه أن الأشعار التي وسعتها كتب النحاة وحَفِلت بها كان ذات انزياح عن الأصل المرجوح، وهو القياس.

غير أن النحاة عند التطبيق جاؤوا إلى ذلك المسموع وراحوا يبحثون له عن تخريج؛ إذا لم يوافق قواعدهم التي قعّدوها وقاسوا عليها في النحو، ورمَوا بعضه بالشذوذ، وخطّؤوا بعضه الآخر، معلّلين ذلك بتعليلات مختلفة، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما بال النحاة قد جعلوا السماع أصلا راجحا ثم خطّؤوه؟ وما بالهم ضعّفوا المتكلّم وإن كان جاهليا كزهير بن أبي سُلمى وهو المشهور بتنقيحه الشعر لحول كامل حتى وُصِف بأنه من عبيد الشعر وأصحاب الحوليات.

يهدف هذا البحث إلى إعادة النظر في القاعدة من خلال دراسة شواهد زهير بن أبي سلمى في الكتاب، وموقف إمام النحاة (سيبويه) من أشعاره.

الكلمات المفتاحية:

كتاب سيبويه، العدول النحوي، الشاهد الشعري، زهير بن أبي سلمى.

للاستشهاد/ **Atıf İçin / For Citation:** عبد الله، عبد الحليم. (٢٠٢٣). العدول النحوي في الشاهد الشعري في الكتاب، شعر زهير بن أبي سلمى أنموذجا. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٢٤٩- ٢٧٣ https://www.daadjournal.com/

Grammatical Deviation in Witnesses of Kitap in the Example of Poetry of Zuheyr b. Abi Sulma

Abdulhalim ABDULLAH

Assistant Professor, Ardahan University, Turkey

E-mail: dr.halim40@gmail.com

Orcid ID: 0000-0002-5298-9741

Research Article Received: 15.09.2023 Accepted: 10.10.2023 Published: 31.10.2022

Abstract:

All grammarians agree that the first level is to listen (to the words of the Arabs in the age of protest), and that the Arabs who argue do not need justice. Grammarians made Arabic poetry within the time frame of the age of protest along with Qur'anic readings in the first level of this origin listening), but it is interesting to note that the poems provided by the grammar books kept them in contradiction with the second origin, the measurement. To be specific, the ideal question to be asked here is, why grammarians did the listening patterns as standard firstly then said about it as irregular?

Why did they weaken the people living in the pre-Islamic age like Zuhair who was well known for his revision’s forb poems throughout all year long which leaded to be called as poetry’s bondsman. This research aims to reconsider the grammatical rule by saying the concerted clues in the linguistic text by studying the evidence of Zuhair in the book, and the position of Sibawayh of his poems.

Keywords:

Sibawayh’s Kitap, Exit grammar, poetic witness, Zuhair bin Abi Sulma.

تقديم:

استُخدِمَ مصطلح (العدول) في علم الدلالة؛ للتعبير عن خروج الدلالة عن معناها الحقيقي إلى معنى مستفادٍ من السياق، لكنني اقترضت هذا المصطلح (العدول) في بحثي هذا؛ وسمّيته (العدول النحوي) للدلالة على معنى الخروج عن القاعدة النحوية.

وقد أجمع النحاة في أصولهم – كما أسلفنا – على أنّ المسموع الذي يُوثَق بفصاحته حجةٌ في اللغة، فشَمِل ذلك عندهم: النص القرآني والحديث الشريف -على اختلافهم فيه- وكلام العرب: نثرهم وشعرهم إلى أن فسدت السلائق وتسرّب اللحن إلى الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر.[1]

ولا شك بأن زهير بن أبي سلمى من الشعراء الذين يُحتجّ بشعرهم، فهو من فحول الشعراء الجاهليين، ومن المشهود لهم بتنقيح الشعر وإعادة النظر فيه حولا كاملا، حتى سُمي شاعر الحوليات.

والذي رأيته أن النحاة قلّما استشهدوا بالشعر لإثبات قاعدة، بل أكثروا من الاستشهاد بالشعر عندما رأوا أن هذا الشعر قد انزاح عن القاعدة التي قعّدوها، وقد وجدت لزهير في كتاب سيبويه بضعة عشر شاهدا شعريا، اقتصرت الشواهد النحوية منها على عشرة، يمكننا أن ندرسها في عشر قضايا، أسوقها كما يلي:

١. **القضية الأولى قضية العطف على التوهم:**

عرفَ النّحاة ظاهرة العطف على التوهم منذ أيّام الخليل وسيبويه، واختلفوا بشأنها، واضطربت أقوالهم في تحديد مصطلح جامع لها، فحملها سيبويه على الغلط،

(١) انظر: الاقتراح في أصول النحو: ٣٩.

وحملها آخرون على التّوهم، كما جعلها فريقٌ ثالث حملا على المعنى، لأنّ مصطلح التّوهّم لا يتناسب وجلال الآيات القرآنيّة.[1]

والشاهد في ذلك قول زهير:[2]

بَدَا لِي أَنَّي لستُ مُدْرِكَ ما مضَى ولا سابِقٍ شيئًا إذا كان جائيا

وصف سيبويه لغة الشاهد - براوية الجرّ- بأنّها لغة رديئة، قال: "وهذه (ولا سابقٍ شيئا إذا كان جائيا) لغةٌ رديئة، وإنما هو غلطٌ"[3] ولكن لما كان الأول تستعمل فيه الباء ولا تغير المعنى، وكانت مما يلزم الأول نَوَوها [أي الباء الزائدة] في الحرف الآخر، حتى كأنهم قد تكلموا بها في الأول[4] فحملوه على ليسوا بمُصلحِين، ولستُ بمدركٍ[5]، والإشراك على هذا التوهم بعيد كبعد (ولا سابقٍ شيئًا).[6]

يقول سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله عز وجل: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[7] فقال: هذا كقول زهير:

بَدا لِيَ أنّي لستُ مُدْرِكَ ما مضى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

(١) انظر: ظاهرة الحمل على التّوهم في النّحو: ٨٥.
https://www.majma.org.jo/ojs/index.php/JJaa/article/download/515/114 /

(٢) الكتاب: ١/١٦٥ وانظر: ٣٠٦ و٣ /٢٩ و٥١ و١٠٠ و١٦٠/٤.

(٣) انظر: الكتاب: ١/ ١٦٠.

(٤) انظر: الكتاب: ٢٩/٣.

(٥) انظر: الكتاب: ١/ ٣٠٦.

(٦) انظر: الكتاب: ٥١/٣.

(٧) سورة المنافقون: ١٠/٦٣.

فإنَّما جروا هذا، لأنَّ الأول قد يدخله الباء، فجاؤوا بالثاني وكأنَّهم قد أثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا لما كان الفعل الذي قبله قد يكون جزمًا ولا فاء فيه تكلموا بالثاني، وكأنهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا"،[1] والذي ذهب إليه الخليل أن العامل – الباء الزائدة - لمّا كان وقوعه متكررا في خبر ليس، عُطِفَ بالجر على محلّ المعمول، وإن لم تزد الباء في خبر ليس في المثال السابق.

وافترض الفرّاء تساؤلًا وأجاب عنه، قال: "كيف جُزِمَ (وأكنْ)، وهو مردود [معطوف] على فعل منصوب؟ فالجواب في ذلك أنّ (الفاء) لو لم تكن في (فأصدّق)، كانت مجزومة، فلمّا رددتَ [عطفت] (وأكنْ)، رُدّت على تأويل الفعل لو لم تكن فيه الفاء"،[2] لأن موضع الفعل (أصدق) عاريا من الفاء الجزم بجواب الطلب، وإلى ذلك ذهب أبو عبيدة " إلى جزم (وأكنْ) على موضع الفاء في (فأصّدّق)، وموضعها الجزم على جواب التمني".[3]

وأشار ابن هشام إلى أن القراء - غير أبي عمرو - قد قرؤوا بمثل ذلك على توجيه إسقاط الفاء من الفعل (أصدق)، وجعله من قبيل العطف على المعنى. قال ابن هشام: "قَرَأَ غير أبي عَمْرو: ﴿لَوْلَا أخرتني إِلَى أجل قريب فَأَصدقْ وأكنْ﴾ بِالجَزْمِ فَقيل: عطف على مَا قبله على تَقْدِير إِسْقَاط الفَاء وَجزم أصدق وَيُسمَّى العَطف على المَعْنى، وَيُقَال لَهُ فِي غير القُرْآن: العَطف على التَّوَهُّم، وَقيل عطف على مَحل الفَاء وَمَا بعْدهَا وَهُوَ (أَصَّدقْ) وَمحله الجَزْم، لِأَنَّهُ جَوَاب التحضيض ويجزم بِأَن مقدرَة وَإِنَّهُ كالعطف على ﴿من يضلل الله فَلَا هاديَ لَهُ ويذرْهم﴾[4] بِالجَزْمِ... وَبعدُ فالتحقيق أَن العَطف فِي البَاب

(١) الكتاب: ٣/١٠٠-١٠١.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٣/١٦٠.

(٣) مجاز القرآن: ٢/٢٥٩.

(٤) سورة المنافقون: ٦٣/١٠.

من العَطف على المَعْنى؛ لِأَن المَنْصُوب بعد الفَاء فِي تَأْوِيل الِاسْم، فَكيف يكون هُوَ وَالفَاء فِي مَحل الجَزْم؟" [1]

وأنشد سيبويه ما قوّى به ما ذكره من أنّه يعطف على شيء يُقدَّر وإن لم يلفظ به، وشيء يعطف على ما كان يجوز استعماله في موضع المعطوف عليه، ومنه قول صرمة الأنصاري: بدا لي أنّي لست مدرك ما مضى ولا سابقٍ شيئا إذا كان جائيا[2]

وقول الأخوص اليربوعيّ:

مشائيم ليسوا مصلحينَ عشيرة ولا ناعبٍ إلّا ببين غرابها [3]

وإنما خفض (سابق وناعب) وليس قبلهما مخفوض، لأنه يجوز أن تقول: لست بمدرك ما مضى، وليسوا بمصلحين، فتقع الباء فيهما ويكثر في موضعهما من خبر ليس الباء، فحملها في الخفض على ما كان يستعمل.[4]

وقال المبرد: "إنّ حروف الجرّ لا تعمل مضمرة، وروى (سابقًا) و(ناعبًا) بالنصب ونسب إلى سيبويه: أنه روى بالجرّ سماعًا عن العرب، رغم ضعفه وبُعده".[5]

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٥٣.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، ديوانه: ٢٨٧؛ وخزانة الأدب: ٨/ ٤٩٢، ٤٩٦، ٥٥٢ و٩/ ١٠٠، ١٠٢، ١٠٤؛ وشرح شواهد المغني: ١/ ٢٨٢؛ شرح المفصل: ٢/ ٥٢، ٧/ ٥٦؛ والخصائص: ٢/ ٣٥٣، ٤٢٤.

(٣) شرح المفصل: ٢/ ٥٢، ٥/ ٦٨، ٧/ ٥٧؛ ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٧٤، ٤٨٧؛ والخزانة: ٢/ ١٤٠، ٤/ ١٥٨، ١٦٠، ١٦٤؛ والخصائص: ٢/ ٣٥٦.

(٤) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٢/ ٢٠١.

(٥) خزانة الأدب: ٩/١٠٤.

والذي أريد قوله: كيف للنحاة أن يحكموا على نصوص من فصيح الكلام: نثره وشعره بالضعف أو اللغة الرديئة؟ بل هو فصيح يُحتج به وإن لم يوافق قواعد النحاة، فعلى النحاة أن يقعّدوا قواعد جديدة توافق هذا المسموع.

٢. القضية الثانية قضية رفع المضارع في جواب الشرط الجازم غير المقترن بالفاء

يقتضي عمل أدوات الشرط الجازمة جزم فعلين مضارعين، الأول منهما فعل الشرط والثاني جواب الشرط، وهذا أمر لا خلاف فيه، لكن ثمة شواهد شعرية ونثرية وقع فيها جواب الشرط مرفوعا، فذهب النحاة في الجواب مذاهب؛ ففريق منهم ذهب إلى أن هذا الجواب ليس بجواب للشرط، وإنما هو قرينة مؤخّرة من تقديم تدلّ على جواب الشرط، والجواب محذوف لدلالة القرينة عليه، وهذه خلاصة مذهب سيبويه ومن تابعه، وذهب فريق آخر إلى أن المذكور جواب الشرط؛ لكنّه على تقدير الفاء الرابطة لجواب الشرط؛ التي متى وقع الفعل المضارع بعدها وجب رفعه؛ وهذه خلاصة مذهب المبرّد ومن تابعه، فقال: "على إِرَادَة الفَاء على مَا ذكرت لَك"،[1] وذهب فريق ثالث من النحاة إلى أن فعل الشرط إن كان ماضيا كان جزم الجواب جوازا، وللمتكلم أن يجزم أو أن يرفع، وإن كان فعل الشرط مضارعا وجب جزم فعل الجواب في مثل هذه الحال، وما جاء من مضارع جوابا مرفوعا سبقه مضارع في فعل شرط؛ فإنما هو من قبيل الضرورة الشعرية، قال ابن مالك في جواب الشرط الجازم: "وإذا جاء الجزاء على مقتضى الأصل صالحا للشرطية لم يحتج إلى فاء تربطه بالشرط، فالأولى خلوه منها، ويجوز اقترانه بها؛ فإن خلا منها وصدر بمضارع جُزِم، سواء كان

(١) المقتضب: ٧٠/٢.

الشرط مضارعا نحو: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾،(١) أو ماضيا كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾، (٢) وقول الفرزدق:

دسَّتْ رسولا بأن القوم إن قَدروا	عليك يَشْفُوا صدورا ذاتَ توغِير

وقد يُرفَع بكثرة إن كان الشرط ماضيا، أو منفيا بلم، وبقلة إن كان غير ذلك... وقول أبي صخر:

وليس المُعَنَّى بالذي لا يَهِيجُه	إلى الشوق إلا الهاتفاتُ السَّواجِعُ

ولا بالذي إنْ بان عنه حبيبُه	يقولُ - ويخفي الصبر- إني لجازعُ"(٣)

والشاهد في الكتاب قول زهير:

وإنْ أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ	يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ(٤)

والشاهد فيه أنه رفع (يقولُ) ولم يجعله جوابا مجزوما للشرط في اللفظ، وجعله في تقدير التقديم، كأنه قال: يقول لا غائبُ مالي إنْ أتاه خليلُ. و"قال ذو الرمة:

وأنّي متى أشرف على الجانب الذي	به أنت من بين الجوانب ناظر

أي: ناظر متى أشرف، فجاز هذا في الشعر، وشبّهوه بالجزاء إذا كان جوابه منجزمًا... وقد يقال: إن أتيتني آتك، وإن لم تأتني أجزك، لأن هذا في موضع الفعل المجزوم؛ فكأنه قال: إن تفعل أفعل". (٥)

(١) سورة الطلاق: ٦٥/ ٢.

(٢) سورة هود: ١١/ ١٥.

(٣) شرح تسهيل الفوائد: ٤/٧٧.

(٤) الكتاب: ٣/٦٦.

(٥) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٣/٢٥٨.

والذي أراه أن التركيب لا يحتاج إلى تقدير سيبويه ولا إلى تقدير المبرد، والأقرب إلى روح اللغة وفصاحتها مذهب ابن مالك الذي جعل الجزم جوازا، فإن شئت جزمت وإن شئت رفعت.

٣. **القضية الثالثة قضية نصب الاسم بفعل يفسره فعل مذكور بعده**

الاشْتِغَالُ أَنْ يَتَقَدَّمَ اسْمٌ وَيَتَأَخَّرَ عَنْهُ عَامِلٌ مُشْتَغِلٌ عَنْ نَصْبِهِ بِضَمِيرِهِ، أَوْ نَصْبِ المُتَّصِلِ بَضَمِيرِهِ، بحيْثُ لَوْ تَفَرَّغَ لَهُ لنَصَبَهُ، وَيُسَمَّى هذا الاسمُ (مَشْغُولاً عَنْهُ)، ويَجِبُ نَصْبُ المشْغُولِ عَنْهُ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ وُجُوبًا إِنْ وقع بعد ما يختص بالدخول على الأفْعَالِ، وَيَجِب رَفْعُهُ إِنْ وَقَعَ بَعْدَ ما يختص بالدخول عَلَى الأسْمَاءِ كإِذَا الفُجَائِيَّةِ، أَوْ قَبْلَ أداة لا يعملُ ما بعدها فيما قَبْلَهَا، وَيَجُوزُ نَصْبُهُ وَرَفْعُهُ فِيما سِوَى ذَلِكَ.[١]

والشاهد في الكتاب قول زهير:

لا الدَّارَ غَيَّرَها بَعْدِيَ الأَنيسُ ولا بالدّارِ لو كَلَّمَتْ ذا حاجةٍ صَمَمُ[٢]

الشاهد في إنه نصب (الدار) بفعل يفسره (غيَّرها) كأنه قال: لا غيَّر الدار غيَّرها. يقول لم يغير الدار عما أعرفها به بعد الأنيس عنها، غيرتها الأمطار والأرواح مع بعد الأنيس عنها، ويروى: لا الدارَ غَيَّرها بُعدُ الأنيسِ.[٣] والسؤال الذي يطرح نفسه: لِمَ علينا تقدير الفعل في هذا الموضع وقد ورد مثله كثير في كلام العرب وفي القرآن الكريم؟ كما في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ

(١) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية: ٢/٤٥١.
(٢) الكتاب: ١/ ١٤٥.
(٣) انظر: شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي: ١/ ٥٩.

(٥) وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)﴾.[1]

والمعروف أن الكثير لا يحتاج إلى تأويل ولا يقاس على غيره بل يُقاس عليه؛ لكن النحاة قالوا: إن أدوات الشرط لا تباشر الاسم – ما عدا لولا - فإن باشرت الاسم أوجبوا تقدير فعل محذوف يفسّره الفعل المذكور بعده، وقاسوا على (إذا) الشرطية (إذا) الظرفية، وقدّروا فعلا بعدها أيضا، وفي هذا التقدير نظر، لأنه كثير في كلام العرب.

٤. القضية الرابعة قضية وقوع المصدر حالا

والشاهد في الكتاب قول زهير:

فَلأْيًا بَلأْيٍ مَا حَمَلْنا وَليدَنا ... على ظَهْرِ مَحْبوكٍ ظِماءٍ مَفاصِلُه[2]

فالتقدير فيه: فلأيا بلأي حملنا، وما زائدة، ولأيا: ببطءٍ وجهد، فكأنه قال: مجهودين حملنا وليدنا، ومبطئين حملنا وليدنا، ويقال: التأت عليه الحاجة إذا أبطأت[3]، وأجازه أبو العباس ثعلب والزمخشري وشارحه ابن يعيش: "اعلم أنّ المصدر قد يقع في موضع الحال، فيقال: (أتيتُه رَكْضًا)، و(قتلتُه صَبْرًا)، و(لقيتُه فُجاءةً وعِيانًا) و(كلّمتُه مُشافَهةً)، والتقدير: أتيتُه راكِضًا، وقتلتُه مصبورًا، إذا كان الحالُ من الهاء، فإن كان من التاء فتقديرُه: قتلتُه صابرًا، ولقيتُه مُفاجِئًا ومُعايِنًا، وكلّمتُه مُشافِها.

(١) سورة التكوير: ٨١/ ١-١٤.

(٢) الكتاب: ١٩٥/١.

(٣) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٢٥٩/٢.

فهذه المصادرُ وشبْهُها وقعتْ موقعَ الصفة، وانتصبتْ على الحال... وكان أبو العَبّاس يُجِيز هذا في كلّ شيء يدلّ عليه الفعلُ، فأجاز أن تقول: (أتانا رُجْلَةً)، و(أتانا سُرْعَةً)، ولا يقال: (أتانا ضَرْبًا)، ولا (أتانا ضِحْكًا)، لأنّ الضرب والضحكَ ليسا من ضروب الإتيان، لأنّ الآتِيَ ينقسِم إتيانُه إلى سُرْعةٍ، وإبْطاءٍ، وتوسُّطٍ، وينقسم إلى رُجْلَةٍ ورُكوبٍ، ولا ينقسم إلى الضرب، والضحكِ. وكان يقول: إنّ نصبَ (مَشْيًا) وشِبْهِه إنّما هو بالفعل المقدَّر، كأنّه قال: أتانا يَمْشِي مَشْيًا"[١]

وأجازه أبو حيان الأندلسي، ونصّ على أن المصدر قد يأتي حالا، ومجيئه حالا أكثر من مجيئه صفة، قال: "ومجيء المصدر حالا أكثر من مجيئه نعتا، فمن المسموع ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾،[٢] و﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[٣]، و﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾،[٤] و ﴿إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾،[٥] وقتلته صبرا، ولقيته فجاءة ومفاجأة، وكفاحا ومكافحة، وعيانا، وكلمته مشافهة، وأتيته ركضا ومشيا وعدوا، وطلع بغتة، وأعطيته المال نقدا، وأخذت ذلك عنه سماعا وسمعا، ووردت الماء التقاطا... واختلف النحويون في تخريج هذه الكلم المسموعة وما أشبهها من المسموع: فذهب الكوفيون والأخفش والمبرد إلى أنها مفاعيل مطلقة، واختلفوا: فقال الكوفيون: أنها منصوبة بالأفعال السابقة، وليست في موضع الحال... وذهب الأخفش والمبرد إلى أن قبل كل مصدر منها فعلا مقدرا هو الحال، أي: زيد طلع يبغت بغتة، وقتلته أصبر صبرا، وأعطيته المال أنقده نقدا وكذلك سائرها".[٦]

وذهب ابن مالك الأندلسي إلى أن المصدر النكرة يقع حالا بكثرة، فقال:

---

(١) شرح المفصل: ١٢/٢.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٢٧٤.

(٤) سورة الأعراف:٧/ ٥٦.

(٥) سورة نوح: ٧١/ ٨.

(٦) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ٤٤/٩.

ومصدر منكر حالا يقعْ بكثرة كـ بغتة زيد طلع[١]

"وذهب ثعلب إلى أن المصدر المنتصب في مثل هذا هو مصدر مؤكد لا حال، ويتأول الرجل باسم فاعل مما جاء بعده، فإذا قال أنت الرجل علما فهو بمنزلة: أنت العالم علما، والمتأدب أدبا، والنبيل نبلا، ويحتمل عندي أن يكون منصوبا على التمييز، كأنه قال: أنت الكامل أدبا؛ لأن الرجل يطلق ويراد به الكامل أدبه".[٢]

وقد يقع المصدر حالا وقد استعملت العرب ذلك كثيرا، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾،[٣] أي: زاحفين وقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾،[٤] أي: مسرين ومعلنين، قوله: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾،[٥] أي: طائعا وكارها وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾،[٦] أي: صادقة وعادلة، وقوله: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[٧]، أي: كارهة، ونحو قولك: (أقبل علي ركضا)، و (قتله صبرا)، و (طلع بغتة)، و(كلمته مشافهة)، ونحو ذلك، وهو ليس بمقيس عند النحاة على كثرته، وعند المبرد هو مقيس فيما كانت الحال فيه نوعا من عاملها، فإن قلت: (أقبل ركضا) جاز لأن الركض نوع من الإقبال، ولو قلت: (جاء بكاء وضحكا) لم يجز لأن البكاء والضحك ليسا نوعا من المجيء. قال المبرد في المقتضب: "ولو قلت: (جئته إعطاء) لم يجز، لأن الاعطاء ليس من المجيء، ولكن (جئته سعيا) فهذا جيد لأن المجيء يكون سعيا، قال الله عز وجل:

---

(١) ألفية ابن مالك: ٣٢.

(٢) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ٩ /٤٨.

(٣) سورة الأنفال: ٨/ ١٥.

(٤) سورة البقرة: ٢/ ٢٧٤.

(٥) سورة آل عمران: ٣/ ٨٣.

(٦) سورة الأنعام: ٦/ ١١٥.

(٧) الأحقاف: ٤٦/ ١٥.

﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [١]، ورأي المبرد أسوغ من رأي النحاة، وذلك لأنه كثير، والكثرة تخول القياس عليها"[٢].

والذي أراه أن وقوع المصدر حالا قد تواتر في الفصيح المسموع من لغة العرب؛ ولذلك فلا ضير في أن يكون قاعدة يُركن إليها ويُعتدُّ بها.

٥. **القضية الخامسة قضية ترخيم غير المنادى**

الترخيم لغة التسهيل يقال: صوت رخيم أي لين سهل، واصطلاحا: يكون في باب التصغير، وهو حذف آخر الاسم في النداء، ولا يرخم مندوب لحقته علامة الندبة، أو لم تلحقه.[٣]

قال الزمخشري: "ومن خصائص النداء الترخيم إلا إذا اضطر الشاعر فرخَّم في غير النداء، وله شرائط إحداها أن يكون الاسم علمًا، والثانية أن يكون غير مضاف، والثالثة ألا يكون مندوبًا ولا مستغاثًا، والرابعة أن تزيد عدته على ثلاثة أحرف إلا ما كان في آخره تاء تأنيث فإن العلمية والزيادة على الثلاثة فيه غير مشروطتين، يقولون يا عاذل، ويا جاري، لا تستنكري".[٤]

والشاهد في الكتاب قول زهير:

خذُوا حَظَّكمْ يا آلَ عِكرمَ واذْكُرُوا أواصِرَنا والرِّحمُ بالغَيْبِ تُذكرُ[٥]

الشاهد في البيت إنه رخم (عكرمة) وهو غير منادى،[٦] قال السيرافي: "وكان أبو العباس محمد ابن يزيد ينكر هذا ولا يجيزه في الشعر، ويعلل الأبيات، فذكر أن قوله:

(١) سورة البقرة: ٢/ ٢٦٠.

(٢) معاني النحو: ٢/٢٨٨.

(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢٢٢٨.

(٤) المفصل في صنعة الإعراب: ٧١.

(٥) الكتاب: ٢/٢٧١.

(٦) شرح أبيات سيبويه: ١/٣١٣.

(خذوا حظّكم يا آل عكرم)، يذهب بـ عكرم مذهب القبيلة، ففتح الميم؛ لأنه لا ينصرف، لا للترخيم".[1] فالذي يذهب إليه السيرافي أنَّ فتح الميم في (عكرم) لأنه ممنوع من الصرف، وليس بسبب الترخيم.

وترخيم المضاف إليه، محمولٌ عندنا على الضرورة، وحالُه حالُ ما رُخّم في غير النداء للضرورة، لأن المضاف إليه غيرُ منادى.[2]

و"خرَّج سيبويه ما ورد من هذا النوع من الترخيم في غير النداء ضرورة، وحَذْفُ آخر المنادى المضاف نادر"[3].

وإن كانت قواعد النحاة تنصّ على أنّ الترخيم يجب أن يكون في المنادى - فضلا عن شروط أخرى ذكرتها سابقا – إلا أنّه قد ورد في الفصيح المسموع ترخيم غير المنادى، وعلينا إعادة النظر في شروط الترخيم.

٦. القضية السادسة قضية رفع المضارع بين مجزومين

يرى النحاة أن الشرطَ إِذَا تَلاه مضارعٌ مقترنٌ بِالواو أو الفَاء جازَ فيهِ وجْهانِ: الجَزْمُ عَلَى الْعَطْفِ، والنَّصْبُ عَلَى إضمار أنْ، أمَّا إذا تَلا الجوابَ مضارعٌ مسبوقٌ بِإِحْدَاهُما فيجوزُ فيهِ الجَزْمُ والنَّصْبُ لِما سبَق، والرَّفْعُ عَلَى الاستئنافِ،[4] أما "إذا توسط المضارع بين جملتي الشرط والجواب، ولم يسبقه أحد أحرف العطف السالفة أعرب (بدلا) إن كان مجزوما، وأعربت جملته حالا - في الغالب- إن كان مرفوعا، فمثال الأول:

متى تأتِنا تلممْ بنا في ديارنا   تجدْ حطبا جزلا، ونارا تأججا

(١) شرح أبيات سيبويه: ٢٠٨/١.

(٢) انظر: شرح المفصل: ٣٧٦/١.

(٣) ارتشاف الضرب: ٢٢٢٨.

(٤) انظر: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية: ٢٠١/٢.

والثاني:

متى تأتِه تعشُو إلى ضوء ناره تجدْ خير نار عندها خير موقد"(١)

والشاهد في الكتاب قول زهير:

"ومَن لا يَزَلْ يَسْتحْمِلُ النَّاس نفسَه ولا يُغْنِها يومًا مِن الدهر يُسْأَمِ

إنما أراد: من لا يزل مستحملاً يكن من أمره ذاك. ولو رفع يغنها جاز وكان حسنًا، كأنَّه قال: من لا يزل لا يغني نفسه" (٢)، والشاهد في جزم (يغنِها) عطفا على فعل الشرط المجزوم، ولو رفعه فهو جائز أيضا.

ولكن أسّ المعادلة في هذا كله هو المعنى، فليس الجواز ممكنا في كل موضع، إذ قد يتوجب الرفع إذا تمحّض المعنى على الحالية، ومن ذلك قول السيرافي: "فأما ما يرتفع بينهما فقولك: إن تأتِني تسألُني أعطِك، وإن تأتِني تمشي أمشِ معك، وذلك لأنك أردت أن تقول: إن تأتني سائلا يكن ذلك، وإن تأتني ماشيا فعلت... ومما جاء أيضا مرتفعا قول الحطيئة:

متى تأته تغشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

وسألت الخليل عن قوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأجّجا

---

(١) النحو الوافي: ٤/٤٨٠.

(٢) الكتاب: ٣/٨٥.

قال: تلمم بدل من الفعل الأول، ونظيره من الأسماء: مررت برجل عبد الله، فأراد أن يفسّر الإتيان بالإلمام، كما فسّر الاسم الأول بالآخر، ومثله قوله:

إنْ يبخلوا أو يجبنوا أو يغدروا لا يحفلوا

يغدوا عليك مرجّليـ ــن كأنهم لم يفعلوا

فقوله: يغدوا عليك بدل من (لا يحفلوا) إن (غدوّهم مرجلين) يفسر أنهم لم يحفلوا... وسألته عن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثامًا يُضاعَفْ لَهُ العَذابُ﴾.[1] فقال: هذا كالأول؛ لأن مضاعفة العذاب هو لقيّ الآثام، ومثل ذلك من الكلام: إن تأتنا نحسن إليك نعطك ونحملك تفسر الإحسان بشيء هو هو، وتجعل الآخر بدلا من الأول". [2]

وأُعيد ما قلته من قبل: إنّ أسّ المعادلة في هذا كله هو المعنى، فليس الجواز ممكنا في كل موضع.

٧. **القضية السابعة قضية الفصل بالقسم بين ها واسم الإشارة:**

قضية الفصل بين ها التنبيه واسم الإشارة بالضمير مشهورة في اللغة، وقد نزل بها الذكر الحكيم بقوله تعالى ﴿ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾[3] ولكن أيجوز الفصل بغير الضمير؟ والذي نراه أنه يجوز الفصل بالقسم وقد ورد ذلك في الشعر الجاهلي، والشاهد في الكتاب قول زهير:

---

(١) سورة الفرقان: ٦٨.

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٢٨٦/٣.

(٣) سورة النساء: ٤/ ١٠٩.

تعلَّمن ها - لعمر الله - ذا قسما   فاقصد بذرعك وانظر أين تنسلكُ[١]

أراد: تعلّمنْ هذا قسما، ومعنى تعلمن: اعلمن، وقال الأخفش: قولهم (ذا) ليس هو المحلوف عليه، إنما هو المحلوف به، وهو من جملة القسم والدليل على ذلك أنهم قد يأتون بعده بجواب قسم والجواب هو المحلوف عليه، فيقولون: (ها الله ذا لقد كان كذا وكذا). [٢]

والشاهد في قول زهير تقديمه (ها) قبل (لعمرُ الله) وحذف المبتدأ من جواب القسم وأصله: (تعلمنْ لعمرُ الله للأمرُ هذا)، (فالأمر) مبتدأ و (هذا) خبره فحذف المبتدأ، فبقي (تعلمنْ لعمرُ الله هذا) ثم قدّم (ها) قبل القسم فصار (ها لعمرُ الله)، و(تعلمنْ) بمعنى اعلمنْ يقال تعلمْ كذا واعلمْ كذا، ودخلت النون الخفيفة للتأكيد، و(هذا) من قولك (للأمرُ هذا) إشارة إلى خبر وكلام قد تقدم للمتكلم، فإذا فرغ من كلامه قال للمخاطب: تعلّمْ والله للأمرُ هذا، أي للأمرُ هذا الذي أخبرتك به.

ويجوز أن تكون الإشارة إلى أمر يذكره المتكلم في كلام يتلو كلامَه هذا، كأنه يقول: والله للأمرُ هذا الذي أذكره لك بعد كلامي هذا، وبيت زهير منه، لأنه قال بعده:

لئن حَللتَ بجَوٍّ في بني أسدٍ   في دِين عمروٍ وحالتْ بيننا فدَكُ[٣]

يريد أن الجملة التي هي جواب القسم (للأمر هذا) و (الأمر) مبتدأ، وخبره (هذا) واللام تدخل على المبتدأ إذا كان جواب القسم، كما تقول: والله لزيد قائم، ولعمرو

(١) الكتاب: ٣/٥٠٠.

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٤/٢٤٠.

(٣) الكتاب: ٢/١٦٤.

ذاهب، فحذف المبتدأ مع اللام، وقدّم (ها) قبل القسم وهي في الأصل تكون في جواب القسم كما تقدم.[1]

٨. القضية الثامنة قضية الفصل بين كم ومميزها بفاصل:

يجوز الفصل بين (كم) ومميزها بفاصل إذا كان ظرفا أو جارًّا ومجرورًا، فإذا فصل بينهما فاصل تحتم النصب، ومما جاء منصوبا قول زهير:

تؤمُّ سنانًا وكم دونَه   من الأرض محدودبا غارُها[2]

والشاهد في قوله: (كم دونه من الأرض محدودبًا) حيث فصل بين (كم) و(محدودبًا) بالظرف والجار والمجرور، فانتصب (محدودبًا) وجوبًا عند البصريين.

قال سيبويه: "فإذا فصلت بين (كم) وبين الاسم بشيء استغنى عليه السكوتُ أو لم يستغنِ؛ فاحمله على لغة الذين يستعملونها بمنزلة اسم منون؛ لأنه قبيح أن يفصل بين الجار والمجرور، لأن المجرور داخل في الجار فصارا كأنهما كلمة واحدة، والاسم المنون يفصل بينه وبين الذي يعمل فيه، تقول: هذا ضارب بك زيدا، ولا تقول: هذا ضارب بك زيد".[3]

وزعم بعض قدماء النحويين أنَّ الأصل في تمييز كم الخبرية والاستفهامية النصب، ولا يكون الخفض فيهما إلا بتقدير مِن، كما تقدم في: على كم جِذعٍ؟ ويدلُّ

(١) شرح أبيات سيبويه: ٢٢٣/٢.

(٢) الكتاب: ١٦٥/٢.

(٣) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٤٨٧/٢.

عليه ظهورها، وقوّاه الخليل بأنَّ حروف الجر قد تُضمَر وتَعمل، كقوله (لاه أبوك)، ولقيتُه أمسِ، تريد: بالأمس؛ لأنهم لا يستعملونه إلا بالباء".[١]

وزعم قوم أَنَّهَا على كل حَال منونة، وَأَن مَا انخفض بعْدهَا ينخفض على إِضْمَار (من) وَهَذَا بعيد؛ لِأَن الخَافِض لَا يضمر؛ إِذْ كَانَ وَمَا بعده بمنزل شيء وَاحِد، وَقد ذَكرْنَاهُ بحججه مؤكدا وَمن فصل للضَّرُورَة بَين الْخَافِض والمخفوض فعل مثل ذَلِك في (كم) في الْخَبَر وَذَلِكَ قَوْله:

كم بجود مقرف نَالَ العلَا وشريف بخله قد وَضعه

وَقَالَ الآخر:

كم في بني سعد بن بكر سيد ضخم الدسيعة ماجد نفاع

والقوافي مجرورة وَقَالَ الاخر:

كم قد فاتني بَطل كمي وياسر فتية سمح هضوم

وَلَا يجوز أَن تفصل بَين الْخَافِض والمخفوض في الضَّرُورَة إِلَّا بحشو كالظروف وَمَا أشبههَا مِمَّا لَا يعْمل فِيهِ الْخَافِض؛ كَمَا تَقول: إِن الْيَوْم زيدا منطلق وَلَو كَانَ مَكَان (الْيَوْم) مَا تعْمل فِيهِ (إِن) لم يَقع إِلَى جَانبهَا إِلَّا مَعْمُولا فِيهِ وَلَوْلَا أَن هَذِه القوافي مخفوض لاختير في هذَيْن البَيْتَيْنِ الرّفْعُ، وتوقع (كم) على مرار من الدَّهْر، فَتكون (كم) ظرفا مَنْصُوبًا؛ لِأَن (كم) اسْم الْعدَد، فهي واقعة على كل مَعْدُود وَتقول: كم رجلا جَاءَك؟ فَإِنَّمَا تسْأَل بهَا عَن عدد الرِّجَال وَتقول: كم يَوْمًا لقِيت زيدا؟ فتنصبها؛ لِأَنَّهَا وَاقعَة على عدد الْأَيَّام واللقاء الْعَامِل فِيهَا، فَكَذَا كل مُبْهَم وَلَو قلت: كم يَوْمًا لقِيت فِيهِ زيدا؟ لكَانَتْ (كم) في مَوضِع رفع، كَأَنَّك قلت: أعشرون يَوْمًا لقِيت فِيهَا زيدا؟ إِلَّا أَن (كم) في هَذَا الْموضع اسْتِفْهَام، فهي في أَنَّهَا اسْم وَأَنَّهَا الحَرْف".[٢]

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل:١٠/٢٥.

(٢) المقتضب: ٣/٦١.

٩. القضية التاسعة قضية منع اسم القبيلة من الصرف

يمنع اسم القبيلة من الصرف، ومنعه لأنه مبني على معنى المؤنث، فإن أريد اسم القبيلة مُنِعَ ، وإن أريد به اسم أبي القبيلة كمعد وتميم صرف, أو أريد به اسم الأم كباهلة منع من الصرف، ومثله اسم البلدة والبقعة، لأنها أعلام لمؤنثات، وقد ورد اسم القبيلة ممنوعا من الصرف في شعر زهير. قال:

تُمدُّ عليهمْ من يمينٍ وأشمُلٍ بحورٌ له مِن عَهْدِ عادَ وتبعا[١]

فلم يصرف (عاد) و (تبّع) لأنه جعلهما قبيلتين ومثله:

لو شهد عادَ في زمان عادِ لابتزّها مبارك الجلاد

قال: وتقول هؤلاء ثقيف قسي، فتجعله اسم الحي وتجعل (ابن) وصفا كما تقول: كل ذاهب. كأنه جعل الأولاد هم (ثقيف) وجعلهم حيّا، ووصفهم بأبي، فهو يشبه قولك: كل ذهاب في حمل ذاهب وهو واحد على لفظ كل لا على معناه. [٢]

أنا ابنُ أبَاةِ الضَّيْمِ من آلِ مالكٍ وإنْ مالكُ كانت كرامَ المعادنِ[٣]

"كما يصح منع الصرف على إرادة تأويلها بشيء مؤنث المعنى؛ كتأويل الأرض بالبقعة، وكذا القبيلة، ولفظها مؤنث أيضا، والحي بالبقعة أو بالجهة، وأسماء حروف الهجاء وحروف المعاني والأفعال. بالكلمة ... فأمثال تلك الأعلام الخاصة بشيء مما سبق يجوز فيها الصرف وعدمه بمراعاة أحد الاعتبارين السالفين. إلا إن وجد سبب آخر للمنع غير التأنيث المعنوي؛ فعند ذلك يراعى السبب الآخر -على الأرجح-

---

(١) الكتاب: ٢٥١/٣.

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٢١/٤.

(٣) شرح الكافية الشافية: ٥٠٩/١.

كتغلب، علم قبيلة؛ فيمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل. وكذا: (تعز) علم بلد يمنيّ... ومثل (بغدان) علم على بغداد؛ فيمنع من الصرف للعلمية والزيادة وهكذا".[1]

فلم يصرف (سبأ) لأنه جعله اسمًا لقبيلة حملًا على المعنى، وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴾[2]، فلم يصرف (ثَمُودَ) الثاني؛ لأنه جعل اسمًا للقبيلة حملًا على المعنى... وقال الآخر:

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوَلِيدُ سَمَاحَةً   وكَفَى قريشَ المُعْضِلَاتِ وسَادَهَا

فلم يصرف (قريش) لأنه جعله اسمًا للقبيلة حملًا على المعنى، والحمل على المعنى كثير في كلامهم، قال الشاعر:

قامت تُبَكّيهِ على قبره   من لي من بعدك يا عَامِرُ[3]

و"صرف أسماء القبائل والأرضين والكلم، ومنعه مبني على المعنى، فإن كان اسم أب نحو: معد وتميم ولخم وجذام، أو اسم حي: كـ (قريش) وثقيف، أو اسم مكان: كـ (بدر وثبير)، أو اسم لفظ نحو (كتب زيدًا فأجاده) صرف إلا إن كان فيه مانع نحو: تغلب، فتمنعه كان اسم حي أو قبيلة؛ لموجب منع الصرف فيه؛ وقد أخطأ الزجاجي في جعله منصرفًا إذا أريد به اسم الحي، وإن كان اسم أم كـ باهلة وسدوس وسلول بنت زبان بن امرئ القيس في قضاعة، أو اسم قبيلة: كـ مجوس ويهود، أو اسم بقعة كفارس وعمان، أو اسم كلمة نحو: كتب زيدًا فأجادها، منع الصرف".[4]

١٠. القضية الحادية عشرة قضية عمل اسم الفاعل منونا:

يجوز في اسم الفاعل ومعموله أن يأتي اسم الفاعل منونا ومعموله منصوب على أنه مفعوله باللفظ، ويجوز أن يكون اسم الفاعل محلّى بأل وما بعده منصوب على أنه

---

(١) النحو الوافي: ٢٣٩/٤.

(٢) سورة هود: ١١/ ٦٨.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٤١٢/٢-٤١٣.

(٤) ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٨٨٣.

مفعول به، ويجوز أن يكون اسم الفاعل مضافا ومعموله مضافا إليه، والشاهد قول زهير: أَهْوَى لها أَسْفَعُ الخَدَّيْنِ مُطَّرِقٌ رِيشَ القَوَادِمِ لم تُنصَبْ له الشبك[١]

وقول العجّاج: مُحْتَبِكٌ ضَخْمٌ شؤُوْنَ الرَّأْسِ[٢]

والشاهد فيهما تنوين (مطرق) ونصب (ريش القوادم)،[٣] وتنوين (محتبك) وإعماله في (شؤون) نصبًا.

خاتمة:

لا شك في أن النحاة قاسوا على الفصيح من كلام العرب، وقعّدوا قواعدهم، لكنّ الشواهد التي اعتمدتُ عليها في هذا البحث من الفصيح المسموع من كلام العرب، ولا يُشك في فصاحة قائلها، إذ هو زهير بن أبي سلمى، واحد من عبيد الشعر، وأصحاب الحوليات، ولا يجوز بحال وصفُ لغته بالضعيفة أو الرديئة، ولاسيما إذا قُوّيت من جانب آخر، كما في تعقيب سيبويه على شاهد العطف على التوهم؛ إذ وصف لغته باللغة الرديئة، والذي أراه أن هذه الشواهد ليست بلغة رديئة، وإنما هي لغة بيانية، كان على اللغويين ألّا يخطّئوها، بل كان عليهم أن يلتفتوا إلى الجانب البلاغي فيها ليبحثوا لها عن علّة بيانية، نظرا إلى أنها تمثّل مستوى عالٍ في اللغة يرتفع عن لغة الخطاب والتواصل إلى مستوى التعبير والتأثير.

وأوصي بأن تُدرس هذه الشواهد دراسة بلاغية أسلوبية لاكتناه جوانب الجمال اللغوي فيها، وبيان سبب خروجها عن القاعدة النحوية.

---

(١) الكتاب: ١/١٤٥.

(٢) الكتاب: ١/١٩٦.

(٣) شرح أبيات سيبويه: ١/٥٦.

المصادر والمراجع

ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، ط١: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٨

الاقتراح في أصول النحو، السيوطي جلال الدين، تح: عبد الحكيم عطية، ط٢: دار البيروني، دمشق، ٢٠٠٦م

ألفية ابن مالك، ابن مالك الطائي الجياني، ط: دار التعاون، د.ت

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين كمال الدين أبو البركات الأنباري، ط١: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: د. حسن هنداوي، ط: دار القلم - دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، د.ت

خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧

الخصائص، أبو الفتح ابن جني، تح: محمد علي النجار، ط: عالم الكتب، بيروت، د.ت

شرح أبيات سيبويه، ابن السيرافي، تح: محمد علي الريح هاشم، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م

شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك الطائي الجياني، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، ط١: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. ١٩٩٠م

شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهري، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام جمال الدين الأنصاري، تح: عبد الغني الدقر، ط: الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، د.ت

شرح شواهد المغني، جلال الدين السيوطي، عناية: أحمد ظافر كوجان، ط: لجنة التراث العربي. ١٩٦٦

شرح كتاب سيبويه، أبو الحسن الرماني، تحقيق: سيف بن عبد الرحمن العريفي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٨م.

شرح الكافية الشافية، ابن مالك الطائي الجياني، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة. ١٩٨٢م.

شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م

ظاهرة الحمل على التّوهم في النّحو، قاسم محمد صالح، جامعة جرش، د.ت
https://www.majma.org.jo/ojs/index.php/JJaa/article/download/515/114 /

الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

مجاز القرآن، معمر بن المثنى البصري، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٣٨١هـ.

معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تح: عبد الفتاح الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ت

معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٠م.

المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت. د.ت

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام جمال الدين الأنصاري، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦: دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري جار الله، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م.

النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، علي الجارم ومصطفى أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت

النحو الوافي، حسن عباس، ط١٥: دار المعارف، د.ت

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت

إفادة المرام في إشارات النورسي

دراسة أسلوبية

د. أحمد محمود زكريا توفيق

جامعة حران، تركيا

البريد الإلكتروني: Dr.ah.zak@gmail.com

معرف (أوركيد): 0000-0001-5900-2949

بحث أصيل الاستلام: ٢٥-٩-٢٠٢٣ القبول: ١٥-١٠-٢٠٢٣ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

في الوقت الذي تسعى فيه الدراسة الأسلوبية إلى الوقوف على الوسائل اللغوية التي تمنح نصا أو خطابا ما سماته المميزة وخصائصه الفارقة، فإن الباحث الأسلوبي مَعْنِيٌّ كذلك بالكشف عن القيم الجمالية في النص ومدلولاتها، وفي سبيل ذلك الهدف يستعين بعدد من الإجراءات في تحليل الخطاب أيا كان نوعه؛ وفي تلك المقالة التي بين أيدينا سعى الباحث إلى دراسة نص "إفادة المرام" من كتاب "إشارات الإعجاز" لبديع الزمان النورسي، حيث تناول النورسي الأسباب التي دفعته إلى تصنيف كتابه، كما كشف عن مرامه المقصود وهدفه المنشود، وقد قام البحث على مطلبين: الأول نظري يعرض مفهوم الأسلوب لغة واصطلاحا من جهة ويستعرض أنواع الأسلوب وخصائصه وأوجه استعماله مع التمثيل لكل لون من جهة أخرى، والمطلب الثاني تطبيقي يتناول بالتحليل نص "إفادة المرام" بالدرس والتحليل بالوقوف على مستوياته الصوتية والمعجمية والتركيبية، ثم خاتمة بأهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية:

علم اللغة، الأسلوبية، سعيد النورسي، إشارات الإعجاز

للاستشهاد/ Atif İçin / For Citation: توفيق، أحمد محمود زكريا. (٢٠٢٣). إفادة المرام في إشارات النورسي دراسة أسلوبية. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٢٧٥- ٢٩٩ https://www.daadjournal.com/

"Ifadat al-Maram" in Nursi's Signs Stylistic study

Ahmed Mahmoud Zakaria Tawfik

Assistant Professor, Harran University, Turkey

E-mail: Dr.ah.zak@gmail.com

Orcid ID: 0000-0001-5900-2949

Research Article Received: 25.09.2023 Accepted: 15.10.2023 Published: 31.10.2023

Abstract:

At a time when the stylistic study seeks to identify the linguistic means that give a text or speech its distinctive features and distinguishing characteristics, the stylistic researcher is also concerned with revealing the aesthetic values in the text and their meanings, and for that goal he uses a number of procedures in analyzing the discourse, whatever its type.. In that article that is in our hands, the researcher sought to study the text "Ifadat al-Maram" from the book "Isharat al-I'jaz" by Badi al-Zaman Nursi. The text is exquisite in its style and unique in its wording. In it, Nursi discussed the reasons that led him to compile his book, and also revealed his intended goal and desired aim. The research was based on two objectives: The first is theoretical, presenting the concept of style linguistically and terminologically on the one hand, and reviews the types of style, its characteristics, and aspects of its use, along with the representation of each type on the other hand. The second requirement is applied and deals with the analysis of the text of the lesson's benefit and the analysis of the pause at its phonetic, lexical and syntactic levels. This was followed by a conclusion with the most important results of the research.

Keywords:

Arabic language and literature, linguistics, stylistics, Saeed Nursi, signs of miracles.

تقديم:

منذ عهد النبوة ومع نزول الوحي تترا أقبل المسلمون على القرآن يتلونه حق تلاوته، ويتدبرون معانيه، وكان لكبار الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم دور كبير في بيان مراميه وتفسير أحكامه بما منحهم الله من سعة أفق، ودقة بصيرة، وسار على دربهم التابعون وتابعو التابعين على مر العصور، فظهرت المصنفات تباعا تُعنى بتأويل القرآن وتقف على أسرار إعجازه وتكشف عن أوجه النظم الفريد حتى بلغت من الكثرة مبلغا، وفي الوقت الذي شهد مفسرين يكررون سابقيهم تلخيصًا أو ترتيبًا أو تحشية كان ثمة مفسرون آخرون قد فتح الله عليهم من بركاته، فاختص كل واحد منهم بموضوعه الذي برع فيه، وأسلوبه الذي أجاده، فصاروا لآلئ متلألئة في تاريخ التفسير.

ويعد الإمام بديع الزمان سعيد النورسي واحدًا من المفسرين الذين تميزوا بأسلوب خاص، وطريقة غير مطروقة، وكان رجاؤه أن تكون وجها من وجوه التأويل، والحق أنها لم تكن كذلك فحسب، بل إن شئت قل: ووجهًا من وجوه التعبير عن التأويل، حيث استطاع النورسي أن يعلو بلغته من حيث الدقة والتلوين والإيجاز شأوًا عاليًا، ونحن إذ نقرأ رسائل النور بشكل عام وفي إشارات الإعجاز بشكل خاص نلحظ بوضوح تأثره ببلاغة القرآن، فجاءت إشاراته رشيقة، وعباراته لطيفة، وتشبيهاته جذابة، وحججه قاطعة.

وعليه فإن الباحث يسعى في مقالته إلى الوقوف على خصائص الأسلوب لدى النورسي، والكشف عن ملكات الكتابة الأدبية لديه، وأسرار صنعته الأسلوبية، من خلال عينة مختارة من ثمرة يراعه، في نص بديع أودعه فاتحة إشاراته، وجعله قسمين وضع للأول عنوان "إفادة المرام"، ولصنوه "نتيجة المرام"، ما يتطلب أن تقوم الدراسة على مطلبين: الأول نظري، والثاني تطبيقي تحليلي، تعقبها خاتمة تلخص جملة محصلات البحث.

١. درس نظري:

١.١. الأسلوب لغة:

الطَّرِيق المستوي[١]، وقيل: الْوَجْهُ وَالْمَذْهَبُ وَالْفَنُّ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب[٢]، ويقال: إن كل شيء امتد من غير اتساع، فهو: أسلوب على وزن أُفعُول، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ[٣]، وَمِنْهُ قَوْلُهُم للمتكبّر: "إِنَّمَا أَنْفُهُ في أُسْلُوب"، وَيُقَال: أَخذ فلَان فِي أَسَالِيبَ مِنَ الْقَوْلِ أَيْ فُنُونٍ مِنْهُ[٤]، أَمَّا قَوْلُهُمْ: فُلَانٌ عَلَى أُسْلُوبٍ مِنْ أَسَالِيبِ الْقَوْمِ فَيَعْنِي عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِهِمْ[٥]، ومنه أَسَالِيْبُ الشِّعْرِ ومَذَاهِبُه، وكانَ ذلك على أُسْلُوْبِ الدِّهْرِ: أي على وَجهِه[٦]، وللمفارقة فإن مقابله في الإنجليزية كلمة (Style) تحمل الدلالة اللغوية نفسها[٧].

١،٢ الأسلوب اصطلاحًا:

باستقراء مظان المصادر التراثية التي يمكن أن تكون تناولت مفهوم الأسلوب بمعناه الاصطلاحي، وقفنا على ما يمكن اعتباره إشارة له؛ حيث أومأ إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت. ٢٠٩) في معرض حديثه عن أشعر الشعراء في الجاهلية، وأرجع تصنيف بعضهم للأعشى واحدا منهم، إلى أنه "سلك أساليب لم يسلكوها"[٨]، وكان يعني بالأسلوب التراكيب الخاصة والصور المستحدثة والأخيلة المستجدة، فضلا عن الأغراض الكثيرة التي نظم فيها الأعشى شعره، أما ابن قتيبة الدينوري (ت. ٢٧٦) فقد كره أن يسلك

(١) المخصص: ٣٠٩/٣.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: "سلب" ٧١/٣

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: "سلب" ٣١٥٨/٥

(٤) جمهرة اللغة: "سلب" ٣٤٠/١

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢٨٤/١

(٦) المحيط في اللغة: ١٠٩/٣.

(٧) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: ٩٣.

(٨) الديباج: ٧.

الناظم "الأساليب التي لا تصحّ في الوزن ولا تحلو في الأسماع"[١]، ثم وجه اعتناء كل من الشاعر والخطيب والكاتب إلى اتباع جملة من الأساليب فيحسن اختيار الروي، ويعمد إلى الألفاظ السهلة، البعيدة من التعقيد، القريبة من فهم العامة؛ كما عدَّ ابن سنان الخفاجي (ت. ٤٦٦) اختلاف الأبيات والفصول في الطول والقصر خروجًا عن أسلوب المنظوم والمنثور[٢]؛ أراد عادتهم في الصنعة؛ وكان عبد القاهر الجرجاني (ت. ٤٧١) أكثر وضوحا فقال: "الأسلوب: الضْربُ مِنَ النْظم والطريقةُ فيه"[٣]، يعنى الصورة الشعرية وطريقة التعبير عنها؛ فإذا وصلنا إلى حازم القرطاجني (ت. ٦٨٤) وجدناه يتحدث عن الأسلوب باعتباره هيئة تحصل نتيجة التأليف بين المعاني ومتابعة الألفاظ والعبارات والانتقال من بعضها إلى بعض[٤]، وهو ما ذهب إليه ابن خلدون (ت. ٨٠٨) فذكر أن الأسلوب عند أهل الصناعة عبارة عن "المنوال الّذي ينسج فيه التّراكيب أو القالب الّذي يفرغ به"[٥]؛ أراد بالمنوال الصّورة التي ترتسم في الذهن مثل القالب الّذي يبنى فيه، وتتشكل هذه القوالب في الذهن باستظهار أشعار العرب وحفظ كلامهم.

أما الكتاب المحدثون فقد عرفوا الأسلوب بأنه "طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة"[٦]، وقيل: "هو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[٧].

---

(١) الشعر والشعراء: ١٠٣/١.

(٢) سر الفصاحة: ١٩٢.

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني: ٤٦٨.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٦٣، ٣٦٤.

(٥) المقدمة: ٧٨٨/١.

(٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٢٢.

(٧) الأسلوب: ٤٤.

٣.١ أنواع الأسلوب:

رغم أن لكل كاتب أسلوبه الخاص، وطريقته في التعبير، إلا أنه يبقى موسومًا بسمات محددة تجعله يدخل في إطار التصنيف مع آخرين، وبالنظر إلى نصوص الخطاب بكافة أنواعه أمكن تحديد الأساليب المستخدمة في ثلاثة أنواع:

١.٣.١ الأسلوب العلمي العقلاني:

وهو أسلوب مستعمل في نقل الحقائق العلمية بتجرد وحياد دون إفراط أو تفريط، وهو في سبيل ذلك يتجنب الكنايات والتشبيهات والمجاز، ويخلو من الصور الفنية في العموم، هدفه مخاطبة عقل المتلقي وإقناعه بالأفكار التي يشتملها النص، ولذلك عادة ما يستعمله الباحثون والعلماء في طرح نظرياتهم والاستدلال عليها.

٢.٣.١ الأسلوب الأدبي التصويري:

وهو أسلوب مستعمل في نقل المشاعر والأفكار في إطار فني تصويري، بهدف التأثير في نفس المتلقي وتحويل مشاعره لتتوحد مع الحالة النفسية التي تلتبس الكاتب أثناء إبداعه النص، وهو لتحقيق تلك الغاية يعتمد على المجاز والصور الفنية والمحسنات البديعية والكنايات والتشبيهات وتنوع الأساليب بين الخبر والإنشاء، ولذلك عادة ما يستعمله الأدباء والشعراء وكتاب القصة والرواية والمسرحية ونحو ذلك.

٣.١.٣ الأسلوب الخطابي:

وهو أسلوب مستعمل في تهييج الجماهير، واستنهاض الهمم، وتقوية العزائم في وقت الشدائد والأزمات، وهو في سبيل ذلك يعتمد على الحجج القوية، والكلمات الجزلة، والمرادفات الكثيرة، وتكرار الجمل والمعاني بأشكال مختلفة فضلاً عن وسائل أخرى تظهر عند تلقي هذا النص شفاهة، وهي وسائل متعلقة بكينونة الخطيب نفسه من حيث قوة شخصية ونبرة صوته وحسن أدائه.

وقد يمزج الكاتب بين أساليب عدة إذا كانت لديه الحرية في اختيار أسلوبه، دفعًا للسأم والملل الذي قد يصيب المتلقي من استعمال أسلوب واحد في الكتابة، وربما لطبيعة الموضوع الذي يتناوله الكاتب حيث تفرض عليه تنوعا في الأسلوب.

وجدير بالذكر أن النورسي نفسه تناول الأسلوب وجعله ثلاثة أنواع: **الأسلوب المجرد**، وجعل خصائصه الاختصار وعدم التكلف والتلون، ويستمل في المناظرات وعلوم الآلة ممثلاً له بكتب السيد الجرجاني، ثم **الأسلوب المزين**، وجعل خصائصه التزيين وتحريك القلوب، ويستعمل في الخطابيات والإقناعيات ممثلاً له بدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، أما **الأسلوب العالي** فهو أسلوب فريد وخاص جدا، وجعل خصائصه القوة والهيبة والعلوية الروحانية ومقامه الإلهيات ممثلاً له بالقرآن الكريم(١).

٢. درس تحليلي تطبيقي:

١.٢ النص محل الدراسة:

آثرنا أن ننقل النص محل الدراسة إلى المقالة لأهداف عدة منها التيسير على القارئ، والتخفف من الإحالة، والحفاظ على الوحدة العضوية للنص؛ التي بدونها يصعب فهم الدلالة الأسلوبية للنص بأكمله.

إِفَادَةُ الْمَرَام

أَقُولُ: لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ جَامِعًا لِأَشْتَاتِ الْعُلُومِ وَخُطْبَةً لِعَامَّةِ الطَّبَقَاتِ فِي كُلِّ الْأَعْصَارِ، لَا يَتَحَصَّلُ لَهُ تَفْسِيرٌ لَائِقٌ مِنْ فَهْمِ الْفَرْدِ الَّذِي قَلَّمَا يَخْلُص مِنَ التَّعَصُّبِ لِمَسْلَكِهِ وَمَشْرَبِهِ؛ إِذْ فَهْمُهُ يَخُصُّهُ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةُ الْغَيْرِ إِلَيْهِ إِلَّا أَنْ يُعَدِّيهِ قَبُولُ الْجُمْهُورِ، وَاسْتِنْبَاطُهُ - لَا بِالتَّشَهِّي - لَهُ الْعَمَلُ لِنَفْسِهِ فَقَطْ، وَلَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَى الْغَيْرِ إِلَّا أَنْ يُصَدِّقَهُ نَوْعُ إِجْمَاعٍ.

(١) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ٣٤٩.

فَكَمَا لَابُدَّ لِتَنْظِيمِ الْأَحْكَامِ وَاطِّرَادِهَا وَرَفْعِ الْفَوْضَى - النَّاشِئَةِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْفِكْرِ مَعَ إِهْمَالِ الْإِجْمَاعِ - مِنْ وُجُودِ هَيْئَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ الَّذِينَ - بِمَظْهَرِيَّتِهِمْ لِأَمْنِيَّةِ الْعُمُومِ وَاعْتِمَادِ الْجُمْهُورِ - يَتَقَلَّدُونَ كَفَالَةً ضِمْنِيَّةً لِلْأُمَّةِ، فَيَصِيرُونَ مَظْهَرَ سِرِّ حُجِّيَّةِ الْإِجْمَاعِ الَّذِي لَا تَصِيرُ نَتِيجَةُ الْاجْتِهَادِ شَرْعًا وَدُسْتُورًا إِلَّا بِتَصْدِيقِهِ وَسكَّتِهِ، كَذَلِكَ لَابُدَّ لِكَشْفِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَجَمْعِ الْمَحَاسِنِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي التَّفَاسِيرِ وَتَثْبِيتِ حَقَائِقِهِ - الْمُتَجَلِّيَةِ بِكَشْفِ الْفَنِّ وَتَمْخِيضِ الزَّمَانِ - مِنَ انْتِهَاضِ هَيْئَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَخَصِّصِينَ، الْمُخْتَلِفِينَ فِي وُجُوهِ الِاخْتِصَاصِ، وَلَهُمْ مَعَ دِقَّةِ نَظَرٍ وُسْعَةُ فِكْرٍ لِتَفْسِيرِهِ.

نَتِيجَةُ الْمَرَامِ:

إِنَّهُ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ مُفَسِّرُ الْقُرْآنِ ذَا دَهَاءٍ عَالٍ وَاجْتِهَادٍ نَافِذٍ وَولَايَةٍ كَامِلَةٍ، وَمَا هُوَ الْآنَ إِلَّا الشَّخْصُ الْمَعْنَوِيُّ الْمُتَوَلِّدُ مِنَ امْتِزَاجِ الْأَرْوَاحِ وَتَسَانُدِهَا وَتَلَاحُقِ الْأَفْكَارِ وَتَعَاوُنِهَا وَتَظَافُرِ الْقُلُوبِ وَإِخْلَاصِهَا وَصَمِيمِيَّتِهَا، مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْهَيْئَةِ، فَبِسِرِّ لِلْكُلِّ حُكْمٌ لَيْسَ لِكُلٍّ كَثِيرًا مَا يُرَى آثَارُ الاجْتِهَادِ وَخاصةُ الْوِلَايَةِ، وَنُورُهُ وَضِيَاؤُهَا مِنْ جَمَاعَةٍ خَلَتْ مِنْهَا أَفْرَادُهَا.

ثُمَّ إِنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ مُنْتَظِرًا وَمُتَوَجِّهًا لِهَذَا الْمَقْصدِ بِتَظَاهُرِ هَيْئَةٍ كَذلِكَ - وَقَدْ كَانَ هَذَا غَايَةُ خَيَالِي مِنْ زَمَانٍ مَدِيدٍ - إِذْ سَنَحَ لِقَلْبِي مِنْ قَبِيلِ الْحِسِّ قَبْلَ الْوُقُوعِ تَقَرُّبُ زَلْزَلَةٍ عَظِيمَةٍ، فَشَرَعْتُ - مَعَ عَجْزِي وَقُصُورِي وَالْإِغْلَاقِ فِي كَلَامِي - فِي تَقْيِيدِ مَا سَنَحَ لِي مِنْ إِشَارَاتِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ فِي نَظْمِهِ وَبَيَانِ بَعْضِ حَقَائِقِهِ، وَلَمْ يَتَيَسَّرْ لِي مُرَاجَعَةُ التَّفَاسِيرِ. فَإِنْ وَافَقَهَا فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَإِلَّا فَالْعُهْدَةُ عَلَيَّ.

فَوَقَعَتْ هَذِهِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى، فَفِي أَثْنَاءِ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الْجِهَادِ كُلَّمَا انْتَهَزْتُ فُرْصَةً فِي خَطِّ الْحَرْبِ قَيَّدْتُ مَا لَاحَ لِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْجِبَالِ بِعِبَارَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ بِاخْتِلَافِ الْحَالَاتِ، فَمَعَ احْتِيَاجِهَا إِلَى التَّصْحِيحِ وَالْإِصْلَاحِ لَا يَرْضَى قَلْبِي بِتَغْيِيرِهَا وَتَبْدِيلِهَا؛ إِذْ ظَهَرَتْ فِي حَالَةٍ مِنْ خُلُوصِ النِّيَّةِ لَا تُوجَدُ الْآنَ، فَأَعْرِضُهَا لِأَنْظَارِ أَهْلِ الْكَمَالِ لَا لِأَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِلتَّنْزِيلِ، بَلْ لِيَصِيرَ - لَوْ ظَفِرَ بِالْقَبُولِ - نَوْعَ مَأْخَذٍ لِبَعْضِ وُجُوهِ التَّفْسِيرِ، وَقَدْ سَاقَنِي شَوْقِي إِلَى مَا هُوَ فَوْقَ طَوْقِي، فَإِنِ اسْتَحْسَنُوهُ شَجَّعُونِي عَلَى الدَّوَامِ.

وَمِنَ اللهِ التَّوْفِيقُ.

٢.٢. المستوى الصوتي:

يدور الخلاف بين اللغويين حول مدى القدرة الدلالية التي يمتلكها الصوت باعتباره أصغر وحدة لغوية؛ فبينما ذهب بعضهم إلى أنه لا علاقة بين أصوات الكلمة والمعنى الذي تعبر عنه، ورأوا في السعي لإثبات تلك الرابطة قدرا من التكلف والتعسف[١]، ذهب آخرون إلى أن الصوت يحمل في ذاته قيمة دلالية، وبالتالي لا يمكن تجاهل المناسبة القائمة بين الأصوات ومدلولاتها، بل إن هناك من ذهب إلى أكثر من ذلك، فوضع لكل صوت دلالة خاصة به[٢].

وفي المقابل فإن ثمة اتفاقا حول الطاقة التعبيرية التي يمكن أن يحدثها الصوت في النص؛ "لفض مغاليقه الدلالية"[٣] بواسطة المؤثرات الصوتية النوعية والدلالة الإيقاعية المتمثلة في النبر والتنغيم والجهر والهمس والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق وغير ذلك، ولا فرق هنا بين النثر والشعر، فكلاهما له موسيقاه الخاصة وبالتالي فإن رصد تلك الدلالات في نص ما قد يكشف لنا مدى التلاؤم بين الموسيقى الداخلية النابعة من ثنايا العمل الأدبي من جهة والحالة النفسية للأديب ومضمون النص من جهة أخرى؛ فضلا عن الوقوف على بعض الخصائص الفنية في أسلوب كاتبه، وهو ما قمنا باستقرائه في نصي "إفادة المرام ونتيجة المرام".

حيث ظهر توزيع الأصوات التي استعملها الكاتب من حيث الجهر والهمس على النحو التالي:

---

(١) من أسرار اللغة: ٥٠: ٥٢.

(٢) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي:63.

(٣) من الصوت الى النص نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري: ٢٢.

	الأصوات	عدد تكرارها
الأصوات المجهورة	ب	٣٩
	ج	٢٩
	د	٣٦
	ذ	١٤
	ر	٦٣
	ز	٩
	ض	١٠
	ظ	١٢
	ع	٤٩
	غ	٥
	ل	١٧٠
	م	٩٨
	ن	٧٩
الأصوات المهموسة	ت	٧٢
	ث	٥

	ح	٢٤
	خ	١٦
	س	٢٦
	ش	١٢
	ص	٢٤
	ط	٨
	ف	٥٧
	ق	٤٤
	ك	٣٠
	ه	٧١

بالنظر إلى بيانات الجدول السابق نلاحظ غلبة الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة، وهو أمر رغم أنه يبدو بديهية؛ حيث تمنح الأصوات المجهورة الكلام سمته المميز، وإيقاعه الذي ينافي حالة الصمت، إلا أنه قد يشي بدلالات إضافية بالنظر إلى مدى توافقها مع الغرض من النص؛ حيث يؤسس النورسي لمشروعه الفكري، ويبدي حرصًا شديدا على إسماع مريديه منهجه في تفسير القرآن، وبالتالي فهو يحتاج إلى اعتماد فونيمات تتسم بالقوة، لا تترك أمام القارئ مجالا سوى الإنصات، وهذا لا يعني خلو النص من الأصوات المهموسة التي قد تمثل محطات استراحة للأوتار الصوتية حيث لا تتذبذب عند النطق بها، كما أنها تسمح بمساحة من الهدوء والسكينة يتمكن فيها كل من

المتحدث والمستمع من تدبر المعاني المكنونة في ثنايا الكلام، فضلا عما تحمله من معاني اللطف والحنو؛ للتأثير على قلب المستمع بشكل غير مباشر وتحريك مشاعره بصورة إيجابية سعيًا نحو تحقيق الهدف الأسمى للخطاب.

وعن طريق هذا التمازج بين الجهر والهمس ينشأ لنا نص إيقاعي متوازن يعبر عن حالة انفعالية طبيعية لا تتسم بالتوتر أو التشنج والتعصب.

٢.٢.١. دلالة التكرار:

لا شك أن تكرار صوت ما في خطاب ما يشكل جرسا خاصا كما يصنع إيقاعا من الموسيقى الداخلية، تنبعث بين ثنايا النص، وقد يحدث هذ التكرار في أجزاء مختلفة منه، فقد تلاحظه في المقاطع النبرية وكما تجده في أوائل الجمل، فقد ترصده في أواخرها، وتارة تجده في آخر جملة وأول جملة تالية وهذا بدوره يخلق هندسات موسيقية متنوعة.

ويمكن التمثيل على هذا التكرار الموسيقي داخل النص، فلننظر مثلا إلى تكرار حرف اللام في قوله: (أَقُولُ: لَمَّا)، والأمر نفسه مع تكرار الفونيمين الصوتيين العين والميم في النص التالي له (كانَ الْقُرْآنُ جَامِعًا لِأَشْتَاتِ الْعُلُومِ وَخُطْبَةً لِعَامَّةِ الطَّبَقَاتِ) وفونيم الفاء في النص التالي (تَفْسِيرٌ لَائِقٌ مِنْ فَهْمِ الْفَرْدِ)، وفونيما الفاء والهاء في نحو (فَهْمُهُ يَخُصُّهُ ... لِنَفْسِهِ فَقَطْ) وفونيم اللام الذي يتبادل المواقع بين جوانب النص التالي فتارة في أول الكلمة وتارة في آخرها: (فَأَعْرِضُهَا لِأَنْظَارِ أَهْلِ الْكَمَالِ لَا لِأَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِلتَّنْزِيلِ، بَلْ لِيَصِيرَ - لَوْ ظَفِرَ بِالْقَبُولِ) وأخيرا وليس آخرا انظر إلى تكرار فونيمي القاف والياء في نحو قوله (قَدْ سَاقَنِي شَوْقِي إِلَى مَا هُوَ فَوْقَ طَوْقِي).

وهكذا نلاحظ أن النص اشتمل على هندسات موسيقية متنوعة منحت القارئ متعة سمعية إضافية، كما أضفت على النص نفسه مسحة أدبية شعرية إن جاز التعبير.

٢.٢.٢ المقاطع الصوتية:

تشتمل الألفاظ العربية على وحدات صوتية، تؤلفها صوامت تتبعها صوائت قصيرة وطويلة تتوالى وفق ترتيب معين، ويختلف طولها من مقطع صوتي إلى آخر، لكنها تتفق في أنها لا تبدأ إلا بصامت أو نصف صائت، وتأتي بنية المقطع الصوتي في اللغة العربية على خمس صور:

- مقطع قصير مفتوح، ويتألف من صوت صامت يليه صائت قصير، فالفعل (ضَرَبَ) يتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة، هي: ضـَ / ـرَ / بَ.
- مقطع طويل مفتوح، ويتألف من صوت صامت يليه صائت طويل، فالفعل (قالوا) يتكون من مقطعين طويلين، هي: قا/ لو.
- مقطع طويل مغلق، ويتألف من صوت صامت يليه صائت قصير ثم صامت، ومن أمثلتها أسماء الاستفهام (مَنْ)، وَ(كَمْ) وحروف النفي "لَمْ" و"لَنْ"؛ حيث تتكون جميعها من مقطع طويل مغلق.

وهذه المقاطع الثلاثة هي الأكثر شيوعًا في اللسان العربي؛ حيث ترد في أول الكلمة ووسطها وآخرها، كما أنها تظهر في حالتي الوقف والوصل.

- مقطع مديد مغلق بصامت، ويتألف من صوت صامت يليه صائت طويل، ثم الوقف على الصامت التالي. ومن أمثلته الوقف على كلمة (سُورْ)؛ حيث تتكون من (ســ/ صامت)، و(ــو/ صائت طويل)، و(رْ/ صامت في حال الوقف).
- مقطع مديد مغلق بصامتين، ويتألف من صوت صامت يليه صائت قصير، فصامت، ثم الوقف على الصامت التالي. ومن أمثلته الوقف على كلمة (قَصْرْ)؛ حيث تتكون من (قـ/ صامت)، و(ـَ/ صائت قصير)، و(ـصـْ/ صامت)، (ـرْ/ صامت في حال الوقف).

وهذان المقطعان أقل شيوعًا في اللسان العربي؛ حيث يردان في آخر الكلمة، ويظهران غالبا في حالة الوقف.

وسنحاول الوقوف على أنواع المقاطع التي وردت في الفقرة الأولى من نص "إفادة المرام"، وما قد تعكسه من دلالات، على النحو التالي:

إِ	فَا	دَ	تُلْ	مَ	رَام
ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح ص
أَ	قُولْ	لَمْ	مَا	كَا	نَلْ
ص ح	ص ح ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص
قُرْ	آ	نُ	جَا	مِـ	عًا
ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص
لِ	أَشْـ	تَا	تِلْ	عُـ	لُو
ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح
مِ	وَ	خُطْ	بـَ	ـةً	لِ
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح
عَامْ	مَ	تِطْ	طَ	بـَ	قَا
ص ح ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ح
تَ	فِي	كُلْ	لِلْ	أَعْ	صَارْ

ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح ص
لَا	يَـ	تـَ	حَصْ	صَ	لُ
ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح
لـَ	ـهُ	تَفْ	سِيـ	رٌ	لَا
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح
ئـِ	قُ	مِنْ	فَهْ	مِلْ	فَرْ
ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص
دِلْ	لَـ	ذِي	قَلْ	لَـ	مَا
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح
يَخْـ	لـُ	صُ	مِـ	نَتْ	تَ
ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح
عَصْ	صُـ	بِ	لِ	مَسْـ	لَـ
ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح
كِـ	ـهِ	وَ	مَشْـ	رَ	بِهْ
ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص
إِذْ	فَهْـ	مُـ	ـهُ	يَـ	خُصْـ

ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص
صُ	ـهُ	لَيْ	سَ	لَ	ـهُ
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح
دَعْ	ـوَ	تُلْ	غَيْ	رِ	إِ
ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح
لَيْ	ـهِ	إِلْ	لَا	أَنْ	يُ
ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح
عَدْ	دِي	ـهِ	قَ	بُو	لُلْ
ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص
جُمْ	هُو	رِ	وَسْ	تِنْ	بَا
ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح
طُ	ـهُ	لَا	بِتْ	تَ	شَهْ
ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص
هِي	لَ	هُلْ	عَ	مَ	لُ
ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح
لِ	نَفْ	سِ	ـهِ	فَ	قَطْ

ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص
وَ	لَا	يَ	كُو	نُ	حُجْ
ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص
جَ	ـةً	عَ	لَلْ	غَيْ	رِ
ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح
إِلْ	لَا	أَنْ	يُ	صَدْ	دِ
ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح
قُ	ـهُ	نَوْ	عُ	إِجْ	مَاعْ
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ح ص

تتكون الفقرة الأولى المختارة كعينة من ١٦١ مقطعًا صوتيًا، ورد المقطع القصير المفتوح ٧٣ مرة، والمقطع الطويل المغلق ٥٨ مرة، ويليه المقطع الطويل المفتوح ٢٥ مرة أما المقطع الصوتي المديد المغلق بصامت فقد ورد خمس مرات في حال الوقف، (رام/ قول/ عام/ صار/ ماع) وكان من الممكن في حال الوصل تحويله إلى مقطعين أحدهما طويل مفتوح والأخر قصير مفتوح، وبالنسبة إلى المقطع المديد المغلق بصامتين فلم يرد بالنص، وهو أمر شائع في العربية؛ حيث يتخلص من التقاء الساكنين بحذف أحدهما أو تحريكه، ويتضح لنا مما سبق غلبة المقاطع القصيرة والطويلة على حساب المقاطع المديدة.

وفق هذه النتائج يمكننا القول إن أسلوب النورسي جاء منسجما صوتيا مع طبيعة الخطاب العربي حيث تشيع المقاطع الصوتية القصيرة والطويلة دون المديدة في شعرهم

ونثرهم على حد سواء وذلك لخفتها على اللسان ويسر التلفظ بها دون جهد أو تكلف بالإضافة إلى إيقاعها الموسيقي، على عكس المقاطع المديدة التي تحتاج إلى جهد أكبر في التلفظ بها لكنها في الوقت نفسه تتمتع بمدى زمني أطول وطاقة أكبر ما يجعلها أكثر وضوحًا في السمع.

أما عن الأثر الدلالي الذي يتركه استعمال تلك المقاطع الصوتية فيمكن ملاحظته عبر تناسقه مع الفكرة التي يحملها النص وملاءمته للحالة الشعورية التي تكتنف الكاتب، فالفقرة المختارة تعد تمهيدا للهدف من النص ومحاولة لتبصير القارئ بضرورة الوصول إلى هذا الهدف، حيث أشار الكاتب إلى الجانب الموسوعي في القرآن الكريم وصلاحيته كخطاب لكل الأزمنة والعصور، ما يستدعي تفسيرا يتميز بالصفات نفسها أو يكاد، وهو ما لا يطيقه فرد بحال، إذن كان الخطاب عقلانيا هادئا موجها إلى ذهن المتلقي بالدرجة الأولى، وهو ما يستلزم مقاطع صوتية متوازنة هادئة تتسم بالوضوح السمعي والقوة ولا ترهق القارئ في الوقت نفسه، وبالتالي كانت المقاطع الصوتية القصيرة والطويلة مناسبة تماما لإحداث ذلك الأثر.

٣.٢. المعجم اللغوي:

يشكل المعجم اللغوي لأي كاتب ملمحًا هامًّا في الكشف عن أسلوبه الأدبي، فمن خلال تتبع اختياراته لألفاظ دون ألفاظ، يمكننا الحكم عليها سلبًا أو إيجابًا وفقًا لمدى تناسبها مع المعنى، كذلك فإن تكرار بعض المفردات اشتقاقًا أو ترادفًا قد يسهم في ترابط النص واتساقه، فضلاً عن منحه إيقاعًا موسيقيًّا ما، أما عن أثره في المعنى فلا ريب أن في تكرار ذكر لفظة ما قد توحي بمركزيتها، ورغبة الكاتب في توجيه ذهن المتلقي إليها؛ لأن التكرار في النص ليس عملا اعتباطيا يجري دون قصد، بل هو تعبير عن حالة شعورية مسيطرة على الكاتب، والوقوف على رصده وتحليله يمنحنا فرصة لإدراك طبيعة تلك الحالة الوجدانية أو الفكرية وأثرها في إنشاء النص.

وبإحصاء المعجم اللغوي في نص "إفادة المرام" للإمام النورسي، تظهر لنا النتائج التالية في الجدول التالي:

عدد الكلمات	٣٥٥
عدد الأحرف	٢٨٥٨

وكانت نسبة تكرار الكلمات على النحو التالي:

من	١٤ (٤,١٤%)	القرآن	٣ (٠,٨٩%)
في	٩ (٢,٦٦%)	لي	٣ (٠,٨٩%)
لا	٦ (١,٧٨%)	كان	٢ (٠,٥٩%)
إلاّ	٤ (١,١٨%)	تفسير	٢ (٠,٥٩%)
ما	٤ (١,١٨%)	الذي	٢ (٠,٥٩%)
له	٣ (٠,٨٩%)	اذ	٢ (٠,٥٩%)
أن	٣ (٠,٨٩%)	ليس	٢ (٠,٥٩%)
لابد	٣ (٠,٨٩%)	الغير	٢ (٠,٥٩%)
مع	٣ (٠,٨٩%)	الجمهور	٢ (٠,٥٩%)
هيئة	٣ (٠,٨٩%)	يكون	٢ (٠,٥٩%)

بالنظر إلى النتيجة السابقة نلاحظ تكرارًا لبعض الحروف وأدوات الربط والصلة والاستثناء والنفي نحو (من، في، على، مع، لا، إلا، ما) وهي تؤدي دورا وظيفيا داخل

النص، فتعمل على تماسك جمله وترابط عباراته؛ أما ما يخص الأسماء المكررة فنلاحظ تكرارا مميزا لأسماء بعينها نحو (القرآن، هيئة، تفسير، الجمهور) وكأنها كلمات مفتاحية تعبر عن موضوع النص وتفصح عن قضيته، فالفكرة الرئيسة التي يحملها النص تشير إلى رغبة المؤلف في تكوين هيئة علمية جماعة لتفسير القرآن الكريم، وتكرار هذه الكلمات يصب في التأكيد على هذا الهدف، كما يشير إلى أن الفكرة ملحة في عقل الكاتب وانعكس ذلك على أسلوبه بطبيعة الحال؛ أما الفعل [يكون] فقد تكرر في سياقين مختلفين شكلا وإن اتحدا مضمونا فالأولى في قوله: (وَلَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَى الْغَيْرِ إِلَّا أَنْ يُصَدِّقَهُ نَوْعُ إِجْمَاعٍ). وهو نفي للكون والوقوع والتكرار الثاني في قوله: (إِنَّهُ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ مُفَسِّرُ الْقُرْآنِ ذَا دَهَاءٍ عَالٍ وَاجْتِهَادٍ نَافِذٍ وَولَايَةٍ كَامِلَةٍ) وهو استدعاء للكون وضرورة وقوعه، ومع ذلك فتكرار الكون يشير إلى الهدف الرئيسي للنص وهو أنه لا يمكن أن يكون التفسير ذا حجية على الجميع إلا إذا كان المفسر ذا ولاية كاملة وتحظى بقبول الجميع، أو بعبارة أخرى (يكون) التفسير حجة عندما (يكون) المفسر هيئة؛ فـ "الكون" هناك يقابله "كون" هنا أو العكس.

٤.٢. المستوى التركيبي:

يمنح تركيب الجملة للأديب مساحة إضافية للتعبير عن مراده والوصول إلى مقصده، بصورة تفوق ما تدل عليه ألفاظ الجملة نفسها؛ حيث تنتج الدلالة من اختيار نوع الجملة ابتداء، ثم تشكيل نمط أو قالب يستوعب المعنى وفق نظام اللغة وعبر تقنيات لغوية مثل التقديم والتأخير والوصف والحذف والاستبدال ونحو ذلك، حيث ينتقي منها الكاتب انتقاء ليصنع أسلوبه الخاص. وعلى المتلقي أن يبحث في ظلال المعنى المتولدة من ثنايا التركيب.

وباستقراء نص "إفادة المرام" للنورسي، تبين استخدامه لنوعي الجملة الاسمية والفعلية مع غلبة الفعلية على الاسمية، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

عددها	نوع الجملة
٣	الجملة الإسمية
٦	الجملة الإسمية المنسوخة
٢٣	الجملة الفعلية
٩	الجمل الفعلية المحولة

يلاحظ استعمال النورسي للجملة الفعلية في بناء نصه بدرجة أكبر، ليعبر عن أحداث كثيرة ووقائع جمة يشتمل عليها النص، بل إن تركيب الجملة الاسمية نفسه كان لا يخلو أحيانا من جملة فعلية صغرى تقع موقع الخبر نحو قوله: (إِذْ فَهْمُهُ يَخُصُّهُ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةُ الْغَيْرِ إِلَيْهِ)، وهو ما جمع بين دلالة الجملة الاسمية على الدوام والاستمرارية ودلالة الجملة الفعلية على الحدوث والتجدد، وقد كان لهذا التفوق العددي في استعمال الجملة الفعلية دور في منح النص ديناميكة وحركية وتجددا، كما أنه تناسب مع غاية المؤلف التي تسعى إلى تحريك همم العلماء واستنهاض المختصين للقيام بالمسئولية المنوطة بهم تجاه تفسير القرآن الكريم.

وقد لوحظ أيضا تناوب زمن الجملة الفعلية بين الماضي والمضارع، ولعل ذلك يرجع إلى أن النص يتناول قضية تتشعب فروعها، بين مسألة عامة وحقيقة واقعة من وجهة نظر الكاتب، شأنها شأن الدستور أو الناموس الكوني لا يتبدل ولا يتغير، وقد استعمل لها المضارع [البسيط](١)، نحو قوله (لَا يَتَحَصَّلُ لَهُ تَفْسِيرٌ لَائِقٌ مِنْ فَهْمِ الْفَرْدِ الَّذِي قَلَّمَا يَخْلُصُ مِنَ التَّعَصُّبِ لِمَسْلَكِهِ وَمَشْرَبِهِ/ يُعَدِّيهِ قَبُولُ الْجُمْهُورِ/ يُصَدِّقَهُ نَوْعُ إِجْمَاعٍ/) وهناك أحداث خاصة بالكاتب اختلف زمانها بين الماضي [التام] والمضارع [المستمر] نحو قوله: (فَوَقَعَتْ هَذِهِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى/كلما انْتَهَزْتُ فُرْصَةً فِي خَطِّ الْحَرْبِ قَيَّدْتُ مَا لَاحَ لِي/ ظَهَرَتْ

(١) وفقًا للتقسيم الزمني للفعل في الإنجليزية

فِي حَالَةٍ مِنْ خُلُوصِ النِّيَّةِ لَا تُوجَدُ الْآنَ، فَأَعْرِضُهَا لِأَنْظَارِ أَهْلِ الْكَمَالِ/ لَوْ ظَفِرَ بِالْقَبُولِ/ وَقَدْ سَاقَنِي شَوْقِي/ فَإِنِ اسْتَحْسَنُوهُ شَجَّعُونِي عَلَى الدَّوَامِ)، فالحرب العالمية حدث ماض لكنه أثره قائم يستلزم الإسراع في تدوين تلك الخواطر والإشارات.

كما لوحظ غياب صياغة الأمر داخل النص ويرجع ذلك إلى الكاتب لا يمتلك سلطة على المتلقى تمنحه القدرة على إصدار الأوامر والتعليمات، حتي إذا افترضنا وجود سلطة أدبية باعتباره عالما له مريدوه وتلاميذه فإن تواضعه وحياءه يمنعانه من ذلك، فضلاً عن أن الخطاب نفسه لا يقوم على الأمر والتكليف وإنما يعتمد على العرض والإقناع.

أما عن الجملة الاسمية فقد وردت في سياقات وصفية ومقامات تقريرية لإفادة الدوام والاستمرار.

خاتمة:

في نهاية هذا التحليل الأسلوبي لنص إفادة المرام لصاحبه بديع الزمان النورسي، يمكن الإشارة إلى جملة من النتائج منها:

- غلبة الفونيمات الصوتية المجهورة على الفونيمات الصوتية المهموسة جاء متوافقا مع النسب الطبيعية للخطاب في عمومه، حيث يغلب الجهر على الهمس، وكان دالاً على رغبة الكاتب في إسماع صوته والجهر بفكرته والحرص على وصولها كاملة نقية وغير مشوشة.
- التمازج بين المجهور والمهموس عبّر عن حالة نفسية مطمئنة لدى الكاتب وثبات انفعالي منشؤه وضوح كلٍّ من الهدف والوسيلة معًا.
- نجح الكاتب في تكوين موسيقى داخلية منحت نصا نثريا نغما مميزا، وذلك بواسطة تكرار فونيمات بعينها وتشكيل مجموعات صوتية وهندسات إيقاعية متنوعة.

- تكرار كلمات (هيئة، القرآن، تفسير، الجمهور) تشير إلى أهميتها داخل النص من حيث دورها في الكشف بوضوح عن الهدف الرئيسي من النص وتبدو مثل كلمات مفتاحية تعبر عن مكنونه والغرض من إنشائه.
- شيوع الجملة الفعلية يشير إلى كثرة الأحداث والوقائع التي يرصدها النورسي ويتكئ عليها في تمكين فكرته في العقول أو على الأقل تقريبها إلى الأفهام.
- تجنب الكاتب استعمال الفعل الأمر على أي وجه كان، يشير إلى حرصه على منح المتلقي الحرية الكاملة في تلقي فكرته بالقبول أو رفضها، فالخطاب ينبني على الحجة والبرهان لا على الجبر والإذعان.

المصادر والمراجع

الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.

إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، رئاسة الشئون الدينية التركية، أنقرة، ٢٠١٤م.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تح. مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥م.

تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، أسعد أحمد علي، دار السؤال، دمشق، ١٩٨٥م

جمهرة اللغة، بن دريد الأزدي، تحقيق. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، (القاهرة، ١٩٩٢م.

الديباج، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: عبد الله بن سليمان الجربوع - عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مطبعة الخانجي، القاهرة،١٩٩١م.

سر الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣م

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرين، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م.

علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م.

المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب بن عباد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه - كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، بدون تاريخ.

المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

من الصوت الى النص نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، مراد عبد الرحمن مبروك، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

عناصر التشكيل البياني في الأحاديث النبوية الشريفة الخاصة باستشراف المستقبل .. دراسة أسلوبية

عبد الملك يانجن

كلية الإلهيات، جامعة صقاريا، تركيا

البريد الإلكتروني

ayangin@sakarya.edu.tr

معرف (أوركيد)

0000-0003-0900-5441

رضا عبد السلام الشناوي

كلية الإلهيات، جامعة صقاريا، تركيا

البريد الإلكتروني

redaelsayed@sakarya.edu.tr

معرف (أوركيد)

0000-0001-8941-379X

بحث أصيل الاستلام: ١-٩-٢٠٢٣ القبول: ١٥-١٠-٢٠٢٣ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

تعد دراسة الأحاديث النبوية الشريفة التي تعنى بأسلوب التشكيل البياني من الموضوعات الهامة التي تتميز بغناها الفكري والبياني. يهدف هذا البحث إلى استقراء وتحليل الصور البيانية المستخدمة في الأحاديث النبوية المتعلقة باستشراف المستقبل. تتمثل أهمية البحث في تسليط الضوء على كيفية استخدام النبي صلى الله عليه وسلم للبيان في إيصال معانيه بأسلوب فني رفيع، والكشف عن الأبعاد البيانية في هذه الأحاديث. وينقسم البحث إلى قسمين رئيسيين، الأول متعلق بالاستشراف والثاني بالتشكيل البياني في الأحاديث المتعلقة بالمستقبل. يُظهر البحث كيف أن استشراف النبي صلى الله عليه وسلم للمستقبل ليس تكهنًا أو افتراضًا، بل هو مبني على وحي إلهي، ويبرز التوكيدات البيانية والصور الفنية التي تستخدم لتعزيز هذه الرؤية. البحث يخلص إلى أن السنة النبوية قدم استشرافًا دقيقًا للمستقبل مستندًا إلى الوحي، وتستعمل الصور البيانية بفعالية لإيصال هذه الرؤية بأسلوب فني وبلاغي مُبدع.

الكلمات المفتاحية:

البيان، الأحاديث النبوية، استشراف المستقبل، التشكيل البياني، الصور البيانية.

للاستشهاد/ **Atif İçin / For Citation** : عبد الملك، يانجين؛ رضا عبد السلام، الشناوي (٢٠٢٣). عناصر التشكيل البياني في الأحاديث النبوية الشريفة الخاصة باستشراف المستقبل..دراسة أسلوبية. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٣٠١- ٣٢٠ https://www.daadjournal.com/ //.

Elements of Rhetorical Formation in the Hadiths of Prophet That Are related to Future Forecasting (A Stylistic Study)

Abdulmelik Yangın,
Sakarya University, Turkey
E-mail: ayangin@sakarya.edu.tr
Orcid ID: 0000-0003-0900-5441

Reda Abdelsalam Elshenawy
Sakarya University, Turkey
E-mail: redaelsayed@sakarya.edu.tr
Orcid ID: 0000-0001-8941-379X

Research Article Received: 01.09.2023 Accepted: 15.10.2023 Published: 31.10.2023

Abstract:

The study of Hadiths is a significant topic marked by its intellectual and rhetorical depth. This research is designed to assemble and scrutinize the rhetorical imagery embedded in Hadiths related to future. This study is illuminating how Hadiths adeptly employed expressive techniques to impart meanings, characterized by their artistic sophistication, and to disclose the layered rhetorical nuances.

The research is structured into two segments. The initial segment delves into the concept of foresight, while the subsequent one is dedicated to exploring the rhetorical constructs within Hadiths. The findings underscore that Prophet Muhammad’s insights into the future are not personal predictions or assumptions. Instead, they are anchored in divine revelations. The narrative accentuates the rhetorical and artistic imagery that amplifies these profound insights. In conclusion, the prophet’s hadiths extend precise foresights of the future, firmly grounded in divine revelations. Rhetorical imagery plays a pivotal role in articulating these insights.

Keywords:

al-Bayan, Hadiths of the Prophet, Future Foresight, Rhetorical Formation, Figures of speech.

تقديم:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم واللسان، سيدنا محمد صاحب الفصاحة والبيان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. وبعد،

فإن منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغ كلام سمعته الآذان، وأفصح بيان استقر في الأذهان، ولله در الجاحظ حين وصف هذا البيان المحمدي فقال: "وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف... فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام"[(١)] ومن الثابت أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، وكان فيها كثيرٌ من أخبار الماضي وبعضا من أخبار المستقبل، وما ذلك إلا لأخذ الدروس والعظات والعبر، وقد أكدت السنة النبوية الشريفة على ضرورة استشراف المستقبل، بأخبار مستقبلية ضمت أحداثا كثيرة، وهذه الأخبار بعضها تحقق في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبعضها تحقق بعد ذلك، وبعضها يُنتظر وقوعه.

فالنبي ﷺ حين أولى هذا الجانب اهتماماً كبيراً ومنحه كثيراً من وقته وجهده، لم يكن الغرض من ذلك – في تقديري - تحذير من سيعايش تلك الأحداث فحسب إنما أراد أن أمته سبل التعامل مع هذه الأحداث ونظائرها، وهذا أمر يشمل كل الأجيال لأن النظائر موجودة في كل زمان ومكان، ومن هنا تكون أخبار المستقبل، مدرسة نبوية، عظيمة النفع، يفتقر المسلمون إلى الاطلاع عليها، ليتمكنوا من مجاوزة عقبات المستقبل بسلام، والإفادة من فرصه وعطائه.

---

(١) البيان والتبيين: ٢/١٣.

وفي طيات هذا البحث سيتم تسليط الضوء على بعض الأحاديث الخاصة باستشراف المستقبل والبحث في بيانها وتدبر معانيها فلا تزال السنة النبوية بحراً ذاخراً بأنواع العلوم والمعارف، تحتاج إلى سابح ماهر للحصول على لآلئها وددرها، والغوص في أعماقها.

يتعرض الباحث في هذا البحث إلى عناصر التشكيل البياني في الأحاديث النبوية الشريفة الخاصة باستشراف المستقبل عن طريق استقراء أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودراسة هذه الأحاديث واستخراج الصور البيانية المتنوعة التي جاءت فيها، حيث يتم فيها عرض الظاهرة وتحليلها، ومن ثَمّ استنباط النتائج منها.

١- نبذة عن الاستشراف

١-١- مفهوم استشراف المستقبل:

الاستشراف لغة:

أصله من شَرُفَ يَشْرُفُ شَرَفاً وشُرْفَةً وشَرْفَةً وشَرَافَةً، فَهُوَ شَرِيفٌ، وَالْجَمْعُ أَشْرافٌ. وأَشْرَفَ الشيءُ: عَلَا وَارْتَفَعَ، وَقِيلَ: اسْتِشْرافُ الْعَيْنِ والأُذن أَن يَطْلُبَهُمَا شَرِيفَيْن بِالتَّمَامِ وَالسَّلَامَةِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الشُّرْفةِ وَهِيَ خِيارُ الْمَالِ أَي أُمِرْنا أَن نَتَخَيَّرَهَا. وأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وأَشْفى: قارَبَ. وتَشَرَّفَ الشيءَ واسْتَشْرَفه: وَضَعَ يَدَهُ عَلَى حاجِبِه كَالَّذِي يَسْتَظِلُّ مِنَ الشَّمْسِ حَتَّى يُبْصِرَه ويَسْتَبِينَه. وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ مُطَيْر:"[١]

فَيا عَجَباً للناسِ يَسْتَشْرِفُونَني، ... كأَنْ لَمْ يَرَوا بَعْدي مُحِبّاً وَلَا قبْلي

(١) لسان العرب: ٩/١٧١.

وَفِي حَدِيثِ أَبي طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنه كَانَ حسَنَ الرمْي فَكَانَ إِذَا رَمَى اسْتَشْرَفَه النبي، صلى الله عليه وَسَلَّمَ، لِيَنْظُرَ إِلَى مَواقِعِ نَبْله أَي يُحَقِّقُ نَظَرَهُ ويَطَّلِعُ عَلَيْهِ".[١] والاسْتِشْرافُ: أَن تَضَع يَدَكَ عَلَى حَاجِبِكَ وَتَنْظُرَ، وأَصله مِنَ الشَّرَف العُلُوّ. مُطَيْر"[٢].

والاستشراف اصطلاحًا:

للاستشراف تعريفات كثيرة، منها:

"التطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي، وفهم الحاضر، والسنن الفاعلة فيها" وعرفه بعضهم بأنه: الوقوف على ربوة عالية لاستطلاع آفاق المستقبل المنظور، كل بحسب ما يسمح به ملء بصره وبصيرته، فالجهد الاستشرافي المستقبلي هو نوع من الحدس التاريخي المستند إلى قاعدة علمية"[٣]

و"علم المستقبليات أو ''الدراسات المستقبلية'' هو علم يختص بـ ''المحتمل'' و''الممكن'' و''المفضل'' من المستقبل إضافة إلى بعض الأحداث قليلة الاحتمال وذات التأثير الكبير، وقد تحول علم المستقبليات من التوجه الشخصي للإنسان منذ فجر التاريخ لمعرفة مستقبلهم بالتنبؤ والتنجيم الفردي وقراءة الطالع وابتداع الأساطير والخرافات، إلى علم مستقل بذاته، له أسسه ومنهجياته التي دخلت حيز التجريب والتي أعطت نتائج نعيشها في حاضرنا الذي كان مستقبل غيرنا، من خلال دراسات ومدارس ومؤسسات مختصة بذلك التي وضعت الأسس العلمية له وأوضحت معالمه ومبادئه."[٤]

---

(١) صحيح البخاري: ٤/٣٨.

(٢) لسان العرب: ٩/١٧١.

(٣) أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية: ٥.

(٤) المنظمات الفكرية للدراسات المستقبلية: ٣ يونيو ٢٠١٧ –
http://www.abudhabienv.ae/news-28533.html

"ومصطلح الاستشراق يقابله باللغة الإنجليزية (futurology) ويعني علم المستقبل، أما الناطقون باللغة الفرنسية فلديهم مصطلح شائع ابتدعه عالم رائد علم المستقبل عندهم: (غاستون برجر) وهو مطلح (prospective) "[(١)]

"والدراسات المستقبلة هي ليست تنبؤا يقوم على الرجم بالغيب، ولكنها توقعات علمية يحتمل حدوثها من حيث كونها نتيجة منطقية لدراسة الماضي والحاضر، والتعرف على سنن الكون، إلى استشراف المستقبل وتشوفه، وصولًا إلى بلورة رؤية عنه. وهي توقعات يحتمل وقوعها".[(٢)]

١-٢- نشأة علم الاستشراف:

"يقول بعض المشتغلين بهذا العلم مثل: (فاروق عبد فليه) أن هذا العلم حديث وقد ظهر في نهاية القرن الخامس عشر، حيث شهد ظهور كتاب توماس الذي يتحدث عن (اليوتوبيا)، ويقول آخرون: إن تاريخ هذا العلم يعود للمصريين القدماء، حيث ألف عام ٣٥٠٠ ق م كتاب بعنوان الموتى، يتحدث عن اعتقاد المصريين في البعث والحساب والاستقرار في عالم الأرواح العلوي، والواقع أن هذا العلم ظهر عقب الحرب العالمية وشهد تقدما ملحوظًا في السنوات الأخيرة"[(٣)]

الدراسات المستقبلية كعلم مستقل لم تظهر إلا في منتصف القرن العشرين الميلادي، وأول ما ظهر هذا العلم في أمريكا، ثم في أوربا، وكانت الغاية من هذه الدراسات: الدفاع العسكري.

أما عن المؤلفات والأبحاث التي تناولت هذا الموضوع كالآتي: كتاب بعنوان استشراف المستقبل في السنة النبوية للدكتور إلياس بلكا، ومن الدراسات التي تحدثت

---

(١) استشراق المستقبل في ضوء الحديث النبوي: ٢٥٣.

(٢) الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية: ١/٢٢٦.

(٣) استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية: ١٣.

عن استشراف المستقبل، بحث تكميلي لمرحلة الماجستير في جامعة الإيمان في اليمن، في كلية الدعوة والإعلام، وهو بعنوان: استشراف المستقبل في القرآن والسنة، أعده الباحث: فهمي إسلام جيوانتو، وقد نوقش البحث عام ١٤٢٥ ه ٢٠٠٤ م، ومنها أيضاً رسالة ماجستير بعنوان: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية للباحث عبد الله محمد المديفر، قدمت لجامعة طيبة في المدينة المنورة سنة ١٤٢٧ ه، ودراسة بعنوان: التخطيط للدعوة الإسلامية: دراسة تأصيلية، للباحث المولى الطاهر المكي في جامعة محمد بن سعود.

١-٣- الفرق بين استشراف المستقبل في السنة النبوية وأخبار المستقبل بالجهود البشرية:

إن الإخبار بالمستقبل في السنة النبوية ليس أمرًا يقبل الصواب والخطأ، بل وحيٌّ إلهيٌّ ، فالنبي أُوحي إليه بالمستقبل كشفًا للغيب، وعلم الغيب من خصوصيات علام الغيوب، ودعواه تستلزم تكذيب القرآن الكريم، قال تعالى: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ"[1] وقال جل وعلا: "فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ"[2].

إن استشراف المستقبل ليس رجماً بالغيب، أو تعلقاً بالظنون والتخرصات، أو اشتغالاً بالخيالات، وإنما هو توظيف لمعطيات الماضي المدروس والحاضر الملموس ومسبباتها، لتوقع نتائجها ولوازمها، ومن ثم رسم خطط العمل وتنظيمها. ولكن عندما يتوقع الإنسان ويحلل الأزمات فتأتي أحيانا بخيبة الأمل، "فقد كانت بعض دراسات استشراف المستقبل عند الغرب تبشر باستمرار الازدهار وتحسن أوضاع الأسواق، بل إن أحد مراكز الاستشراف تنبأ بأن عام ٢٠٠٩ سيكون عام ازدهار اقتصادي. وتوقع بنك

(١) النمل: ٦٥.

(٢) سبأ: ١٤.

"مورجان ستانلي" الأمريكي أن يبلغ سعر برميل النفط ١٥٠ دولار، وقالوا: انتهى عصر النفط الرخيص، وتوقع آخرون بلوغه ٢٠٠دولار للبرميل.

ومع تقدم العلوم الرياضية، والنظريات الاحتمالية، واختراع الحواسيب التي تقوم بالتحليل وحساب نتائج المعادلات الصعبة، ظن بعض الغربيين أن ذلك كاف في الحكم على المستقبل ومعرفته بدقة، فاتكأوا كثيرا على نتاج أبحاثهم، فكانت هذه الأزمة مخيبة لتوقعاتهم ودراساتهم، صادمة ودافعة لهم للاعتراف بقصورهم وعجزهم واعترافهم بأنهم سيعيدون حساباتهم ويعدّلون توقعاتهم. وصدق الله القائل: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ، (يعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)."[1]

فالمستقبل في الحديث النبوي صادق في تقريراته، مؤكد وقوعه، فالنبي – صلى الله عليه وسلم - تحدث عن المستقبل كثيرًا في مختلف مجالات الحياة، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والدينية، فكشف لنا بشارات تحمل الخير للناس، ومصائب وحروب وكوارث وليس الغرض منها إلقاء الرعب في نفوس الناس، بل كان يكشف لهم الطريق ليهيئهم نفسيًا لاستقبال محدثات الأمور.

٢- التشكيل البياني في الأحاديث النبوية الخاصة باستشراف المستقبل:

١-١- أحاديث الاستشراف في الدَين:

ومن أحاديث رسول الله في ذلك:

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، عَنْ إِسْمَعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِي كَثِيرٍ، مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ -رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ وَضَعَ رَاحَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا نُزِّلَ مِنَ

(١) القسم العربي من موقع الإسلام، سؤال وجواب: تم نسخه من الإنترنت ١٥ نوفمبر، ٢٠٠٩ م. http://www.islamqa.com

التَّشْدِيدِ» فَسَكَتْنَا وَفَزِعْنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، سَأَلْتُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نُزِّلَ؟ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ"[(١)]

بدأ الصحابي الجليل حديثه: "كنا جلوسًا عند رسول الله " وعند النظر لهذا التعبير لوجدناه يدل على مدى عَلاقة - الرسول صلى الله عليه وسلم- بصحابته، فالمكان تعمه الطمأنينة والهدوء، وكأنه جو روحاني نزّل اللَّه سكينته على رسوله و المؤمنين وكل من يجلس حولهم، والتعبير بفعل الكون (كنا) الماضي؛ ليدل على تحقق الأمر وثباته، وفي استخدام التعبير بالمصدر (جلوسًا) للدلالة على معنى الثبوت والدوام، والذي نستشعر منه طول الجلسة التي كانت تذكّرهم بالأخرة والموت.

ثم ينتقل بنا الصحابي الجليل إلى جوٍّ آخر مغاير تمامًا عن الجو السابق يسيطر عليه الخوف والفزع، وكأننا أمام مقابلة معنوية بين مشهدين متضادين " ثُمَّ وَضَعَ رَاحَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا نُزِّلَ مِنَ التَّشْدِيدِ» فَسَكَتْنَا وَفَزِعْنَا" وهذا الخوف الذي بدا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم – فيه استشراف للمستقبل فمن شدة خوفه وشفقته على أمته جعله يضع راحته على جبهته، فحاول النبي – صلى الله عليه وسلم - أن يخفف عن صحابته بما اطلع عليه من أمر السماء، فصنيع رسول الله – صلى الله عليه وسلم - كان أمرًا عفويا كما هو حال أحدنا عندما يرى شيئًا لم يكن يتوقعه.

واستعمال تعبير (سبحان الله) في التعجب من الصيغ القياسية، فقد استعملت كثيرًا في القرآن والأحاديث النبوية، فالرسول – صلى الله عليه وسلم - كان له سُننٌ كثيرة، منها أنه كان يُسَبِّحُ اللهَ إذا رأى شيئًا عجيبًا، ومثال ذلك في السُّنَّة كثير؛ فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ المَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ. فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قَالَ: كُنْتُ

(١) السنن الصغرى للنسائي: ٧/٣١٤.

جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ. فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّ الْمُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ".(١)

وجملة (فرفع رأسه إلى السماء) تشير إلى أن الحديث مبني على الغيبيات، وأن هذا التشديد الذي نزل ما هو إلا وحيّ من السماء، والاستفهام في قوله: (مَاذَا نُزِّلَ مِنَ التَّشْدِيدِ) لا يراد به حقيقته البلاغية من طلب الفهم وإرادة المعرفة، ولكنه متضمن معنى الدهشة والاستغراب والتعجب من الحكم الذي أُوحي إليه.

وفي قوله:(وَضَعَ رَاحَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ) كناية عن شدة ما نزل على رسول الله من أمر التشديد، وكأن بفعلته هذه يخفف عن نفسه، ولفظة (التشديد) ليست على حقيقتها اللغوية، بل هي من قبيل المجاز المرسل لعلاقة المسببية، حيث أطلق المسبب(التشديد) وأراد السبب وهو (الحكم) أو الأمر الذي اقتضى هذا التشديد، وهذا المجاز يكشف عن هول ما ألمَ النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى جعل التشديد الذي نزل وليس الحكم الذي تضمنه.

وبعد أن سأل هذا الصحابي الجليل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ما نزل من أمر التشديد، فاستهل النبي (صلى الله عليه وسلم) إجابته على السؤال بالقسم الذي يقرع السمع، ويأسر القلب ويستولى على المشاعر فقال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) ولم يقصد النبي بهذا القسم ليجذب القلوب لتصديقه فحشاه عن ذلك فهو الصادق الأمين، بل قصد بها شحذ الأذهان، وتثير الفكر والوجدان، وجاء القسم في مواضع عدة في القرآن الكريم، فالله تعالى أقسم بذاته، وبفعله، وبمفعوله، وقد جاء القسم بنفسه في سبعة مواضع، وذكر الله القسم لكمال الحجة وتأكيدها؛ كما جاء القسم بمخلوقات الله لما فيه إشارة إلى عظمها وكونها أدلة على القدرة أو فيها نوع من التعظيم.

---

(١) صحيح البخاري: ١/٦٥.

وجاءت جملة القسم في الحديث الشريف مبنية على الإيجاز بالحذف؛ حيث حذف منها فعل القسم والمقسم منه، وتقدير الكلام: (أقسم بالذي نفسي بيده) والغرض منه شدة التحذير من الدين، وفي هذا القسم كناية عن موصوف، حيث أطلقت الصفة(والذي نفسي بيده) وأريد بها موصوفًا وهو الله -سبحانه وتعالى.

وعند النظر في جملة (مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) فهي من الغيبيات التي أوحيت للنبي (صلى الله عليه وسلم) فقد استعمل النبي (صلى الله عليه وسلم)استشراف المستقبل في الحديث عن الجنة والنار؛ خوفًا منه على أمته وللتحذير من الاستدانة والإسراع في قضاء هذا الدين، فإن كان هذا حال من استشهد في سبيل الله ثلاث مرات، فكيف بحال المدين.

الحديث الثاني في الدَّيْن:

"أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينٍ، قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ، عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، أَيُكَفِّرُ اللَّهُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ»، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ، نَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَنُودِيَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» فَأَعَادَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، إِلَّا الدَّيْنَ، كَذَلِكَ قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ"(١)

أول ما نبدأ به في تحليل هذا البيان النبوي هو النظر في كلام الصحابي الجليل سيدنا أبي قتادة وقد ابتدأ حديثه بالفعل (جاء) ولم يقل (أتى أو قدم) **أو غيرها من مترادفات هذا الفعل**؛ ليبين لنا حالة الرجل النفسية وما يبدو عليها من لهفة ورغبة من معرفة الجواب، ثم نراه بمجرد وصوله سأل رسول (صلى الله عليه وسلم) وبدأ سؤاله بأسلوب إنشائي

(١) سنن النسائي: ٦/٣٤، ٣١٥٦ .

استخدم فيه أداة نداء للبعيد (يا)؛ لتضفي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مزيدًا من الإصغاء والتنبيه وشحذ ذهن رسول الله(صلى الله عليه وسلم).

وعند النظر في سؤاله نراه قد قدّم العمل على الجزاء فقال: (أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ) ثم أردف الجزاء بقوله: (أَيُكَفِّرُ اللَّهُ عَنِّي خَطَايَايَ؟) ولعل السبب في ذلك ظنًّا منه أن الشهادة في سبيل الله تُكَفِّر جميع الخطايا، وفي استخدام أداة الشرط (إن) التي يعبر بها عن كل ما يشك بوقوعه في المستقبل بدلا من (إذا) التي هي الأنسب لحالته إذ الأصل فيها أن تستخدم في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل، ولعل السر في ذلك أنه غير جازم بوقوع الشرط؛ فساق كلامه وفقًا لما في نفسه تأدبًا في الحديث مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وفي استخدام فعل الشرط (قتلت) ماضيًا؛ للدلالة على التحقق والتثبت، وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم أفعالاً ماضيةً استُعملت للدلالة على المستقبل. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِذا زُلزِلَتِ الأَرضُ زِلزالَها﴾، حيث تزلزل الأرض وتلفظ أمواتها أحياء، وهذا طبعا لا يكون إلا يوم القيامة وهو غيب مستقبلي.

وفي ذلك يقول ابن الأثير: " وأما الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل، فهو عكس ما تقدم ذكره، وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ، وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها، والفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أن الغرض بذاك تبيين هيئة الفعل: واستحضار صورته، ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرض بهذا هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد بعد."(١) وهذا العدول من الماضي إلى

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/١٤٩.

المستقبل من باب مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ لأن الفعل الماضي بذاته يدل على التحقق والتثبت والقطع بوقوع الحدث، هو الأنسب لحال هذا اليوم.

وفي جواب النبي (صلى الله عليه وسلم) الرجل بقوله: (نعم) كانت إجابة واضحة إسعافًا له ليطمئنه، وجاء اقتصار النبي على الحرف في إجابته في غاية الإيجاز، تناسبًا مع المقام والرغبة في إسعاف الرجل ومراعاة حالته في تلهفه إلى معرفة الجواب، والتقدير: (نعم، يكفر الله عنك خطاياك).

وقوله (محتسبًا) يوكد مقصده من القتال، وهو طلب الأجر ونيل الشهادة، وفي قوله: (غَيْرَ مُدْبِرٍ) تأكيدًا لقوله: (مُقْبِلًا) وهو من طباق السلب والمعنى كما في قول الله تعالى: (أمواتٌ غير أحياءٍ).

وفي التعبير بالفعل (ولى) في قوله:(فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ) دون غيره من مترادفات الفعل (انصرف أو ذهب) دلالة على بعد الرجل وخفته في الحركة وفرحه من جواب النبي (صلى الله عليه وسلم). وعند النظر والتأمل في نداء النبي (صلى الله عليه وسلم) للرجل مرة أخرى وإجابته بتلك الإجابة ليس من تلقاء نفسه، بل بإرشاد من الوحي، والدليل على ذلك قول الرسول في آخر الحديث" "كذلك قال لي جبريل". وفي قوله (صلى الله عليه وسلم): " كَيْفَ قُلْتَ؟" بدلا من (ماذا قلت) أثار في نفس الرجل أن الجواب سيكون مغايرًا عن الجواب الأول، والاستثناء في قوله (نعم إلا الدين) يدل على استشراف الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمستقبل الذي أخبره به سيدنا جبريل.

٢-٢- الأحاديث الخاصة بالعبادات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وكَّلني رسولُ اللهِ بحفظ زكاةِ رمضانَ ، فأتانى آتٍ، فجعل يحثو من الطعامِ ، فأخذتُه ، فقلتُ : لأَرفعنَّك إلى رسولِ اللهِ ، قال : إني محتاجٌ ، وعليَّ دَينٌ وعِيالٌ، ولي حاجةٌ شديدةٌ فخلَّيتُ عنه ، فأصبحتُ، فقال النَّبيُّ : يا أبا هريرةَ ما فعل أسيرُك البارحةَ؟ قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ شكا حاجةً شديدةً وعِيالًا، فرحمتُه

فخلَّيتُ سبيلَه، قال: أما إنه قد كذبَك وسيعود فعرفت أنه سيعودُ ، لقولِ رسولِ اللهِ : أنه سيعود ، فرصدتُه ، فجاء يحثو من الطعامِ (وذكر الحديثَ إلى أن قال :) فأخذتُه (يعني في الثالثةِ) فقلتُ : لأَرفعنَّكَ إلى رسولِ اللهِ، و هذا آخرُ ثلاثِ مراتٍ تزعم أنك لا تعود، ثم تعود، قال: دَعْني أُعلِّمْك كلماتٍ ينفعك اللهُ بها قلتُ: ما هنَّ؟ قال، إذا أَوَيتَ إلى فراشِك، فاقرأ آيةَ الكرسيّ : (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) حتى تختم الآيةَ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُك شيطانٌ حتى تصبحَ فخلَّيتُ سبيلَه، فأصبحتُ، فقال لي رسولُ اللهِ : ما فعل أسيرُك البارحةَ؟ قلتُ: يا رسولَ اللهِ زعم أنه يُعلِّمُني كلماتٍ ينفعني اللهُ بها ، فخلَّيتُ سبيلَه ، قال : ما هي ؟ قلتُ : قال لي : إذا أَوَيتَ إلى فراشِك فاقرأْ آيةَ الكُرسيّ ، من أولها حتى تختم الآيةَ (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، و قال لي: لن يزال عليك من الله حافظٌ، و لا يقربُك شيطانٌ حتى تصبحَ و كانوا أحرصَ شيءٍ على الخير فقال النبيُّ: أما إنه قد صدَقَك ، و هو كذوبٌ ، تعلم مَن تخاطبُ منذ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرةَ ؟ قلتُ : لا قال: ذاك الشيطانُ"[(١)]

والحديث الذي بين أيدينا ليس مقصورا على بيانه (صلى الله عليه وسلم) بل فيه طعوم متعددة من البيان، ففيه كلام لراوي الحديث سيدنا أبي هريرة، وكلام للشيطان اللعين، ومن المواقف التي دارات بينهما جاء بيان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في استشراف المستقبل والإخبار بالغيب.

وأول ما نبدأ به في تحليل هذا الهدي النبوي هو النظر في كلام سيدنا أبي هريرة، وقد طال بيانه في صدر هذا الحديث، وأول ما نلحظ في بيانه أنه ابتدأه بفعل له خصوصية معينة، فالفعل (وكلني) و وكّل إليه الأمرَ :سلّمه وفوّضه إليه واعتمد عليه فيه، "والوَكِيلُ: اسم من أسماء الله وهُوَ الْمُقِيمُ الْكَفِيلُ بأَرزاق الْعِبَادِ، وَحَقِيقَتُهُ أَنه يستقلُّ بأَمر المَوْكول إِليه. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: "أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا"[(٢)] ولم يقل (فوضني أو سلمني)

(١) صحيح البخاري: ٣/١١٠، حديث رقم ٢٣١١.

(٢) لسان العرب: ١١/٧٣٤.

أو غيرها من مترادفات هذا الفعل؛ ليبين لنا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يشترك معه أحد في هذا الأمر وترك له حرية التصرف، ويُقَالُ: تَوَكَّلَ بالأَمر إِذا ضَمِن القِيامَ بِهِ، وأنَّ الوَكيلَ لا يَتصرَّفُ فيما أُوكِلَ إليه إلَّا بإذنٍ مِن ربِّ المال، فجاءت هذه اللفظة عن قصد دون سواها لتناسب الحالة التي كان عليها.

ثم ترتب على الفعل (وكلني) فعلاً آخر ماضيًا (أتاني) ليناسب حكاية الحال الماضية، واللافت للنظر هنا أنه استخدم الفعل (أتي) ولم يقل جاء أو أقبل أو من مترادفات الفعل، وإذا تأملنا في المجيء لوجدناه يتبعه صعوبة أما الإتيان ففيه يسر وسهولة، فالسارق لا يتعب فيما يأخذ. والمقصود بـ(زكاةِ رمضانَ) زكاة الفطر.

وعند تأمل دقة بيان سيدنا أبي هريرة في تتابع الفاءات التي جاءت بدلا عن واو العطف في قوله: (فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعامِ، فأخذتُه ، فقلتُ : لأَرفعنَّك)، فتتابع الفاءات ينبئ عن تتابع الأحداث وسرعة تواليها، وكأن هذه الفاءات مست كل تفاصيل المشهد وطوته طيا خفيفا دون إغفال أية جزء منه

وفي قوله: (لأرفعنك إلى رسول الله) تكشف لنا عن حسن خلق سيدنا أبي هريرة، فهو رجل بما تنبئ عنه الكلمة من معاني الرجولة والجلادة، فلم يقل سآخذك لرسول الله وسيفعل فيك كذا وكذا، ونلحظ أيضًا أنّ سيدنا أبي هريرة لم يُبن عن اسم الرجل أو أي شيء من ملامحه، وفي قول رسول الله: (ما فعل أسيرك البارحة؟) وهذه من آيات الله لأن النبي ﷺ لم يكن عنده ولكنه علم بذلك عن طريق الوحي، فالرسول يعلم أنه شيطان لعين، ويعلم أنه كذاب ولكنه في الوقت نفسه لم يرفض الحق الذى جاء به، وعلم أبا هريرة والأمة من بعده أن قبول الحق يكون من أي أحد ولا يشترط أن يكون قائله ممن نتفق معه أو نحبه، فلا يوجد أسوأ من الشيطان ومع ذلك صدق النبي صلى الله عليه وسلّم على كلامه، لأن المسلم يحب الحق ويتبعه حتى لو جاء ممن ليس هو من أهل الحق على الإطلاق، فالحكمة ضالّة المؤمن أينما وجدها أخذ بها، فالفاجر قد يعلم الحق فلا يتّبعه ولا ينتفع به، فيتلقّاه المؤمن منه فيجد فيه الخير الكثير.

فقول النبى (صلى الله عليه وسلّم): «صدقك وهو كذوب»؛ يلفت النظر إلى ركيزةٍ أساسيّة فى خلق المسلم، والتى تتمثّل فى العدل والقسط مع الآخرين، فالشيطان هو أصل الشرور ومنبعها، ومع ذلك لم يمتنع رسول الله عليه الصلاة والسلام من إقرار مقولة الشيطان وبيان صدقه في هذا الموقف بالرغم من المعدن الخبيث للشيطان وتأصّل جانب الكذب والزور والافتراء عنده، ولذلك تحدّث العلماء بأن قول المصطفى عليه الصلاة والسلام «وهو كذوب» هو إتمامٌ بليغ لوصف الشيطان؛ حيث أثبت الصدق له على نحوٍ لا يوهم المدح المطلق، وهذا هو مقتضى القسط والعدل في الإسلام، وفي قول الشيطان اللعين: " وعليَّ دَينٌ وعِيالٌ" مجاز مرسل علاقته الجزئية، ذكر الجزء وأراد به الكل أي لي عيال وزوجة أو أهل.

٢-٣- باب الحديث عن الجنة والنار:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَوْهُ المَسْأَلَةَ، فَغَضِبَ فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: "لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ" فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لاَفٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي، فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لاَحَى الرِّجَالَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «حُذَافَةُ» ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَاليَوْمِ قَطُّ، إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الجَنَّةُ وَالنَّارُ، حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الحَائِطِ» وَكَانَ قَتَادَةُ، يَذْكُرُ عِنْدَ هَذَا الحَدِيثِ هَذِهِ الآيَةَ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم"[١][٢]

الحديث الذي أمامنا تبدو فيه دقة الراوي سيدنا أنس وأمانته في نقل المشهد بكل تفاصيله وأحداثه، وأول ما بدأ به سيدنا أنس بيانه هو ذكر السبب الذي غضب منه رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فقال: (سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَوْهُ

(١) المائدة: ١٠١

(٢) صحيح البخاري: ٨/٧٧

المَسْأَلَةَ، فَغَضِبَ) و(حتى) جاءت لبيان الغاية التي وصلت حد الإلحاف في السؤال، وهذا يعني أن غضب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس للسؤال ولكن للإلحاف فيه، "والإِلْحَاف: شِدَّةُ الإِلْحاح فِي المسأَلة"[١]، وفي التنزيل العزيز: "لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا"[٢] وهذا ما جعل النبي يغضب ويصعد المنبر وقال: "لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ" فظن السامعون أن غضب رسول (صلى الله عليه وسلم) من كثرة الأسئلة، ولكن الرسول أدهش الجميع بقوله: "لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ" فجاء حرف الاستثناء (لا) ليجسد حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على لفت أسماعهم وإثارة انتباههم، حتى لا تتكرر مساءلته بهذه الصورة مرة أخرى، ولذا قيد عبارته بـ (اليوم) وجعل الأمر عامًا فعبر بكلمة جامعة شاملة (شيء) مع مجيئها نكرة.

وجملة "فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا" تكشف لنا عن شدة رغبة سيدنا أنس في استكشاف أحوال الناس من حوله، وكيفية استقبالهم لتلك الجملة والتي كان لها وقع الصاعقة في نفوسهم، وجملة (لاَفٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ) وإن قصد بها حقيقتها إلا أنها كناية عن شدة الخوف والوجل التي أصابت القوم، وعبر بالفعل (يبكي) بصيغة المضارع لبيان روعة المشهد وكأننا نراهم بأعيننا الآن.

وبينما القوم على هذه الحالة التي تقضي ألا يصدر سؤالا من أحد، ولكن يبدو أن أحد الحاضرين كان عنده سؤالاً يحتاج لإبانة والكشف عن حقيقة أمرٍ كانت تشغله وتراوده منذ زمن وهو: (من أبي؟) وهذا الرجل (يدعى لغير أبيه) أي: ينسب لغير أبيه، والتعبير بالفعل (يدعى) لما لم يسم فاعله يدل على العموم وشيوع الأمر، فالرجل لم يستح من سؤاله، فنرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يجبه قائلًا: (حذافة) لأن رغبته الشديدة في معرفة أبيه وحسم الأمر ويزيل كل ما يساوره من شك لا تتحمل أية مقدمات فحذف المسند إليه مراعاة لحال غضبه والإسراع لمطمئنته.

---

(١) لسان العرب: ٩/٣١٤.

(٢) البقرة: ٢٧٣.

وتظهر بلاغة الهدي النبوي بالإحساس بالمعنى في قوله: " مَا رَأَيْتُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَاليَوْمِ قَطُّ" فجمع بين الضدين لتأكيد المعنى في اطلاعه على الغيبيات سواء في الخير أو الشر، وفي قوله: (كاليوم قط) فيه إيجاز بحذف المسند إليه أي: (كما رأيت اليوم قط) ليتناسب مع هذا المشهد وما فيه من إثارة ورعب وخوف ووجل.

وبالنظر في بيانه (صلى الله عليه وسلم) ندرك هذا اللون البديعي ما يسمى (اللف والنشر)[١] "صُوِّرَتْ لِي الجَنَّةُ وَالنَّارُ، حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الحَائِطِ"، فقوله الجنة يرجع إلى الخير وقوله النار يرجع إلى الشر، ومن أمثلة اللف والنشر في التنزيل العزيز قوله تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ"

ويضاف إلى ذلك لون بديعي آخر السجع الذي أضفى على المعنى قوة وفخامة، حيث ختمت الجملتان التي تكونا منهما بناء الحديث بحرف الطاء في (قط) و(الحائط) وكل جملة منهما كان لها وقعها القوي في التأثير على النفوس والاستيلاء على الأسماع، وكل هذا نابع من صوت (الطاء) القوي لأن في صفاته الاستعلاء والاطباق، وفيه كذلك الجهر والشدة.

وهذا الهدي النبوي فيه من استشراف الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمستقبل في أمرين:

أولهما: جوابه للرجل في معرفة أبيه وإن كان هذا الشيء من الغبيات، وثانيهما: اطلاع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الغبيات حيث كشف له الحجب فأراه الله الجنة بما فيها من خير وأخيار، وأراه النار بما فيها من شر وأشرار، وهذا جليّ في قوله: " مَا رَأَيْتُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَاليَوْمِ قَطُّ، إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الجَنَّةُ وَالنَّارُ، حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الحَائِطِ" والطابع الذي يتسم به هذا البيان هو الطابع الخبري وقد جاء في غاية المناسبة للمقام؛

(١) اللف والنشر: هو أن تلف شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له. كتاب التعريفات: ١٩٣.

لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) يتحدث عن غيبيات وأمور لا يطلع عليها إلا نبي مرسل، ولذا كان الأسلوب الخبري هو الأنسب لحكاية تلك الحال.

خاتمة:

بعد دراسة بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصة باستشراف المستقبل توصل الباحث إلى جملة من النتائج الآتية:

- أن استشراف المستقبل ليس من تلقاء النبي صلى الله عليه وسلم بل هي من الوحي النازل من السماء، وقد دعم هذا المعنى ما جاء في بيانه صلى الله عليه وسلم صراحة في مثل قوله: (كذلك قال لي جبريل).
- ٢ – أن استشراف النبي صلى الله عليه وسلم للمستقبل تختلف عن الجهود البشرية في استشراف المستقبل، فاستشراف السنة ليست تكهنات أو افتراضات، بل هي من وحي الله لنبيه، في حين يبقى الجهد البشري أسير الظنون والاحتمالات.
- ٣ – تبين من خلال البحث في الأحاديث تنوع الصور البيانة بين مجاز وتشبيه واستعارة، ومن أمثلة التشبيه في قوله: (كذلك قال لي جبريل) وقد أكد هذا التشبيه أن استشراف المستقبل أمر موحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٤ –اتسمت بعض جمله وتراكيبه بالتوكيدات الحاسمة والصارمة والتي تناغمت مع مقصده فيما يدل على استشراف المستقبل في مثل قوله: (والذي نفسي بيده).
- ٥ - استشراف السنة النبوية للمستقبل جاءت في مجالات مختلفة، سياسية، دينية، اجتماعية، كثيرة تحتاج إلى من يكشف عنها.

المصادر والمراجع

أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية، طه محمد فارس، مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ٢٠١٤م.

الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، محمود أحمد شوق، دار الفكر العربي،١٤٢١ هـ.

استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية، عبد الرحمن عبد اللطيف قشوع، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.

استشراق المستقبل في ضوء الحديث النبوي الشريف، محمد بشار آمين، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسة العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤م.

البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد اللطيف حرز الله، الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣٠ هـ.

السنن الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، حلب، ١٤٠٦ هـ.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ هـ.

كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن محمد بن مكرم بن على منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.

المقاربة البنيوية في قصيدة المواكب للشاعر جبران خليل جبران

فاطمة الزهراء العسالي

باحثة دكتوراه بجامعة محمد الخامس، المغرب

البريد الإلكتروني: fatimaezzahraeelassali@gmail.com

معرف (أوركيد): 0009-0005-5554-0092

بحث أصيل الاستلام: ٣١-٧-٢٠٢٣ القبول: ١٠-١٠-٢٠٢٣ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

تروم هذه الدراسة استثمار مستويات التحليل البنيوي (البنية الصوتية، والمعجمية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والقولية، ثم الرمزية)؛ في تحليل قصيدة "المواكب" لجبران خليل جبران؛ هذه المستويات التي غالبا ما يتم إغفال أحدها أو بعضها في جل الدراسات الأدبية واللغوية التي اطلعنا عليها، إما لصعوبتها أو لعدم الوعي بها، وتحمل قصيدة "المواكب" معنيين اثنين: المعنى الأول مباشر واضح الدلالة، والثاني غير مباشر؛ لا يمكن الوصول إليه إلا بتضافر مستويات التحليل البنيوي، لإبراز دلالته الخفية وإيحاءاته الجمالية من خلال مستويات التحليل البنيوي المذكورة وعلاقاتها المتبادلة فيما بينها التي تنتج بنية أدبية متكاملة، تبرز جماليات النص الشعري من داخله عبر شبكة من العلاقات اللغوية، التي تنشأ بين كلماته وتنظم بنيته للكشف عن قصدية الشاعر الفلسفية، التي تختبئ خلف سطحها اللغوي المختزل لأقوال، وأصوات، ورموز دلالية تشير إلى الصراع الحاصل في نفس الشاعر.

الكلمات المفتاحية:

المنهج البنيوي، القصيدة الشعرية، مستويات التحليل البنيوي، اللغة، الدلالة الكلية.

للاستشهاد/ Atif İçin / For Citation: فاطمة الزهراء، العسالي (٢٠٢٣). المقاربة البنيوية في قصيدة "المواكب" للشاعر جبران خليل جبران. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٣٢١- ٣٦٧ https://www.daadjournal.com/

The structural approach in the poem "El mawakib" of the poet Gibran Khalil Gibran

Fatima-Ezzahraa Elassali

PHD Student at Mohammed V University, Morocco

E-Mail: fatimaezzahraeelassali@gmail.com

Orcid: 0009-0005-5554-0092

Research Article Received: 31.07.2023 Accepted: 10.10.2023 Published: 31.10.2023

Abstract:

This study aims at investing structural analysis levels in "almawakib" of Jibran Khalil Jibran. Some of these levels have often been omiited in the majority of the literary studies found. May be because of the difficulty or lack of awareness. Especially in poem rather than prose. In this regard. This study analyses the semantic structure of "almawakib" which contains two meanings . The first of these is direct and semantically clear. The second is indirect. It can be reached only through concerting structural analysis levels. In order to show its hidden significance and aesthetics connotations starting with: phonological structure, lexical, morphological, grammatical,semantic, anecdotal, and symbolic ones. And their interrelation among them which produces a complete literary structure showing the beauty of the poem from inside through a network of linguistic relationships. Which arise between its words. and arrange its structure to reveal the poet's philosophical intention which hides behind its linguistic surface reduced to quotes, sounds, symbolic representations which indicate the conflict btween reality and nature..

Keywords:

Structural approach, Language, The poetic poem, Structural analysis levels, Total significance.

مقدمة:

يعد المنهج البنيوي من أوائل المناهج المعاصرة التي ساهمت في تحليل النصوص الأدبية، فقد كانت إسهاماتها أبرز وأعمق من المناهج النقدية الأخرى؛ لأنها قدمت تطبيقات مقنعة لما وصلت إليه على مستوى التنظير، استطاعت بذلك أن تصوغ مبادئها ومفاهيمها في منظومة محكمة ذات بناء داخلي متكامل.

فالبنيوية تَعْتَبِرُ النص الأدبي بنية لغوية متعالقة؛ فتحليل الأعمال الأدبية يرتبط بعنصر المحايثة؛ أي دراسة النسق اللغوي في ذاته، وبمعزل عن التاريخ والمجتمع، وإدراك علائق النص الداخلية ودرجة ترابطها والعناصر المنهجية فيها وتركيبها بهذا النمط، الذي تؤدي به وظائفها الجمالية المتعددة.

ومن هنا سنجد أن العنصر الجوهري في العمل الأدبي هو: الذي لا يرتبط بالمؤلف أو سياقه النفسي، ولا بالمجتمع وسياقاته الخارجية ولا بالتاريخ وصيرورته؛ وهو ما سنحاول استخلاصه من تحليلنا لقصيدة "المواكب" لجبران خليل جبران؛ حيث سنعمد على استخراج مكامنها وفق مستويات التحليل البنيوي، التي تعد " بمثابة معالم عريضة للدخول إلى عالم النص الأدبي بهدف استجلاء مكامنه الجمالية وستائره الخفية، وقد أجاد البنيويون العرب استنباط هذه المستويات من مختلف المقاربات البنيوية، حين عدّوها بهذه الكيفية وهذا التركيب ابتداء من الحرف انتهاء بالتراكيب الكبرى، التي يشغلها ملفوظ القول، وما يكتنزه نسيج ذلك الملفوظ من إيحاءات وإيماءات تجعل النص الأدبي ذا لغتين :

- اللغة الأولى؛ هي اللغة التي كتب بها النص.
- اللغة الثانية؛ هي اللغة التي تختفي خلف النص أو هي ميتافيزيقا النص"[١].

(١) نظرية التحليل البنيوي للنص الشعري في كتابات النقاد العرب المعاصرين: ١٢٢.

والقارئ البنيوي هو الذي يجعل هذه المستويات مفيدة أو غير مفيدة، فاستخدامها يبقى رهينا بثقافته الموسوعية تنخر من: علوم الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة، والسيميائيات، والتأويليات... وما إلى ذلك من العلوم الأخرى.

لقد ارتكز البحث على منهج لغوي لساني تطبيقي لكل هذه العلوم اللغوية؛ هو المنهج البنيوي في تحليل عناصر النص الشعري الرومانسي "المواكب"، بالتركيز على البنية اللغوية للنص، والتي تكمن في دراسة الحروف، والكلمات، والجمل، والرموز، والصور، والموسيقى وغيرها، وإبراز نسيج العلاقات اللغوية بينها، وما تشير إليه من دلالات وإيحاءات لغوية خفية، تتضمنها بنيات النص الشعرية الرومانسية، كما استعان البحث بالمنهج الوصفي التفسيري التحليلي في تحليل رؤية الشاعر للواقع والغاب وتفسيرها.

فالبحث يهدف إلى توضيح الآليات والمبادئ الأساسية، التي تقوم عليها مستويات التحليل البنيوي للشعر الرومانسي، والذي ينطلق من تحديد بنية نظم القصيدة وتوزيعه، وصولا إلى المعنى المخفي في النص الشعري، علاوة على هدفه الأعم هو إغناء الدراسات اللغوية بتقديم دراسة بنيوية لسانية تتعلق بالشعر الرومانسي الطبيعي.

وجديد هذا البحث هو استثمار مستويات التحليل البنيوي في تحليل النص الشعري الرومانسي، والتي غالبا ما يتم إغفال أحدها دون الأخرى في جل الدراسات الأدبية واللغوية التي اطلعنا عليها، إما لصعوبتها أو عدم الوعي بها، خاصة منها في الشعر دون النثر.

وتكشف لنا القراءة الأولية لمقاطع هذه القصيدة على مستوى الدلالة المباشرة؛ أن الشاعر جبران خليل جبران يتوجه في قصيدته إلى الطبيعة لأن فيها العالم المثالي والسعادة المطلقة.

أما كلمة المواكب فهي تعني معتقدات الناس، ومقاييسهم الخاطئة (الناس يمشون وراء الإنسان القوي وهذا هو الموكب) حسب رأي الشاعر.

تتألف القصيدة من ثمانية عشر مقطعا، والمقاطع السبعة عشر الأولى متشابهة في بنائها، أما المقطع الثامن عشر فيختلف كليا في تركيبه عنها.

وبالنسبة إلى مبنى المقاطع السبعة عشر الأولى فيتألف من التركيب التالي:

١. الموضوع كما هو في الواقع أو كما يتصوره الشاعر (صوت الواقع).
٢. الموضوع حسب رأي الشاعر أو الوضع المثالي لهذا الموضوع (صوت الغاب).
٣. صوت الناي وهو التأكيد لصوت الغاب (أي لرأي الشاعر).

سنركز اهتمامنا في تحليلنا البنيوي لقصيدة الشاعر جبران خليل جبران " المواكب" على البنية الكلية لموضوع القصيدة؛ ذلك أن أبيات القصيدة بنيت على ثنائيات ضدية، تتحاور فيما بينها من خلال ثلاثة أجزاء أو أصوات ضمن كل مقطع من مقاطع القصيدة.

فالمقطع الأول تناول رؤية الشاعر للناس الذين لا يصنعون الخير إلا إذا جبروا عليه، أما الشر فهو متأصل فيهم، كما أنهم ضعفاء أمام الدهر الذي يلعب بهم؛ فهم عبارة عن قطعان تتبع الراعي القوي...

لينتقل في المقطع الثاني للحديث عن سر الحياة، إنها نوم طويل تراوده الأحلام... فالنفس الإنسانية تحقق ما فقدته في واقعها، أو ما تمنته من أمنيات في أحلامها، لكنها نفس حزينة متألمة، وأن الحزن هو الذي يستر سر النفس الإنسانية، فإذا انزاح ذلك الحزن استتر مرة أخرى بنقيضه الفرح، وهذه ثنائية معروفة في الحياة، إذ لا قيمة للألم بلا أفراح التي تتعانق في صوت الغاب أو الطبيعة النقية، حيث لا يوجد حزن ولا هموم ولا مِحن ولا سموم.

في المقطع الثالث يوضح أن رضى الناس بحياتهم الواقعية قليل، لذلك يحوّلون نهر الحياة إلى كؤوس وهم وخمرة تتغلغل في عروق الذات الإنسانية، فتحس بالراحة الوهمية يحركها الدهر...، ليعلن في الجزء الثاني عن انتفاء السكر والمدام والخيال في الغاب، وإن سواقيها غنية بإكسير الغمام وأن التخدير أو الهروب من الواقع مرحلي وليس هدف.

يرى في المقطع الرابع أن الدين عند الناس حقل أجرد، لا يزرعه إلا أصحاب الغايات والمنافع الذين لابد من أن يجنوا من وراء زرعه؛ أي أنه وسيلة لا غاية، فمنهم من يأمل بالجنة من وراء تَدَيُّنه، ومنهم من يخاف من النار، ومنهم من يخاف من عقاب البعث، فالدين على هذا الأساس عند جبران خليل جبران تجارة قائمة على الربح والخسارة، ويتبرأ من هذا المفهوم الديني في الجزء الخاص بصوت الغاب، البريء منه كبراءته من الكفر القبيح، مؤكدا على أن الأرض احتوت دينين قائمين فيهما هما الإسلام والمسيحية.

ينتقل في المقطع الخامس للحديث عن العدل المزيف عند الناس، الذي يعد مصدر بكاء ومأساة للأرواح والجن إذا سمعوا به، وإذا نظر إليه الأموات سخروا منه أي أنه دلالة بلا معنى...، يذوب كالثلج كلما برزت الشمس إلى سماء الوجود (الحقيقة)....

إن إيمان جبران خليل جبران بالعدالة القائمة على الحرية، جعله يربط العدل وحب الإنسان بالحق وارتباطه بعزم الإنسان في المقطع السادس، وبالعلم والحلم وأبعاد الجهل في المقطع السابع، والحرية غير الحرة المقيّدة، التي يبقى فيها الإنسان عبدا لأفكاره في المقطع الثامن، وباللطف المقترن بالجبن والنذالة في المقطع التاسع، وبالظرف والتواضع الذي يراه تمويها في الناس في المقطع العاشر.

يصور الشاعر موقفه من الحب والهوى والعشق والهيام والجنون في المقطع الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر؛ ذلك أن أسمى معاني الحب وأروع صفات

العشق والغرام، تتجلى في روحانية الحب وليس جسديته، في حين يركز المقطع الرابع عشر عن مفهوم السعادة في حياة الإنسان.

يخصص جبران خليل جبران المقطع السادس عشر والسابع عشر لتوضيح رؤيته الفلسفية لمفهوم الروح والموت، ساخرا من أولئك الذين يعتقدون أن "الروح" مرحلة زمنية في علاقاتها الحميمة "بالجسم"، وأن الروح سرعان ما تموت إذا انتهى أمد الجسد، وتلاشت صورته من الوجود البشري، ذلك أن الموت خاتمة "الحياة" أو نهاية وجود ابن الأرض، فالموت فناء وعدمية ابن الأرض ولكنه للإنسان الأثيري بدء لحياة روحية أخرى في عالمٍ ثانٍ جديد، الموت فيه ظفر.

يختم جبران مواكبه بمقطعه الثامن عشر وهو يختلف عن المقاطع السابعة عشر في تركيبها، بحيث تبدأ مباشرة بالجزء الثاني صوت الغاب يخاطب الجزء الأول، وهو الصوت الأول المعبر عن ثورة جبران ضد ثنائيات الحياة الضدية وتناقضاتها، متخذا من الغاب منزلا له، وملجأ مصححا لهذه التناقضات الاجتماعية والنفسية في الحياة الإنسانية بين الخير والشر، الحزن والفرح، الرضا والضجر، الجنة والنار، القوي والضعيف، العلم والجهل، الحر والأسير، الروح والجسم، الخاتمة والبدء وغيرها من الثنائيات المتناقضة.

هذه الثنائيات التي تتلاشى في الغاب أو الطبيعة حيث الوضع الأمثل؛ فهناك كل شيء متساوٍ فلا يوجد راع ولا قطيع، ولا قائد عدل، ولا عقاب في السر ...أما صوت الناي في كل المقاطع يؤكد فكرة صوت الغاب ورأي الشاعر ... فهو الذي حَفظ العقول، وعدّل القلوب. وهو الصوت الذي سيبقى بعد زوال العزيز والحقير، الثواب والعقاب، القوي والضعيف...

أوضحت لنا القراءة الأولية للغة القصيدة ما تحتويه من دلالات مباشرة، تُفصح عنها للقارئ وتظهرها له، لجذبه واستمالته للبحث عن عمق وجوهر القصيدة، في حين تركز القراءة الباطنية عنما تخفيه وتضمره لغة القصيدة من إيحاءات، لا يمكن الكشف

عنها إلا بتفكيك البنية التركيبية للقصيدة لإظهار ما تخفيه من دلالات غير مباشرة؛ يسعى التحليل البنيوي للكشف عنها وتوضيحها؛ وينطلق هذا التحليل من:

١. المستوى الصوتي:

يعد المستوى الصوتي من أهم المستويات في مقاربة الجانب اللغوي لأي نص أدبي، خاصة الشعري منه؛ ذلك أن النظام الصوتي يتعلق بطبيعة الأصوات ومخارجها، وصفاتها وتداخلها، "ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية ويتم معرفته من خلال الصوتيات" [(١)] وما تحققه من جمالية داخلية للنص الأدبي.

وتكشف لنا القراءة الأولية لهذه القصيدة على المستوى الصوتي " أنها حوار فلسفي، ذو صوتين: صوت الشيخ المجرب، الحكيم، الذي يمثل الحكمة الناضجة المستمدة من تجربة السنين والحياة... وصوت الشاب الذي يرمز إلى الطبيعة بعفويتها" [(٢)]، فالمواكب إذن تتكون من صوتين متجاورين يليهما "نغم الناي الذي يبدو قرارا أو نداءا " [(٣)] يدعوا الناس للعودة إلى الطبيعة.

يتمثل التركيب الصوتي للقصيدة في عدة عناصر منها:

١،١. البنية الإيقاعية الخارجية:

الإيقاع وسيلة موسيقية تعبيرية، يعتمدها الشاعر بغية إيصال تجربته وحالته النفسية؛ وذلك من خلال الأصوات والحركات، وقد لجأ جبران خليل جبران إلى مثل هذا التعبير من خلال عناصره التي تتمثل في الوزن والقافية.

١،١،١. الوزن:

---

(١) مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية: ١٥٠.

(٢) أصداء دراسات أدبية نقدية: ٢٧.

(٣) أصداء دراسات أدبية نقدية: ٢٧.

يعتبر الوزن من أبرز الخصائص الصوتية في القصيدة؛ ذلك أنه يحقق الموسيقى التي لها الأثر البالغ في سحر قلب المستمع للشعر، وبالتالي فإننا نجد جبران قد اعتمد في بناء قصيدته على تفعيلات بحرين اثنين، ولعل اختياره لبحرين مختلفين في مواكبه قد يكون أوقع تعبيرا عن اتجاهين مختلفين للحياة، فاتخذ الاتجاه الأول بحر البسيط، وجعل الثاني مجزوء الرمل.

يقول الشاعر:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا **** والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا [(١)]

٠/// ٠//٠/٠/ ٠//٠/ ٠//٠/٠/ **** ٠/// ٠//٠/٠/ ٠//٠/ ٠//٠/٠/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن**** مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

سالمة سالمة سالمة مخبونة **** سالمة سالمة سالمة مخبونة

وقاتل الجسم مقتول بفعلته **** وقاتل الروح لا تدري به البشر[(٢)]

٠/// ٠//٠/٠/ ٠//٠/ ٠//٠// **** ٠/// ٠//٠/٠/ ٠//٠/ ٠//٠//

مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن **** مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

مخبونة سالمة سالمة مخبونة **** مخبونة سالمة سالمة مخبونة

وزنت هذه الأبيات على وزن البحر البسيط، وهو من البحور المركبة ذات التفعيلات (مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فاعلن)، ونلاحظ على مستوى هذا التقطيع أن التفعيلات الأساسية قد طرأت عليها بعض التغييرات: كالخبن وهو حذف الثاني

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

الساكن لتصبح تفعيلة (مستفعلن = متفعلن)، وتنقل إلى (مفاعلن)، وتصير تفعيلة (فاعلن= فعلن).

والبحر البسيط يمتاز بدقة إيقاعه وجزالة موسيقاه، ويعتبره العَروضيون من البحور الطويلة، التي يعمد إليه الشعراء في الغالب حين يتطرقون للمواضيع الجادة، كمواضيع هذه القصيدة في صوتها الأول.

فيحدثنا جبران عن (الخير، والشر، والقتل، والعدل ...) كل هذه المواضيع جدية ومهمة للإنسان، إن لم نقل هي الحياة كلها بالنسبة له، وتحتاج إلى رصانة وعمق في التعبير عنها، والشاعر في حالةِ يأسٍ وجزعٍ يتخير عادة وزنا طويلا، كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما يُنَفس عن حزنه وجزعه.

وقد نظم الشاعر الصوت الثاني في قصيدته على مجزوء الرمل:

يقول جبران خليل جبران:

خلق الناس عبيدا **** للذي يأبى الخضوع[1]

٠/٠//٠/ ٠/٠//٠/ **** ٠/٠/// ٠/٠///

فعلاتن فعلاتن **** فاعلاتن فاعلاتن

فإذا ما هب يوما **** سائرا سار الجميع[2]

٠/٠//٠/ ٠/٠//٠/ **** ٠/٠//٠/ ٠/٠///

فعلاتن فاعلاتن **** فاعلاتن فاعلاتن

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

ويقول أيضا:

ليس في الغابات عدل **** لا ولا فيها العقاب(١)

/٠//٠/ ٠/٠//٠/ **** ٠/٠//٠/ ٠٠//٠/

فاعلاتن فاعلاتن **** فاعلاتن فاعلان

فإذا الصفصاف ألقى **** ظله فوق التراب(٢)

///٠/٠/ ٠/٠//٠/ **** ٠/٠/٠//٠/ ٠٠//

فعلاتن فاعلاتن **** فاعلاتن فاعلان

وردت تفعيلة (فاعلاتن) مخبونة (فعلاتن)، ويجوز الخبن (فاعلان) فتصير (فعلان) هذا بالنسبة إلى الزحاف، أما بالنسبة إلى العلة فقد وردت علة القصر؛ وهي حذف ساكن السبب الخفيف من آخر التفعيلة وإسكان متحركه، وقد طرأ على التفعيلة (فاعلاتن) فصارت (فاعلات)، ثم نقلت إلى تفعيلة مستعملة هي (فاعلان).

يتضح لنا أن الشاعر نظم أفكاره وآرائه حول الطبيعة على مجزوء الرمل، الذي فيه شيء من السرعة والخفة وقصر الأبيات، يؤدي إلى توالي النغمات وتكرارها بسرعة، ما يضفي عليها إيقاعا جميلا عاليا، استعدادا للتغني بمزايا الطبيعة ومحاسنها، أليس يطلب الناي في كل مرة؟ ويدعو المتلقي للغناء طربا بالطبيعة؟

١,١,٢. القافية:

أولى الشعراء العرب اهتمامهم بالقافية على مر العصور، بحيث تعد عنصرا أساسيا من عناصر البناء الإيقاعي؛ ذلك أنها تقوم على الربط بين أبيات القصيدة، كما أنها تمثل نسقا من الأصوات تتكرر في نهاية الأبيات الشعرية، بحيث تشمل " الحرف الذي يلزمه

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

الشاعر في آخر كل بيت حتى يفرغ من شعره...وإنما سمى الحرف قافية لأنه يقفو ما تقدمه من الحروف "[1].

كما حددها الخليل في أنها من " آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله الساكن"[2]، وقد تعددت أنواع القوافي في مقاطع القصيدة بين:

- **القافية المردوفة**: والردف هو "حرف مد يكون قبل الروي، سواء أكان هذا الروي ساكنا أو متحركا، وحروف المد ثلاثة هي: الألف، الواو، الياء؛ وسمي ردفا لأنه ملحق في التزامه وتحمل مراعاته بالروي، فجرى مجرى الردف للراكب لأنه يليه وملحق به"[3].

يقول جبران:

ليس في الغاب عقيم **** لا ولا فيها الدخيل[4]
أن في التمر نواة **** حفظة سر النخيل[5]
ويقرص الشهد رمز**** عن فقير وحقول[6]
إنما العاقر لفظ **** صيغ من معنى الخمول[7]

يتبين لنا ان الشاعر عاقب بين الياء والواو في ثقفية قصيدته، ومرد ذلك إلى طول النفس الذي تحققه حروف المد ومناسبتها لنفسية الشاعر الثائرة، الداعية إلى نبذ

(١) الكافي في العروض والقوافي: ٧.
(٢) الكافي في العروض والقوافي: ١٤٩.
(٣) الكافي في العروض والقوافي: ١٥٣.
(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٦٨.
(٥) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٦٨.
(٦) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٦٨.
(٧) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٦٨.

الأعراف، التي هي حسب رأيه لا تغدو سوى قيودا تحد من حرية الإنسان، وتجمح استقلاليته.

- **القافية المطلقة**: وهي التي يكون فيها حرف الروي متحرك بضمة أو فتحة أو كسرة، وهي بدورها تنقسم إلى نوعين: ما تبع الحرف وهي مد يتولد عنه الإشباع، وما كان آخر حروفه هاء متحركة، وقد وردت القافية المطلقة موصولة بضم في:

وأكثر الناس آلات تحركها **** أصابع الدهر يوما ثم تنكسر(١) ٠///٠

فلا تقولن هذا عالم علم **** ولا تقولن ذاك السير الوقر(٢) ٠///٠

يتضح لنا عند استقرائنا للقوافي التي انتهت بضم، أنها وردت في كل الأبيات المنظومة على بحر البسيط، وهو البحر الذي خصه الشاعر للصوت الأول (الواقع)، وربطه لقافيته بالضم دلالة على محاولة الشاعر التحلي بالقوة والعزيمة لمواجهة واقعه المتأزم الذي يحاول تغييره باللجوء إلى الطبيعة الثابتة؛ فهي توحي بحركية الشاعر وانفعاله وغضبه على واقعه غير الراضي عنه.

- **القافية المقيدة**: وهي ما كان فيها "حرف الروي ساكن غير موصول"(٣)، وجل أبيات مقاطع القصيدة مبنية على بحر مجزوء الرمل، والذي خص به الشاعر الصوت الثاني من حواره الفلسفي، جاءت قوافيه مقيدة.

يقول جبران:

ليس في الغابات راع **** لا ولا فيها القطيع(٤) //٠٠

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٣٩.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٣٩.

(٣) الكافي في العروض والقوافي: ١٤٦.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٣٩.

الشتا يمشي ولكن **** لا يجاريه الربيع[1] //٠٠

يتضح لنا أن جبران يقيد قافيته حين يتحدث عن الطبيعة (القطيع، الربيع)؛ ذلك أنها مسكن بالنسبة إليه، يسكّن أنفاسه ليستريح من غضبه وثورته في وجه الحياة المصطنعة، التي يمثلها الصوت الأول الغني بالحركية والدينامية، في حين أن الصوت الثاني يمثل الطبيعة المليئة بالسكينة والطمأنينة.

لقد نظم جبران قصيدته المواكب على نظام الشعر المقطعي، وكل مقطع يلتزم قافية معينة، وتنوعت القوافي في هذه القصيدة كثيراً لتعدد المقاطع فيها ولكن الذي يمثل ظاهرة شعرية جديدة هي مزج بين بحور الشعر في القصيدة الواحدة.

٢.١. البنية الإيقاعية الداخلية:

١.٢.١. **التكرار**: ويقصد به " الإتيان بشيء مرة بعد أخرى" [2]؛ أي إعادة للحرف، أو اللفظ، أو المعنى، أو العبارة من أجل التأكيد على الشيء المكرر، ودلالته في نفسية الشاعر.

- **تكرار الأصوات:**

اعتمد جبران في بناء القافية لقصيدته على حرف روي متنوع؛ ومن أهم وأكثر الحروف التي استعملها كحرف روي (الراء، اللام، الباء، العين...)، وسبب اختياره لها يعود لخفة مجراها وسهولة النطق بها وهي من الأصوات الجهرية، كما وظف أيضا أصوات مهموسة (التاء، السين، القاف ...).

ويرجع هذا التباين في نظم الأصوات إلى نظرة الشاعر المتمردة على زيف الحقائق في الحياة البشرية؛ نظرة كان الصوت المجهور ركيزة في بنائها، وأساسا في إظهارها للناس فتوافقت نفسيته مع هذا الجهر، الذي تماهى مع مشاعر التمرد والرفض والعصيان لما يعيشه الناس في حياتهم الضيقة من تناقضات يكرهها الشاعر، أما

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٣٩.

(٢) التعريفات: ٥٩.

الأصوات المهموسة فيخفي فيها الشاعر حزنا ذفينا يُغَلّفه بتمرده وقوته وعزيمته على تغيير هذا الواقع الراهن؛ الذي كله ضياع وظلم وتعب وقهر وانهزام.

- **تكرار الألفاظ:**

كرر الشاعر في قصيدته عدة ألفاظ، التي تفصح عنما يختلج نفسيته، وأكثر هذه الألفاظ التي تكررت كلمة (الغابات) التي أعطت القصيدة نغما وقوة في الجرس الموسيقي، لتؤكد على رؤية الشاعر للحياة بأن السعادة موجودة في الغاب، حيث البساطة الإنسانية الأولى البعيدة عن أطماع الحياة من مال، وقوة، وسلطة، التي هي زيف للواقع ودمار للنفس الإنسانية، وقد لازمت هذه اللفظة (الغابات) كل المقطوعات التي تدعو إلى الغناء، والمقطوعات التي تجعل كل متساوٍ في الحياة الإنسانية حيث لا يوجد قهر، ولا كذب، ولا حزن...

يقول:

ليس في الغابات راع **** لا ولا فيها القطيع(١)

ويقول أيضا:

ليس في الغابات حزن **** لا ولا فيها الهموم(٢)

١.٢.٢. الجناس:

ويقصد بالجناس أن " يأتي الشاعر بلفظتين في البيت إحداهما مشتقة من الأخرى"(٣)، وقد جمع الشاعر في قصيدته بين الجناس التام وغير التام ومن ذلك نجد:

- **الجناس التام:**

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٠/٢.

(٣) الكافي في العروض والقوافي:١٧٢.

وهو ما اتفق فيه في أربعة أمور: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها.

يقول الشاعر:

والسر في النفس حزن النفس يستره **** فإن تولى فبالأفراح يستتر [1]

ورد الجناس بين لفظتي (النفس، النفس)، فسر النفس الأولى معناه لغز النفس أو سرها، أما الحزن النفس في الثانية هو الكتمان فإن تولّى هذا الكتمان وانتهى أصبح الشخص في فرح دائم.

- **الجناس غير التام:**

وهو ما اختلف فيه أحد هذه الأمور: نوع الحروف، شكلها، عددها، وترتيبها: ومن ذلك نجد في القصيدة:

ليس في الغابات حزن **** لا ولا فيها الهموم

فإذا هب نسيم **** لم تجيء معه السموم[2]

ورد الجناس غير التام بين لفظتي (الهموم، السموم) وهو جناس ناقص؛ فقد اختلفا في الحرف الأول بعد "آل" التعريف؛ فالسين لسانية، أما الهاء فمهموسة حلقية رخوة، وهنا يدعوا جبران إلى عالم الغاب، الخالي من الهموم والسموم.

١.٢.٣. الطباق:

ويقصد به " أن يأتي الشاعر بالمعنى وضده أو ما يقوم مقام الضد"[3]، وهو نوعان:

- **الطباق الإيجاب:**

وهو الذي يجتمع فيه المعنى وضده كقول الشاعر:

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٤٠.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٤٠.

(٣) الكافي في العروض والقوافي: ١٧٠

ليس في الغابات حر**** لا ولا العبد الذميم[١]

وقوله أيضا:

كأنما الدين ضرب من متاجرهم **** وإن واظبوا ربحوا أو أهملوا خسروا [٢]

وقوله:

والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا *** به ويستضحك الأموات لو نظروا [٣]

طابق الشاعر بين الكلمة وضدها في هذه الأبيات (حر/ العبد)، (واظبوا/ أهملوا)، (ربحوا/ خسروا)، (يبكي/ يستضحك)، وغيرها كثير في جل أبيات القصيدة.

- **الطباق السلب:**

وهو الذي تجتمع فيه الكلمة نفسها، إما بالإثبات أو النفي ومن ذلك قوله:

والدين في الناس حقل ليس يزرعه **** غير الألى لهم في زرعه وطر [٤]

فالطباق السلب بين لفظتي: (ليس يزرعه: المنفية)، و(زرعه: المثبتة)، حيث وظف نفس الكلمة، وليثبت ضدها نفاها بأداة النفي (ليس).

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٥٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٤٤.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٤٧.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٤٤.

٤.٢.١. المقابلة:

وهي أن " يأتي الشاعر في الموافِق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف" (١)، وهو الأمر الذي لم تخلو منه أبيات جبران خليل جبران المواكبية، حيث يقول:

وهو الشديد وإن أبدى ملاينة **** وهو البعيد تدانى الناس أم هجروا (٢)

وهي مقابلة بين مقطعين في بيت واحد، حيث يقابل المقطع الأول بالمقطع الثاني، فالإنسان الحالم في نظر جبران يكون قاسيا حتى وإن أبدى بعض اللين، ويكون بعيدا مهما أتى الناس أو رحلوا.

٢. المستوى المعجمي:

وتُدرس فيه "الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية، والتجريدية، والحيوية، والمستوى الأسلوبي لها؛ بمعنى أنه يبحث في دلالة الكلمات اللغوية" (٣). وقد تنوعت المعاجم التي استعملها جبران خليل جبران في نظم مقاطع قصيدته منها:

١.٢. معجم الطبيعة:

سيطرت الطبيعة على قلم الشاعر ونفسيته وفكره؛ ذلك أنه سعى إلى الخلاص من فساد المجتمع الملوث بالهروب إلى طهر الطبيعة وصفاءها.

ومن المفردات التي تدل على معجم الطبيعة نذكر: الأرض، الليل، ترابا، الترب، الزهر، الشمس، البحر...

---

(١) الكافي في العروض والقوافي: ١٧٥.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/٢٥١.

(٣) مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية: ١٥٠.

يقول في المقطع الحادي عشر:

والحب في الناس أشكال وأكثرها **** كالعشب في الحقل لا زهر ولا ثمر[١]

وفي المقطع الخامس عشر:

لم أجد في الغاب فرقا **** بين نفس وجسد

فالهوا ماء تهادى **** والندى ماء ركد

والشذا زهر تمادى **** والثرى زهر جمد [٢]

ثم يقول في المقطع السابع عشر:

والموتُ في الأرض لابن الأرض خاتمةٌ **** وللأثيري فهو البدءُ والظفرُ

فمن يعانق في أحلامه سحرا **** يبقى ومن نام كل الليل يندثرُ

ومن يلازم تربا حال يقظته **** يعانق التربَ حتى تخمد الزُهرُ

فالموت كالبحر، من خفّت عناصره **** يجتازه، وأخو الأثقال ينحدرُ [٣]

فالطبيعة رمز للفطرة (التراب، الغاب)، و(الزهر) رمز للجمال، و(الماء) رمز للحياة، و(الحقل، البحر، الثمر) رمز للخير، و(الليل) رمز للظلام والهواجس، و(الشمس) رمز للنور، و(الهوا) رمز للروح، و(الأرض) رمز للأصل، ... كل هذه الرموز يكتنزها المعجم الشعري للطبيعة عند جبران.

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٥٩/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٦٧/٢.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٧١/٢.

٢,٢. معجم الموت:

من الألفاظ الدالة على هذا المعجم في القصيدة نذكر: الأموات، الموت، قاتل، مقتول، أنين، تفنى، يفنى، قبروا، أشباحا، الأرواح، خاتمة، يندثر، القبور....

يقول الشاعر في المقطع السابع عشر:

ليس في الغابات موت **** لا ولا فيها القبورْ

إن هول الموت وهم **** ينثني طيَّ الصدورْ (١)

وفي المقطع التاسع عشر:

فالذي يحيا بعجز**** فهو في بطء يموت (٢)

يبدوا من خلال هذه المفردات أن الشاعر تعب من الحياة المزيفة المليئة بالخبث، والشر، والكره، والكذب، والظلم، متمنيا الموت والفناء للطغاة في هذه الأرض، التي غاب فيها العدل وكل القيم الإنسانية السامية.

٣.٢. معجم الحب والحرية:

تواردت في القصيدة عدة ألفاظ، ومفردات، وعبارات تدل على هذا المعجم ومن ذلك نجد: الحر، تحرر، الطليق، الحب ...

يقول في المقطع السابع:

والحر في الأرض يبني من منازعه **** سجنا له وهو لا يدري فيؤتسرُ

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٧١/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٧٢/٢.

فإن تحرّر من أبناء بجدته **** يظل عبدا لمن يهوى ويفتكرُ [١]

ويقول أيضا في المقطع الحادي عشر:

والحب في الناس أشكال وأكثرها **** كالعشب في الحقل لا زهر ولا ثمر

وأكثر الحب مثل الراح أيسره **** يرضي وأكثره للمدمن الخطر

والحب إن قادت الأجسام موكبه **** إلى فراش من الأغراض ينتحر [٢]

٤.٢. معجم الإنسان:

ضم هذا المعجم ألفاظا دلت على الجسد منه: أصابع، الجسم، القلوب، العقول، الناس، السيد، قاتل، سارق، البشر، فالغنا، الروح، عبيدا، عالم، يقولن، يستضحك، نظروا، يسير، يمش، تنكسر، السواعد، الروح، النفس...

يقول في مطلع قصيدته:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا **** والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا

وأكثر الناس آلات تحركها **** أصابع الدهر يوما ثم تنكسر [٣]

يعد هذا المعجم من أهم المعاجم التي ارتكز عليها جبران في قصيدته - على اعتبار أن الإنسان مكون هام وفاعل في الوجود من خلال سلوكاته وأفعاله وانفعالاته، والتي تدل على تنوع وثراء مستوى بنية الإنسان العقلية والمادية والنفسية، فتنوع مصادر الأفعال والسلوكات التي يقوم بها الإنسان دليل على غنى تجربته في الحياة.

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٥٢/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٥٩/٢.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

وبالتالي تشكل القصيدة صورة عاكسة لهذه الأفعال، وإبراز مختلف التصرفات الحميدة والقبيحة التي يقوم بها الإنسان، فالقصيدة من بدايتها توضح وتصف هذه السلوكات إما بالذم أو المدح، أو التقبل والرفض.

نستخلص مما سبق أن القصيدة غنية من حيث تنوع المعاجم غير التي ذكرت في التحليل، لم يسع المقام لاستحضارها كلها من: معجم: العلم، والدين، والحياة، الآخرة...، والتي عملت على تكثيف الدلالة وإبراز المعنى بشكل لافت، كما أضفت على القصيدة جمالا فنيا وتناسقا نصيا.

٣. المستوى الدلالي:

يمثل المستوى الدلالي جزءا من الدراسة البنيوية؛ ذلك أنه يهتم بتحليل " المعاني المباشرة وغير المباشرة، والصورة المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة، والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع، وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر"(١)، وقد مثلت قصيدة جبران "المواكب" حدثا مهما في حياة الشاعر، فحملت دلالة عميقة صور فيها الشاعر تجربته في الحياة؛ ذلك أن التصوير الفني هو الذي يجعل من القصيدة حقلا خصبا لتلك المشاهد المتحركة، التي يرمي الشاعر إلى إيصالها إلى المتلقي.

فالصور هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، وذلك ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة، والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، وغيرها من أدوات التعبير الفني.

وتتعدد الصور الفنية في قصيدة " المواكب" بين:

---

(١) مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية: ١٥١.

١.٣. الصورة الكلية:

يحمل النص في ثناياه كلمات خاصة بأنساق التشكيل، بحيث تحمل هذه الكلمات إيحاءات ودلالات تتجلى من خلالها معاني القصيدة، وهي بذلك تتخذ صورا مختلفة في ثنائيات تتناسق فيما بينها، لتصور لنا الصورة الكلية لواقع إنساني يتفجر داخل الذات الشاعرة، تطعمه جمل من العوامل النفسية، والوقائع الاجتماعية المزرية التي ينبذها الشاعر ويسعى إلى تغييرها.

فالقصيدة من مطلعها إلى آخرها تنتشر أفقيا وعموديا، لتبرز تلك المعاني المندثرة بنوع من الغموض، وترسم لوحة فنية يوحي فيها الشاعر بقصديته إلى الآخر في مواجهة مباشرة مع تطلعات الأنا الشاعرة، لتجرد الذات من نفسها مخاطبا حاضرا دلاليا، وغائبا وجوديا، وتتضح الصورة بشكل جلي في الثنائيات الضدية التالية:

١.١.٣. ثنائية الخير /الشر:

يقول: الخير في الناس مصنوع إذا جبروا *** والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا (١)

ويقول أيضا: وقاتل الجسم مقتول بفعلته **** وقاتل الروح لا تدري به البشر (٢)

فمجمل هذه القضايا التي وردت في الأبيات الممثلة، هي قضايا تقريرية متواضع عليها، لا تحتمل دلالات بعيدة، فالخير والشر متعلقان بالإنسان، وقاتل الجسم ظاهر للعين معروف، أما قاتل الروح فمجهول مستتر.

٢.١.٣. ثنائية الحياة / الموت:

يقول الشاعر:

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/ ٢٣٩.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/ ٢٤٧.

والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا **** به ويستضحك الأموات لو نظروا

فالسجن والموت للجانين إن صغروا **** والمجد والفخر والاثراء إن كبروا (١)

٣.١.٣. ثنائية الفرح/ الحزن:

يقول الشاعر:

والسر في النفس حزن النفس يستره **** فإن تولى فبالأفراح يستتر (٢)

٤.١.٣. ثنائية الجنة/ النار

يقول الشاعر:

من آمل بنعيم الخلد مبتشر **** ومن جهول يخاف النار تستعر

فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا **** ربا ولولا الثواب المرتجى كفروا (٣)

٥.١.٣. ثنائية القوة/ الضعف:

يقول الشاعر:

والحق للعزم والأرواح إن قويت **** سادت وإن ضعفت حلت بها الغير

ففي العرينة ريح ليس يقربه **** بنو الثعالب غاب الأسد أم حضروا

وفي الزرازير جبن وهي طائرة **** وفي البزاة شموخ وهي تحتضر

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٠/٢.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٤/٢.

والعزم في الروح حق ليس ينكره **** عزم السواعد شاء الناس أم نكروا

فإن رأيت ضعيفا سائدا فعلى **** قوم إذا ما رأوا أشباههم نفروا [١]

تولد الصراع بين أبيات القصيدة من خلال: ثنائية الموت/ الحياة، الجنة/النار، الفرح/ الحزن وغيرها من الثنائيات، التي تدل على موت القيم الإنسانية في واقع الشاعر المأزوم المميت الذي أصبح مليئا بالظلم، والخبث، والشر...، واقع أصبح فيه القوي يأكل الضعيف، واقع أصبح فيه الظالم ينتصر على المظلوم، واقع غابت فيه قيم العدل، والإنصاف، والمساواة...، جاعلا صوت الغاب والناي ملجأه ومهربه، الجنة والحياة التي ستنسيه واقعه المر المليء بالتناقضات.

من هنا يمكن القول إن الصورة الكلية لمقاطع القصيدة تبلورت في ثنائياتها الضدية المتناقضة، والتي دأب الشاعر من خلالها على إظهار صراع الإنسان معها في الحياة، وتعرضه لانكساراتها في محاولة لتغييرها.

٢.٣. الصورة التشبيهية:

يذهب قدامة بن جعفر إلى أن التشبيه "يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معاني تعمّهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها"[٢]، والغرض من التشبيه الإيضاح والبيان، والإيجاز والاختصار، ومن ذلك نجد في القصيدة:

يقول في المقطع الأول: وأكثر الناس آلات تحركها **** أصابع الدهر يوما ثم تنكسر[٣].

وفي المقطع الرابع:

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٨/٢.

(٢) نقد النثر:٦٥.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

إن دين الناس يأتي **** مثل ظل ويروح [1].

وفي المقطع الخامس: إن عدل الناس ثلج **** إن رأته الشمس ذاب [2]

وفي المقطع السابع: والعلم في الناس سبل بان أوّلها **** أما أواخرها فالدهر والقدرُ [3]

المشبه	المشبه به	أداة التشبيه	وجه الشبه	نوع التشبيه
الناس	آلات	محذوفة	الانكسار مع مرور الوقت	التشبيه المؤكد
دين الناس	ظل	مثل	إيمان البشر مادي فهو غير ثابت سينتهي وسيزول	التشبيه التام
عدل الناس	الثلج	محذوفة	(محذوف)	التشبيه البليغ
العلم في الناس	سبل	محذوفة	(محذوف)	التشبيه البليغ

شبه الشاعر في البيت الأول الناس بالآلات التي سرعان ما تنكسر أمام الزمن، وكأنه يريد دفع المتلقي إلى التأويل وفهم المراد من الصورة، من خلال توظيفه للتشبيه المؤكد، كما نجد المرسل يشير إلى أن الزمن يغير نفوس الناس ويتحكم ويعبث بهم، أما في البيت الثاني فقد شبه دين الناس بأنه إيمان مادي لا روحي سرعان ما سيزول.

أما البيتان الأخيران فقد تضمنا تشبيها بليغا، شبه في الأول؛ عدل الناس الزائف بالثلج الزائل بعد سطوع أشعة الشمس، في حين شبه في الثاني العلم بالطريق بدايته واضحة ونهايته مجهولة.

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٤/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٥١/٢.

٣.٣. الصورة الاستعارية:

يقول السكاكي: " هي تشبيه حذف منه المشبه به أو المشبه، ولا بد أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائما، كما لا بد من وجود قرينة لفظية أو حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبه به أو المشبه ".[١]

يقول جبران: فالشتا يمشي ولكن **** لا يجاريه الربيع[٢]

يقول أيضا: كأنما هي أثمار إذا نضجت **** ومرت الريح يوما عافها الشجر[٣].

يقول الشاعر:

غاية الروح طي الروح قد خفيت **** فلا المظاهر تبديها ولا الصور [٤]

المستعار له (المشبه)	المستعار منه (المشبه به)	القرينة	نوع الاستعارة
الشتا	محذوف	يمشي (لفظية)	مكنية
الريح/ الشجر	محذوف	يمر (لفظية)	مكنية
روح الإنسان	محذوف	طي (لفظية)	مكنية

شبه جبران فصل الشتاء بالإنسان الذي يمشي، كما شبه في البيت الثاني الريح بالإنسان الذي يمر، وعندما لا يعجبه أمر ما عافه وتركه مع مروره، وشبّه روح الإنسان بالورق القابل للطي، مع حذف المشبه به والبقاء على أحد لوازمه في كل الأبيات المذكورة، وهي الأفعال (يمشي، يمر، طي) على سبيل الاستعارة المكنية.

(١) علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): ١٩٣.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: / ٢٦٧.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٦٧/٢.

٤.٣. الصورة البصرية:

يعتبر البصر من أوثق حلقات الوصل بين الإنسان وعالمه الخارجي، وأكثر الحواس تعاملا مع الواقع، فهي تمكنه من إدراك أدق تفاصيل محيطه وما يدور حول "فالشاعر يرى ما لا يرى ...ومادة (رأى) تثمر صورة فنية حسية بصرية " [1]، وقد عمد جبران إلى توظيفه أفعال الرؤية (نظروا) لرسم صورته الحسية البصرية، لتساعده على وصف إحساسه وإشراك المتلقي ودمجه في دائرة إحساسه.

يقول: والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا **** به ويستضحك الأموات لو نظروا [2]

لقد رسم الشاعر صورة بصرية غاية في الجمال، إذ يدفع المتلقي إلى تخيل عناصر هذا المشهد الذي يصوره: بكاء الجن، ونظر الأموات وضحكهم، وكأن بجبران يأخذ بيد المتلقي ليرحل معه إلى عالم الجن، فيريه بكاء الجن حين سماعهم بحقيقة العدل بين الناس، ثم يعرج به إلى عالم الموت ليرى ضحك الأموات، في مشهد ليس مألوفا لدى المتلقي، وهي صورة رهيبة غير معهودة عند الإنسان، أراد الشاعر إشراكنا في تخيلها حين حديثه عن العدل.

٥.٣. الصورة السمعية:

تتميز حاسة السمع بقدرة عالية لحفظ التواصل المستمر بين الإنسان ومحيط؛ فهي الحاسة الوحيدة التي لا يستطيع الإنسان التحكم بها؛ ذلك أنها تعمل على تصوير كل الأصوات له، ووقعها على نفسيته، وتظهر لنا هذه الصورة في مقاطع القصيدة من خلال توظيف الشاعر للألفاظ الدالة على التكلم والاستماع (غنِّ).

---

(١) الخطاب الشعري الحداثي والصورة الفنية:٦٠.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

يقول في المقطع الأول:

أعطني الناي وغني **** فالغنا يرعى العقول

وأنين الناي أبقى **** من مجد وذليل [١]

ويقول أيضا في المقطع الخامس:

أعطني الناي وغن **** فالغنا عدل القلوب

وأنين الناي يبقى **** بعد أن تفنى الذنوب [٢]

وظف جبران الصورة السمعية الصاخبة حين طلب من الطرف الثاني الغناء (غنِّ)، هذا المخاطب نجهله، وقد وظفه الشاعر لينزل به منزلة استخلاص الحكم بين الصوتين المتحاورين في القصيدة، وهو حكم مرتبط بالغناء الذي يرى فيه الدواء لكل ما يعانيه الناس من أحزان، وأنين الناي ونغمته هي نغمة هادئة جعلها عنوان الخلود والحياة الشاملة.

٤. المستوى النحوي:

ترتبط الدراسة النحوية بالشكل لا المضمون، بحيث يتم دراسة " تأليف وتركيب الجمل وطُرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية"[٣]، فالعلاقات تأخذ موقفا معينا في الجملة، حسب ما تقتضيه قوانين اللغة، فلكل كلمة وظيفة نحوية وذلك من خلال موقعها في الجملة.

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

(٣) مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية: ١٥٠.

زاوج الشاعر في بناء "قصيدته" مواكب بين الجمل الفعلية والجمل الإسمية، ولكل جملة ميزة تنفرد بها، تكشف عن الغايات التي من أجلها وظفت في بناء النص.

ونورد فيما يلي بعض من هذه الجمل الإسمية والفعلية، في محاولة لاستقراء إيحاءاتها ودلالاتها ووظيفتها في البناء التركيبي العام لمقاطع القصيدة.

١.٤. الجمل الاسمية:

هي "التي تبتدئ عادة باسم مرفوع مبتدأ، وقد تبدأ بمصدر صريح، وقد يكون المصدر مؤولا، وقد تبدأ الجملة الاسمية بوصف له فاعل سد مسد الخبر، كما يجوز أن يكون الوصف خبرا مقدما وما بعده مبتدأ مؤخر"[١]، ومن الأمثلة الواردة في القصيدة.

- المثال١:

الخير في الناس مصنوع اذا جبروا *** والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا[٢]

- المثال ٢:

ليس في الغابات عدل **** لا ولا فيها العقاب [٣]

- المثال ٣:

أعطني الناي وغن **** فالغنا يرعى العقول [٤]

- المثال ٤:

العدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا *** به ويستضحك الأموات لو نظروا [١]

---

(١) الإعراب الميسر: ٢٣.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

وقد اعتمد جبران في بناء قصيدته على أنماط مختلفة من الجمل الإسمية؛ كالمثال الأول الذي يتكون من مبتدأ (الخير) وجار ومجرور (في الناس)، وخبر ورد اسما مفردا (مصنوع)، أما المثال الثاني فيتألف من ناسخ (ليس) وشبه الجملة (في الغابات) في محل خبرها مقدم، و(عدل) اسم (ليس) وقد أفادت النفي نفي العدل عن الغابات.

أما بالنسبة إلى المثال الثالث؛ فقد تألف من مبتدأ (فالغنا) وخبر جاء جملة فعلية (يرعى العقول)، كما اعتمد الشاعر في المثال الرابع على جملة إسمية (العدل في الأرض يبكي) المتكونة من مبتدأ وجار ومجرور وجملة فعلية، ما تناسب مع رؤيته في بلوغ العدل منزلة دنيا بين الناس؛ فهي حقيقة قارة ومؤكدة عنده حتى أنها أبكت الجن وأضحكت الأموات عليها على حد تصويره له.

يتضح لنا مما سبق؛ أن الجمل الإسمية تخللت كل القصيدة في أكثر من موضع، لما لها من ميزة ثنائية جمعت بين سمة الثبات والاستقرار للإسم، وبين الاستمرارية التي يحققها زمن الفعل (المضارع) في خبرها ليقوي الشاعر تأكيده ويزيده مثانة وقوة، فلا يسري الشك في نفسية المتلقي أو يحس بشيء من الريبة.

٢.٤. الجمل الفعلية:

هي" التي تبتدئ بفعل ماض أو مضارع أو أمر، ويلي الفعل دائما فاعلا مرفوعا، وإذا حذف الفاعل قام مقامه نائب فاعل" [٢]، ومن أمثلة الجمل الفعلية في القصيدة.

- المثال ١:

<u>أعطني الناي وغن</u> **** فالغنا عدل القلوب [٣]

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

(٢) الإعراب الميسر: ٦١

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

- المثال ٢:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا *** والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا [١]

- المثال ٣:

فأفضل الناس قطعان يسير بها **** صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر [٢]

- المثال ٤:

لا يقول السرو هذي**** بدعة ضد الكتاب [٣]

- المثال ٥:

فإذا شاخوا وماتوا **** بلغوا سن الفطام [٤]

- المثال ٦:

فقل هم البهم ماتوا قبلما ولدوا *** أنّى دروا كنه من يحيى وما اختبروا! [٥]

- المثال ٧:

هل اتخذت الغاب مثلي **** منزلا دون القصور[٦]

استعمل جبران في المثال الأول جملة فعلية (أعطني الناي)، مكونة من فعل أمر، وفاعل مستتر أنت، ومفعول به أول (ياء المتكلم)، ومفعول به ثان (الناي)، وقد وظف الشاعر هنا فعلا من أفعال المنح والعطاء.

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩/٢.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران:٢٤٣/٢.

(٥) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران:٢٦٠/٢.

(٦) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٧٢/٢.

أما بالنسبة إلى المثال الثاني نجد أن جبران خليل جبران يؤكد جربان ثبوت صفة الشر عن الناس، بتركيبة فعلية أحسن اختيار فعلها (يفنى)، و "لا" خاصة بنفي الحدث في الأفعال، وكذا نفي الأسماء ودلالة النفي بها حاصلة الثبوت لا محالة.

وقد وظفها الشاعر في هذا البيت ليؤكد أن الشر باقٍ في النفوس البشرية حتى بعد الموت، ويمنحه صفة الخلود والديمومة، كما نلاحظ في المثال الثالث (لم يمش) جملة فعلية منفية سبقت بأداة الجزم (لم)، وهي أداة تختص بالأفعال وعملها الجزم بالفعل، شأنها شأن أداة النفي (لا) في المثال الرابع.

أما المثال الخامس استعمل جبران جملة فعلية شرطية مسبوقة بأداة شرط (إذا)، متبوعة بأفعال مصرفة في زمن الماضي (شاخوا، ماتوا، بلغوا)، في حين بدأ بيت المثال السادس بأداة عطف مرتبطة بفعل أمر (قُلْ)، أما المثال السابع فتضمن جملة فعلية استفهامية مسبوقة بأداة الاستفهام (هل)؛ وسر على هذا النسق البنائي في كل أبيات القصيدة.

نستخلص مما سبق أن الشاعر زاوج بين الأسماء والأفعال؛ ذلك أن مقطعي القصيدة يقومان على صوتين: الصوت الأول الواصف لمنظومة الحياة عند البشر، وبين الأبيات التي جعلها الشاعر للصوت الثاني الداعي للطبيعة، فوجدنا أن أغلب الأفعال وردت في المقطع الثاني، ما يوحي على الحركية والاستمرار عند جبران خليل جبران، فكل ما يراه لا يعدوا سوى فوضى تسود العالم وتفرض منطق اللاثبات عند الإنسان.

أما في معرض حديثه عن الطبيعة (ليس في الغابات راع **** لا ولا فيها القطيع) نجد غلبة الأسماء على الأفعال في المقطع الأول، ذلك أن الهدف والمغزى من القصيدة هو بث الاستقرار والثبات في نفسية المتلقي، إذ يبدأ بإخباره عن مساوئ هذا العالم غير السوي المليء بالزيف والظلم ...ثم ينتقل إلى سرد محاسن الغاب، فيَطْمَئِنُّ المتلقي ويُؤمن بعقيدة الشاعر ويُصدق نداءه ودعوته.

٣.٤. **الوصل**: يقوم اتساق النص على عنصر أساسي يتمثل في الوصل، وهو " عطف جملة على جملة أخرى"(١)، بحيث يحقق الترابط بين الجمل بطريقة منتظمة، باستعمال أحد حروف العطف.

وقد كان لأدوات الوصل حضورا بارزًا في النّص، بحيث ساهم إلى حدّ كبير في إحداث نوع من الترابط الداخلي، وبهذا يكون قد أحدث تماسكا وتلاحما في القصيدة.

أهمّ هذه الأدوات التي استخدمها الشاعر هي "الواو والفاء"، كان لها دور بارز في القصيدة ومن أمثلة ذلك:

والدين في الناس حقل ليس يزرعه **** غير الألى لهم في زرعه وطر

من آمل بنعيم الخلد مبتشر**** ومن جهول يخاف النار تستعر

فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا **** ربّا ولولا الثواب المرتجى كفروا (٢)

نلاحظ في جل أبيات القصيدة قد اتكأ جبران خليل جبران على أداتين للوصل "الواو" و"الفاء" باعتبارهما وسيلة رئيسية للرّبط بين عناصر النص وأجزائه، بالإضافة إلى أدوات أخرى مثل:(ثم، أو، لكن، حتى...)، وهي جميعها أدوات تشكل سمة إبداعية رسمت ملامح تشخيصات الشاعر في نفسية المتلقي لقصيدته، كما ساهمت في تلاحم بنية النص وانسجامه.

كما نلاحظ في هذا المقطع أنّ الشاعر قد نوّع في أدوات الوصل بين الواو والسين والفاء واللّام، وحروف الجر، وقد لعبت هذه الأدوات دورها النحوي في تضافر عناصر القصيدة.

---

(١) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: ١٠١.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٤.

٥. المستوى الصرفي:

تُدرس فيه "الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة"[١]، والتعامل مع أبيات قصيدة "المواكب" من حيث البنية الصرفية تتمثل في رصد أهم الصيغ الصرفية الواردة بكثرة فيها، لذلك سنركز اهتمامنا على وصف البنية الصرفية للأفعال والأسماء، وذلك بالتركيز على الصيغ البسيطة والمركبة من أفعال وأسماء في البناء التركيبي للقصيدة.

١.٥. بنية الأفعال:

يتكون الفعل من الأوزان التالية (فعل، تفعل، يفعل، أفعل، سيفعل)؛ وهي أفعال تدل على أحداثا إما تقع في الماضي أو في الحاضر وهو ما يظهر في كل أبيات القصيدة، ومن أمثلة ذلك:

- خلق الناس عبيدا**** للذي يأبى الخضوع [٢]
- وأكثر الناس آلات تحركها **** أصابع الدهر يوما ثم تنكسر[٣]
- فالشتا يمشي ولكن **** لا يجاريه الربيع[٤]
- أعطني الناي وغن **** فالغنا يرعى العقول [٥]
- واذ يقول هي الأجسام إن هجعت **** لم يبق في الروح تهويم ولا سمر[٦]
- كالنهر يركض نحو السهل مكتدحا **** حتى إذا جاءه يبطئ ويعتكر[٧]

---

(١) مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية: ١٥٠.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩.

(٥) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩.

(٦) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٦٧.

(٧) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٦٤.

- إن دين الناس يأتي **** مثل ظل ويروح[1]
- ومن يلازم تربا حال يقظته**** يعانق الترب حتى تخمد الزهر[2]

طغى على هذه الأبيات فعل المضارع الذي جاء على وزن: فعل، يفعل، تفعل، أفعل، وهذه الأفعال [يأبى، يمشي، يجاريه، أعطني، يركض، يبطئ، ويعتكر، يلازم، تخمد...]؛ وهي أفعال تدل على زمن الحاضر الذي هيمن على معظم القصيدة، ما زادها حركة ونشاطا، لأن الشاعر هنا يتكلم عن القيم النبيلة التي غابت عن مجتمعه من عدل وخير ومجد وعلم ...لتنطق مقاطع القصيدة بضمير الغائب لغياب هذه القيم النبيلة.

كما أن استخدام الشاعر للفعل المضارع بكثرة في هذه القصيدة، لأنه يريد أن يعبر عن حدث يعايشه في حاضره؛ ذلك أن الشاعر يتمنى أن يذهب الألم والحزن والمعاناة عن عالمه، باحثا عن الراحة النفسية والطمأنينة في الغاب، هاربا من وجع بيئته ومجتمعه الذي ساد فيه الطغيان والظلم والكذب والشر بمختلف أشكاله.

٢.٥. بنية الأسماء:

هيمنت على القصيدة الأسماء المعربة من الأعجمية، خاصة منها الأسماء المجردة، والاسم هو "كلمة تدل على شيء جامد وهي ذات ثلاثة أصول: أصل ثلاثي، رباعي، خماسي" [3].

وقد غلبت على القصيدة الأسماء المعربة، بحيث توزعت بين الأسماء الثلاثية والرباعية.

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٤.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٧١.

(٣) أثر المحتسب في الدراسات الصرفية: ٢٧

- **الأسماء المجردة الثلاثية** : هي "ما كانت حروفها الأصلية ثلاثة، وتأتي على الأوزان التالية : [فَعَل، فَعِل، فَعُل، فَعْل، فِعَل، فِعِل، فِعْل، فُعَل، فُعُل، فُعْل]" (١)، ومن أمثلة ذلك في القصيدة: [خير، علم، حقل، دهر، ناس، أرض، زهر، موت، سجن، شمس، نهر، عدل، بعث، روح، جسد، نفس، عزم، علم، حلم، لطف، حجر، إبر، خطر، ضعف، سقم، طعم، هول...].

- **الأسماء المجردة الرباعية**: وهي "ما كانت حروفها الأصلية أربعة، وأبنيته خمسة [فَعْلَل، فِعْلِل، فُعْلُل، فِعْلَل، فِعَلّ]" (٢) ومن أمثلة ذلك في القصيدة: [متاجرهم (مَتْجَر)، مِرْآة، شَمْأل، عناصره(عُنْصُر)، مَضْجَعك، حليب، بُلْبُل...].

يقول الشاعر:

فالسجن والموت للجانين إن صغروا **** والمجد والفخر والإثراء إن كبروا

فسارق الزهر مذموم ومحتقر**** وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر

وقاتل الجسم مقتول بفعلته **** وقاتل الروح لا تدري به البشر

ليس في الغابات عدل **** لاو لا فيها العقاب

فإذا الصفصاف ألقى **** ظله فوق التراب

لا يقول السر وهذي **** بدعة ضد الكتاب(٣)

من الملاحظ أن الشاعر نوع في استعماله للأسماء المجردة الثلاثية والرباعية بكثرة، واعتماده على الأفعال المضارعة في بناء قصيدته.

---

(١) تصريف الأسماء في اللغة العربية: ٧.

(٢) تصريف الأسماء في اللغة العربية: ٩.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧/٢.

في حين نجد أن؛ حضور الماضي في القصيدة يكاد يكون باهتا، وبهذا يحاول الشاعر إلغاءه من حاضره، ليأتي الغاب في نسق القصيدة ليحمل اللفظة من حاضرها الآني اليائس المضطرب، والهرب إلى الطبيعة باحثا عن السكينة الروحية، لذلك تتفوق إشارات الحاضر حالما بانبعاث قيم الخير والعدل من جديد، وجاعلا منها قاعدة يرتكز عليها.

فالنص مملوء بالحركة من خلال إشارات الزمن عبر استعماله للأفعال المضارعة، وبالتالي اتجاه النص من الحركة المليئة بالشر، والظلم، واللامساواة إلى السكون المليء بالسكينة، والطمأنينة، والثبات وكل القيم السامية النبيلة، وذلك بغلبة الأسماء على القصيدة أيضا.

٦. مستوى القول:

ويتم فيه "تحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية"(١).

ولو نظرنا إلى القصيدة نفسها وإلى تراكيب جملها ولكن على مستوى القول فيها، لأمكننا ملاحظة أن الأقوال التي وردت فيها، تتبع ترتيبا خاصا بها في كل مقطع من مقاطع القصيدة؛ ذلك أننا نجد ترتيبا لثلاثة أصوات قولية تمثل الجمل الكبرى وهي:

- **صوت الشاعر/ الشيخ الحكيم**: الذي يمثل الحكمة الناضجة الواعية المستمدة من تجربة السنين والحياة، والعارفة بخفايا الزمن، وخبث الحياة المصطنعة والزائفة، المحكومة بالعادات والتقاليد.

- **صوت الغاب/ الشاب**: الذي يمثل الطبيعة بعفويتها وفطرتها البريئة، حيث المساواة والمحبة والفرح والخير...، المتمردة على كل قيد من القيود؛ كونها عالم الطبيعة والصفاء والنقاء الإنساني.

---

(١) مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية: ١٥١.

- **صوت الناي/ القرار**: الذي يمثل النداء، ينادي الناس ويدعوهم إلى اتخاذ قرار بين هذه المتناقضات، ويحثهم على البقاء في الطبيعة، حيث لا يوجد تناقض ولا تنافر بين ظواهر الحياة الإنسانية، بل البساطة المطلقة.

لقد اعتمد جبران خليل جبران في ترتيب موضوعات الجمل الكبرى نظاما بنيويا خاصا به، ثم يتدرج ليبرز الخصائص الأساسية والثانوية لهذه الجمل، حيث يبدأ بتحليل مشاغل واهتمامات الحياة الإنسانية الزائفة بقول الصوت الأول/ الشيخ، في كل مقطع من مقاطع القصيدة.

هذه المشاغل الكثيرة التي تؤرق الإنسان من (الخير والشر، الحزن والفرح، الرضا والضجر، الدين والإيمان، الجنة والنار، العدل الموهوم والظلم، الحق وجدليته، العلم والجهل، الحرية والعبودية، القوة والضعف، الحب والهوى والجنون، الجسد والروح، الموت والحياة، الوجود والفناء...)، ولكثرتها خصص لها في قول الصوت الأول أبياتا متباينة، تتزايد بتزايد مشاغل الإنسان، فمرة نجد خمسة أبيات مرة، ومرة ستة أبيات، ومرة سبعة أبيات؛ حيث يظهر ذلك بوضوح في المقطع الثالث، والسادس، والسابع، والتاسع، والخامس عشر، والسادس عشر.

ينتقل جبران خليل حبران إلى إعلان تمرده عليها، منتقدا إياها باتباع ترتيب بنائي ينفي كل ما عرضه القول الأول في الواقع، والذي نجده ملغيا تماما منفيا في قول الصوت الثاني الغاب، بقوله عبارة (ليس في الغابات راع، ليس في الغابات حزن، ليس في الغابات عدل...)، ففي الغاب يتمرد على هذه المتناقضات التي تشغل الإنسان وينبذها وينفيها، وبنفيها جعل قول الصوت الثاني أربعة أبيات تعبر عن هذا النفي.

تنتهي بنية كل مقطع من مقاطع القصيدة بقول الصوت الثالث؛ صوت الناي الذي حدد له بيتين فقط، يؤكدان ما ورد في قول الصوت الثاني، ودعوته الصريحة لتحرير الإنسان من زيف الحياة والواقع الفعلي المعاش المضطرب بقيمه المعقدة، بيد أن الشاعر جبران يخرق هذه القاعدة في المقطع الأخير من القصيدة، حيث عمد على مزج

قول الصوت الأول والثاني، في حوار مؤلف من عشرين بيتا لينتهي هذا الحوار بثلاثة أبيات هي خلاصة رحلة الشاعر الفكرية من خلال حواره الطويل المتعدد الأصوات، والذي يجسد قراره الأخير بقوله:

العيش في الغاب والأيام لو نظمت **** في قبضتي لغدت في الغـــــاب تنتثر

لكن هو الدهر في نفسـي له أرب **** فكلمـــــا رمت غابـــــا قام يعتــــذر

وللتقـــــــــادير سبل لا تغيرهــــــا **** والناس في عجزهم عن قصدهم قصروا [1]

تسعى الوظيفة الشعرية إلى إقامة تماسك لقصيدتها الذي هو قولها، بحيث تثير وجدان وعقل القارئ لقولها انطلاقا من تركيب الصوت الأول، الذي يجعله مشدودا مصغيا إلى إجابة أو قول الصوت الثاني، ومنتظرا النتيجة في الصوت الثالث، والتي سبقتها سلسلة من المقدمات تدل على واقع الشاعر الحزين المليء بالآلام، والشر، والظلم، والضعف، والعجز، والجهل...التي تعانيها النفس الإنسانية هروبا إلى الغاب الذي في نظره واقع مثالي للعيش فيه؛ ذلك أنه يدل على (الفرح، الخير، الحياة، العلم، العدل...)، هذه القيم التي نقلتها الأصوات للقارئ برؤية متنوعة تعددت فيها الأصوات، زادت من وقع قول القصيدة على القارئ.

لقد جعلت هذه التقنيات التي استخدمها الشاعر في القول الشعري لتراكيب جمل القصيدة؛ القارئ ينجذب لفهم بنية هذه القصيدة الشعرية، ولفهم رسالة الشاعر التي يسعى إلى إيصالها، من خلال اعتماده على هذا التركيب البنيوي للجمل الكبرى، وما ينطوي تحتها من مقاطع طويلة وقصيرة تعتبر نهاية القول/ الصوت الأخير الذي يدل على استسلام الشاعر للأقدار من خلال قراره الأخير العيش في الغاب.

٧. المستوى الرمزي:

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٧٥

إن اختيارنا دراسة دلالة الرمزية للكلمات جاءت في الأساس نتيجة تضمين الشاعر لكلمات قصيدته طاقة رمزية، لأنها ترتكز في تسميتها على قدرة اللغة في إحداث المستوى الرمزي، بحيث تعمل على بناءها بتركيب لغوي يهدف إلى إنتاج دلالة جديدة تقودنا إلى معنى ثاني غير المعنى الأول؛ على اعتبار أن هذا المستوى "تقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد، الذي ينتج مدلولاً أدبيًا جديدًا يقود بدوره إلى المعنى الثاني أو ما يُسمى باللغة (داخل اللغة)"(١).

لقد بنى الشاعر جبران خليل جبران قصيدته على لغة رمزية، بصياغة لغوية تبتعد عن التصريح المباشر بالمعنى المنشود، ومحاولة رسم المعنى الغامض للدلالة وشحنه بطاقة رمزية مكثفة، تتناثر في جل مقاطع قصيدته تحملها ألفاظ وعبارات ترمز إلى المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله إلى المتلقي، ومن هذه الرموز نجد لفظة (الغابات).

يقول جبران خليل جبران:

ليس في الغـــابات راع **** لا ولا فيـــــها القطيـــع

فـالشـــــتا يمشي ولكن **** لا يجـــــاريه الربيـــــع(٢)

يقول أيضا:

ليس في الغـــــابات عدل **** لا ولا فيها العقـــاب

فـــــــإذا الصفصاف ألقى**** ظله فوق التـــــراب(٣)

ويقول أيضا:

ليس في الغـــــابات سكر **** من مدام أو خيال

(١) مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية: ١٥١.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٣٩.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٧.

فالســــــــواقي ليس فيها **** غير أكسير الغمـــــام[١]

إن المتأمل في قصيدة جبران خليل سيدرك أن الغابة/ الطبيعة لم تكن مكان هروبه من واقعه المر المعيش، شأنه شأن جل الشعراء الرومانسيين، بل استخدمها رمزا فلسفيا لحل مشكلة الاختلاف والصراع والتنافر بين البشر من خلال حب يسع كل شيء، كما أن فلسفته في وحدة الوجود إيجابية، ذلك أن الحضارة في رؤية جبران خليل جبران مظهر من مظاهر الغاب/ الطبيعة؛ وهو رمز للتمرد على التقاليد وملذات الحياة التي يسعى الإنسان إليها في تكاملها، فالغابة رمز لحياة الفطرة البريئة حيث لا وجود للمتناقضات.

فالغاب رمزا رومانسيا عند الشعراء الرومانسيين، يرمز إلى الثورة على ما حدث في المدينة من تشويش وخداع ومظاهر الزيف والغربة، جعلتهم يتخذون الطبيعة رمزا للخلاص، والحياة الحرة بلا زيف وبلا متناقضات، رمز للفطرة السليمة الخالية من الانحراف والعقد، هي رمز للنقاء والصفاء، وهي رمز للمثالية المطلقة التي ينفيها في آخر مواكبه بقوله:

العيش في الغاب والأيام لو نظمت **** في قبضتي لغدت في الغـــــاب تنتثر

لكن هو الدهر في نفســي له أرب **** فكلمـــــا رمت غابــــــا قام يعتـــــذر

وللتقــــادير سـبل لا تغيرهـــا **** والناس في عجزهم عن قصدهم قصروا[٢]

هذه الأبيات التي تدل على طول المسافة بين الواقع والخيال، وتنتهي بإعلان العجز الإنساني في صنع المثالية المطلقة، حيث القيم السامية والفاضلة.

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢٤٣.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران:٢/ ٢٧٥.

كما استعمل الشاعر لفظة (الناي)؛ كرمز فكري دلالي يؤكد وحدة الغابة التي تزيل الفواصل والفوارق بين الثنائيات الضدية، حيث يقول:

أعطـني النـــاي وغـــن **** فالغنــا ظــرف الظريـف

وأنيـــــن النــــاي يبقــى**** مـــن رقيـــــق وكثيـف [١]

ويقول أيضا:

أعطـــني النـــاي وغـــن**** وانـــــس داء ودواء

إنمــا النــــاس سـطور **** كتبـــت لكــن بمــاء[٢]

يرمز الناي إلى فناء المتناقضات، والترفع عن المطالب الدنيوية الدنيئة والوضيعة، إلى المثل والقيم النبيلة الفاضلة؛ حيث تنعدم قيود القلق والتشاؤم، وتنبعث السكينة، والهدوء، والراحة النفسية الوجودية المطلقة والثابتة.

لقد استعمل الشاعر رموزا صوفية تبرز نظرته الزاهدة في الحياة، المرتبطة بالحقيقة الإلهية والوجودية، حيث يقول:

فالأرض خمـارة والدهـر صاحبـها **** وليـس يرضى بها غيـر الألى سكروا!

فإن رأيت أخا صحو فقل عجبا **** هل استظل بغيم ممطر قمر؟ [٣]

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ٢/ ٢٥٦.

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران:٢/ ٢٧٢.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران:٢/٢٤٣.

ترمز لفظة (خمارة) إلى الخمرة الصوفية التي تدل على فناء الشاعر/ الذات الإنسانية عامة بالذات الإلهية، وانتصار الإنسان على ذاته الضعيفة وملذاتها، وفنائه النهائي في الله المتمتع بالوجود الحقيقي.

لقد جعل جبران خليل جبران من المستوى الرمزي مساحة لتعبر فيها اللغة عن حقيقتها الفنية والتي لا ترضى بما هو موجود وكائن، بل تحاول أن تقيم بناء لغويا دلاليا يجمع بين المتحول القلق، وبين الثابت المريح، فالقصيدة رومانسية ذات طبيعة رمزية صوفية، استطاعت أن تحول الصراع الداخلي والجدل الفلسفي للذات الإنسانية، وما تسعى إليه في وجودها إلى الكمال، البعيد عن القناعة إلى رموز فنية دلالية ذات معاني غير محدودة، حاول من خلالها جبران خليل جبران إبراز فهمه للطبيعة الإنسانية المتناقضة في إطارها: المادي/ المعنوي، الواقعي/ الخيالي، الطبيعي/ المثالي، المتحول/ الثابت.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث، يمكن القول أنّ لغة قصيدة جبران خليل جبران تحمل معنيين؛ المعنى الأول مباشر واضح الدلالة، والثاني غير مباشر؛ لا يمكن الوصول إليه إلا بتظافر مستويات التحليل البنيوي لإبراز دلالته الخفية، بدءا من الاستعمالات الصوتية في القصيدة، التي تنوعت بين تكرار الأصوات المجهورة والمهموسة، مما ترتب عنه نغما موسيقيا صنع الإيقاع الداخلي لها إلى جانب المكونات البديعية.

كما اعتمدت في تشكيلها الموسيقي الخارجي على بحرين اثنين البسيط ومجزوء الرمل؛ ذلك أن المواكب قصيدة ذات حوار فلسفي ذي صوتين صوت الشيخ الحكيم، الذي يمثل الحكمة الناضجة المستمدة من تجربة السنين والحياة، والذي اتخذ (البسيط) بحرا له، وصوت الشاب الذي يرمز إلى الطبيعة بعفويتها وقد اتخذ (مجزوء الرمل) بحرا له.

ولعل اختيار جبران بحرين مختلفين، ومزاوجته بين الجمل الفعلية والإسمية في مواكبه يكون أوقع تعبيرا على الحياة المعقدة في ظل الحضارة، والتي تكشف عن اتجاهين مختلفين: الحياة المادية وقيمها الزائفة المتحولة، والتي عبرت عنها الأفعال والأصوات الجهرية، والحياة الأصلية الحقيقية بين أحضان الطبيعة حيث المساواة والمحبة، والتي عبرت عنها الأسماء والأصوات المريحة المهموسة، أسهم في ثرائها إيقاعيا وتركيبيا.

كما أن بعض تفعيلات القصيدة تخللتها زحافات وعلل، مما أبرز الحالة النفسية والشعورية للشاعر، دون أن تنقص هذه العلل من جمالية القصيدة في شيء.

اختلفت القصيدة من حيث تشكيلاتها البيانية، بحيث انطلقت من إبراز الصورة الكلية عبر مجموعة من الثنائيات: الخير/ الشر، الموت/ الحياة ...ثم الصورة التشبيهية، والصورة الاستعارية، والصورة البصرية والصورة السمعية؛ ذلك أن الشاعر لم يحد من الحدود المعرفية في تشكيل الصورة، إذ امتاح من البلاغة العربية هذه المكونات الأساسية للتصوير الفني.

لقد عملت المعاجم الدلالية في القصيدة على صنع جسد النص الشعري، انطلاقا من عدة معاجم متنوعة التي تشكل البنية الكلية للنص من: معجم الطبيعة، الموت، الإنسان...، إضافة إلى تراكيب الجمل التي توزعت على ثلاثة مقاطع قولية، كل قول فيها يمثل صوتا معينا، تتركب منه قولية القصيدة.

هذه القصيدة التي بنيت على لغة رمزية تحمل دلالات ومعاني إيحائية، تصرح بشكل غير مباشر عن قصدية الشاعر المتمردة على الواقع المتناقض للإنسان عامة، وللشاعر جبران خليل جبران خاصة.

المصادر والمراجع

أثر المحتسب في الدراسات الصرفية، خالد محمد عيال سلمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط١، عمان،٢٠١٠ م.

الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ١٩٩٧م.

أصداء دراسات أدبية نقدية، عناد غزوان، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠ م.

الإعراب الميسر، محمد علي أبو العباس، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، دت.

تصريف الأسماء في اللغة العربية، شعبان صلاح، دار الثقافة العربية، ط١، القاهرة مصر، دت.

التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، ٢٠٠٤م.

الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٩ م.

علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط١، طرابلس لبنان، ٢٠٠٣ م.

الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، مكتبة الخانجي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، ط٣، القاهرة، ١٩٩٤م.

المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، دار الجيل للنشر والتوزيع والطبع، ط١، لبنان، ١٩٩٤.

مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، عبد الله خضر محمد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دت.

نظرية التحليل البنيوي للنص الشعري في كتابات النقاد العرب المعاصرين، بشير تاوريرت، مجلة الأثر، العدد ١١، الجزائر، ٢٠١١ م.

نقد النثر، أبي فرج قدامة بن جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٠ م.

توظيف النمط التوجيهي في التأثير والإقناع في المراسلات السياسية في العصر العباسي دراسة تداولية

ياسر فتحي

باحث دكتوراه، جامعة قسطمونى، تركيا

البريد الإلكتروني: yssr13@protonmail.com

معرف (أوركيد): 0009-0003-4377-652X

بحث أصيل الاستلام: ١٣-٨-٢٠٢٣ القبول: ١٥-١٠-٢٠٢٣ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

الخطاب السياسي في حالات الصراع والتنازع يطوّع ممارسات لسانية متعددة من أجل التأثير ومحاولة الإقناع وتحقيق الغايات المرجوة، ويسعى البحث للاستفادة من الجهود التداولية Pragmatics في تحليل الخطاب السياسي والإسهام في كشف آليات التأثير والإقناع فيه، والذي يرتكز على أن المعنى الحقيقي يتم كشفه وتحليله في حيز الاستعمال، وسنركز على الاتجاه القصدي Intentionally في التحليل، وسنركز في هذا البحث على تحليل النمط التوجيهي الطلبي Directive -وهو أحد أنماط أفعال الكلام الخمسة التي اقترحها سيرل، في تعديله على النموذج التحليلي الذي قدمه لجون أوستن John Austin للأنماط العليا للفعل الكلامي- في المراسلات السياسية في العصر العباسي، والكشف عن توظيفه في عملية التأثير والإقناع، ويسعى البحث أيضا لاختبار مدى فاعلية هذا النموذج التحليلي في تحليل الخطاب السياسي.

الكلمات المفتاحية:

التداولية، أفعال الكلام، الخطاب، الخطاب السياسي، العصر العباسي، المراسلات السياسية

للاستشهاد/ Atif İçin / For Citation: ياسر فتحي، محمد (٢٠٢٣). توظيف النمط التوجيهي في التأثير والإقناع في المراسلات السياسية في العصر العباسي دراسة تداولية. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٣٦٩- ٤١٥ /https://www.daadjournal.com/

Deploying the Directive pattern to influence and persuasion in political correspondence in the Abbasid era – a pragmatic study

Yasser Fathy

PHD Student at Kastamonu University, Turkey

E-Mail: yssr13@protonmail.com

Orcid: 0009-0003-4377-652X

Research Article Received: 13.08.2023 Accepted: 15.10.2023 Published: 31.10.2023

Abstract:

Political discourse in cases of conflict and disputes adapts multiple linguistic practices in order to influence, try to persuade and achieve the desired goals. The research seeks to benefit from Pragmatics efforts in analyzing political discourse and contributing to the detection of the mechanisms of influence and persuasion in it, which is based on the fact that the real meaning is revealed and analyzed in the area of use, and we will focus on the “Intentionally Direction” in the analysis.

John Austin’s Speech Act Theory shows interest in discourse purposes, linking them to higher patterns of speech act that can be narrowed to and analyzed in linguistically, and Austin provided a model of analysis of these patterns, in which John Searle modified and that I will rely on in this research.

In this research, I will focus on analyzing the “Directive Pattern”, which is one of the five patterns of speech acts proposed by Searle, in political correspondence in the Abbasid era, and revealing his deployment to it in the process of influence and persuasion, and the research also seeks to test the effectiveness of this analytical model in analyzing political discourse.

Keywords:

Pragmatics – Speech Acts – Discourse – Political discourse – Abbasi era - Political Correspondence

مقدمة:

إذا كان الخطاب الإنساني في أي سياق اجتماعي يتمتع بسمات متعددة في عمليات التواصل والتعبير، وإنجاز المعاني وتحقيق الغايات، فالسياق السياسي -خاصة المرتبط بالصراع أو النزاع حول غايات وشرعيات ومصالح ونفوذ- يسهم في ثراء التوظيف اللساني من أجل محاولات التأثير والإقناع وتحقيق الغايات الممكنة.

يسعى البحث إلى الكشف عن: كيفية توظيف النمط التوجيهي لغايات التأثير والإقناع، معتمدا على نطاق موضوعي للمراسلات السياسية في العصر العباسي (٤٦ رسالة تشمل ١٠ مواقف خطابية)، من خلال منهجية تداولية معتمدة على نظرية أفعال الكلام المُضَمّنة في القول Speech Act Theory لجون أوستن John Austin، ونموذج جون سيرل John Searle لأنماط أفعال الكلام وخاصة النمط التوجيهي Directive، وخلال ذلك يسعى الباحث للإجابة على أسئلة أساسية وهي:

- كيف تم توظيف النمط التوجيهي في عملية التأثير والإقناع في المراسلات السياسية في العصر العباسي؟
- إلى أي مدى كان نموذج سيرل فعّالا في تحليل توظيف النمط التوجيهي، في عملية التأثير والإقناع في المراسلات السياسية في العصر العباسي؟

ويهدف البحث ضمن إجابته على الأسئلة السابقة إلى:

- إثراء حقل تحليل الخطاب السياسي في المكتبة العربية، اعتمادا على نصوص عربية سياسية أصيلة.
- مزج عمليات التحليل، بالنقاش المنهجي والنقدي للإطار النظري التداولي ونماذج التحليل، والانطلاق من تحليل الظواهر لاكتشاف فاعلية النظريات ونماذج التحليل، والفجوات التي يمكن أن تفتح آفاقا متعددة للباحثين.

١. تمهيد

١-١- المصطلحات الأساسية للبحث:

١-١-١- الخطاب وتحليل الخطاب:

أصبح مصطلح الخطاب رائجا وشائعا في كثير من بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانية، ورغم هذا الشيوع لا يوجد اتفاق واضح ومحدد على تعريف دقيق له، وقد أشار عدد من الباحثين لهذه الملاحظة ومنهم نورمان فيركلف Norman Fairclough إلى أن "الخطاب مفهومٌ يصعب تحديده"(١)، كما أشار أيضا ماريان يورغنسن ولويز فيليبس أن مصطلح الخطاب "يُستعمل على نحو عشوائي في النصوص والنقاشات العلمية من دون أن يتم تعريفه غالبا. وقد أصبح المفهوم ملتبسا"(٢)، وسنجد أيضا أثرا لهذه الملاحظة في معاجم المصطلحات التي تضطر للحديث عن عدة معان وتفسيرات لهذا المفهوم، على سبيل المثال معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ذكر أن لمصطلح الخطاب "وجهين على الأقل"(٣)، كما أشار معجم اللغويات الاجتماعية أن مصطلح تحليل الخطاب يحتمل "ثلاثة معان عامة"(٤)، ومن أسباب هذا الأمر تعدد التخصصات التي تهتم بالخطاب وتحليله، من اللسانيات -ومدارسها واتجاهاتها المختلفة-، للفكر الاجتماعي والسياسي، وكذلك الأنثروبولوجيا وغير ذلك.

سننطلق لتحديد مفهومنا للخطاب في هذه الدراسة من باحثين ورواد في حقل تحليل الخطاب لهم مرجعية واهتمام باللسانيات واللغة، يذكر فيركلف أن المعنى العام للخطاب هو "استعمال اللغة المنطوقة أو المكتوبة"(٥)، أو "تحليلٌ للغة في الاستعمال. لذلك لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن الأغراض أو الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس. وإذا كان بعض اللسانيين مهتمين بتحديد

(١) الخطاب والتغير الاجتماعي: ١٥.

(٢) تحليل الخطاب النظرية والمنهج: ١٣.

(٣) المصطلحات المفاتيح في اللسانيات: ٤٩.

(٤) معجم اللغويات الاجتماعية: ١٢٢.

(٥) الخطاب والتغير الاجتماعي: ٨٥.

الخصائص الشكلية للغة، فإن محللَ الخطاب ملزمٌ بالبحث فيما تُستعمل تلك اللغة من أجله"(١)، كما بيّن فان دايك Teun A. Van Dijk "أن الخطاب لا يُحلَّل بوصفه لفظا مستقلا بذاته فحسب؛ بل بوصفه كذلك تفاعلا موقفيا، أو ممارسة اجتماعية، أو نوعا من التواصل في موقف اجتماعي، أو ثقافي، أو تاريخي، أو سياسي محدد"(٢)، ووفق ذلك أشار براون Gillian Brown وجورج يول George Yule إلى أن تحليل الخطاب هو "تحليل للغة في الاستعمال. لذلك لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن الأغراض أو الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس. وإذا كان بعض اللسانيين مهتمين بتحديد الخصائص الشكلية للغة، فإن محلل الخطاب ملزم بالبحث فيما تستعمل تلك اللغة من أجله"(٣).

ويقتضي الاستعمال والتفاعل وجود غاية بين المتحدث والمستمع أو الكاتب والقارئ، كما يذكر المَسَدِّي أنّ "الكلام وإن كان أداةَ تعبيرٍ في منطلقه، فهو وسيلةٌ لبلوغ الفرد غاياته في الجماعة"(٤)، وهذه الغاية -أو الغايات- لها ارتباط وثيق بطريقة الحديث؛ لأننا "نتكلم في العادة من أجل أن نبلغ هدفا، هذا الهدف يؤثر لا محالة في القول الذي نقول"(٥)، فالاستعمال والتفاعل يقتضي غاية، والغاية تؤثر أو تهيمن على القول، ليس على مستوى المفردات والتراكيب النحوية لكل جملة فقط؛ ولكن على مستوى الدلالات والمعاني الضمنية والمجازية والقصدية والتلميحية؛ بل ربما على مستوى ما تم السكوت عنه قصدا، وربما صاحَبَ ذلك إشاراتٌ صوتية أو دلالات كتابية خطية ذات علاقة بالغاية التي أثّرت على طريقة استعمال اللغة، وتوظيفها، وطريقة التفاعل بها لتحقيق الغاية -أو

(١) تحليل الخطاب: ١.

(٢) الخطاب والسلطة، ٣٤.

(٣) تحليل الخطاب: ١.

(٤) التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٥٠.

(٥) اللغة والتفسير والتواصل: ١١.

الغايات- المقصودة، لذلك أشار براون ويول إلى وظيفتين للغة في إطار الاستعمال الاتصالي: "تعاملية" و"تفاعلية"[1].

وقد سعى محمد بازي لتحديد أكثر دقة لمفهوم الخطاب إنه "مجموع المعاني النصية المفهومة والمؤولة"[2]، وقد أشار إلى أن هذه المعاني تتحقق بوسائل أسلوبية وبلاغية، وبهذا لا يقف الخطاب -بحسب بازي- عند حدود النية أو قصد صاحب الخطاب؛ ولكنه يشمل أيضا قدرات النص الإنجازية وبلاغة التأويل الممكنة.

وفي التمييز بين حقل الخطاب (الذي يشمل المنطوق أو النصوص) وحقل النحو مثلا أشار سعد مصلوح إلى أنّ ثمة نمطين من النحو: نحو الجملة sentence grammar، ونحو النص text grammar، وينتمي النحو العربي إلى النوع الأول حيث يركز على "حدود الجملة ويرى فيها أكبر وحدة لغوية، ولا يقر للنص بكينونة متميزة توجب معالجة تركيبه معالجة نحوية تستجيب لمقتضيات بنيته، وتكون مؤهلة لتشخيصها ووصفها، وبهذا يقع النص خارج مجال الدرس النحوي"[3]، وقد صرّح سعد مصلوح بحاجتنا لتجاوز نحو الجملة قائلا "والذي نريده وندعو إليه هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة"[4]، وينتمي نحو النص إلى مصطلح الخطاب discourse، حيث يستخدم مصطلح الخطاب ليعبر عن المنطوق أو المكتوب أما النص فقد يخص المكتوب فقط، ويهتم البحث بالخطاب الذي يتجاوز نحو الجملة ودراسته من ناحية تداولية؛ للكشف عن توظيف اللغة لإنجاز التأثير والإقناع والغايات الاجتماعية والسياسية.

---

(١) تحليل الخطاب: ١.

(٢) الأنساق العميقة للتأويلية العربية: ٢٦.

(٣) في اللسانيات والنقد أوراق بينية: ٥٠.

(٤) في اللسانيات والنقد أوراق بينية: ٥٠.

وفق هذه الإشارات والتعريفات ننطلق في هذا البحث من أن المقصود من الخطاب يدور حول أربعة عناصر:

الأول: أن الخطاب هو استعمال تفاعلي -أو تواصلي- للغة.

الثاني: أن هذا الاستعمال والتفاعل له غاية إنسانية (اجتماعية أو سياسية إلخ) يُراد إنجازها وتحقيقها.

الثالث: أن هذه الغاية -أو الغايات- تؤثر أو تهيمن على أنماط الاستعمال والتفاعل بين المتكلم والسامع، أو بين الكاتب والقارئ، وتحتاج نموذجا تحليليا ملائما.

الرابع: أن الخطاب بما يحمله من غايات، وأنماط لاستعمال اللغة وتوظيفها، يتجاوز في فهمنا له وتحليله مستوى (نحو الجملة) -أي القواعد النحوية التقليدية التي تعتمد على الجملة كوحدة تحليل-.

ويكون تعريفنا المختار للخطاب: أنه استعمال اتصالي للغة من أجل تحقيق غاية أو غايات إنسانية، وتوثر هذه الغاية أو الغايات في أنماط استعمال اللغة وتوظيفها بين المتحدث والمتلقي، بشكل يخلق بِنْية لسانية تتجاوز الجملة.

أما مقصدنا من تحليل الخطاب: فهو العمل على كشف المعاني (الصريحة أو المؤولة)، المتعلقة بغاية المتحدث، أو بتوظيف اللغة لتحقيق هذه الغاية، أو باستجابة المتلقي وتفاعله مع المتحدث وخطابه لسانيا، من خلال نماذج تحليل تكشف البنية الخفية لهذا الاستعمال المتجاوز لنحو الجملة وقواعده التقليدية.

١-١-٢- الخطاب السياسي:

حددنا ما نقصده من الخطاب، وقلنا إنه يشمل أنماطا لغوية متعددة وكذلك مجالات اتصالية واجتماعية متعددة، والخطاب السياسي هو خطاب اتصالي يستعمل اللغة لتحقيق

غايات متعددة، ويذكر عماد عبد اللطيف أن تحليل الخطاب السياسي هو "حقل معرفي يهتم بدراسة التواصل السياسي في المجتمع، سواء بواسطة النصوص، أو الكلام، أو الصور، أو الإشارات، أو الرموز، أو غيرها من العلامات"[١].

وعادة ما تكون الغايات العليا للخطاب السياسي مرتبطة بالسلطة أو القوة أو التأثير -بأشكال التأثير المختلفة في المجتمع-، وقد تكون هذه السلطة -أو القوة أو التأثير- متعلقة بأسرة، أو عائلة، أو قبيلة، أو هيئة، أو منظمة، أو وزارة، أو حكومة، أو دولة إلخ، ولأن هذه الأشكال الاجتماعية المتعددة تستخدم اللغة استخداما كثيفا فقد أشار فيركلف أن "اللغة ترتبط ارتباطا أساسيا بالسلطة وضروب الصراع على السلطة"[٢]، وبالتالي يمكننا القول إن الخطاب "مكان تمارس فيه علاقات السلطة"[٣].

اللغة إذن أداة مهمة من أدوات الاتصال والتدافع والتأثير بجانب أدوات أخرى، من هنا سيبقى الخطاب السياسي -في فهمنا له في هذه الدراسة وعملية تحليله- ضمن حقل تحليل الخطاب وتعريفه الذي حددناه سابقا، ويكون وصف الخطاب بـ(السياسي) هو وصف مرتبط بالغايات الإنسانية (تأثير وإقناع مرتبط بالسلطة أو القوة والتأثير)، والتي سيكون لها أثر مهم في التحليل اللساني.

هذا الاستخدام اللغوي يبغى التأثير الإقناعي المرتبط بامتلاك السلطة أو القوة والتأثير المرتبط بها، ليكون المرجو من المتلقي للخطاب أن يكون داعما، أو مؤيدا، أو مُسَلِّما، أو مُذعِنا إلخ، وعندما تتنازع الإرادات والغايات السياسية، يسعى كلُّ صاحبِ إرادةٍ لاستخدام اللغة وتوظيفها توظيفا أكثر تأثيرا وإقناعا، لذلك تمثل اللغة طريقا من طرق "الكفاح في سبيل فرض النظام الجديد أو مقاومته"[٤].

---

(١) تحليل الخطاب السياسي: ٣١.

(٢) اللغة والسلطة: ٣٥.

(٣) اللغة والسلطة: ٦٩.

(٤) اللغة والسلطة: ٣٢٣.

فالخطاب السياسي هنا هو تقسيم موضوعي -وليس فنيّا لسانيّا-، وهو وجه من موضوعات اللغة المختلفة في الحياة، فهناك خطاب تجاري دعائي تسويقي، وخطاب إداري وظيفي، وخطاب دبلوماسي، وخطاب إعلامي إلخ، وكلها خطابات لغوية تتنوع غاياتها الاجتماعية الاتصالية، فالتجاري الدعائي له أهداف تتعلق بالمال والتجارة والبيع والأسواق ومنافسة الآخرين تجاريا، كما أن خطاب الإدارة هو خطاب يرتبط بالعمل وفق منظومة معينة من الواجبات واللوائح والقوانين لتحقيق نجاحات مقصودة ومحددة داخل الشركة أو الهيئة، وهو خطاب يخاطب موظفين وعمال وشركاء ومعاونين، وخطاب الإعلام هو خطاب الخبر والتقارير عن موضوعات قابلة للاهتمام والقراءة والتأثير في نفوس الناس وهكذا.

وهذه الغايات المختلفة في مجالات متعددة تؤثر في استعمال اللغة وتوظيفها، بل يمكنُ لخطابٍ إعلامي أو ديني أو تجاري أن يحمل ضِمنيا غايات سياسية، وكذلك يمكنُ للخطاب السياسي أن يعرض لموضوعات دينية أو إعلامية أو ترفيهية؛ لكنه يستخدمها لتحقيق غاية سياسية، ويمكن للاستخدام أن يكون صريحا، أو أن يأخذ أشكالا ضمنية أو تلميحية متعددة، وقد يكون صادقا أو مخادعا متلاعبا.

١-١-٣- المراسلات السياسية في العصر العباسي:

تتنوع أشكال الخطابات داخل الغايات السياسية، أو الاجتماعية، أو الإعلامية، أو التجارية إلخ، قد يكون الخطاب شعرا، أو نثرا، أو خطابة، أو قصة، أو رواية، أو حوارا ومحادثة، أو مناظرة، أو مقابلة، أو خبرا، أو إعلانا، أو تقريرا، أو فيلما، أو مسرحية، أو رسالة إلخ.

وداخل هذه الأنماط قد يكون هناك أخذٌ ورد، وقد يكون إرسالٌ لا ينتظر جوابا أو ردا، لكنْ في خطاب المواجهة الحوارية "يُطوّع المُنْتِجون -للخطاب- أقوالهم حتى تلائم

من يتفاعلون معهم"[1]، وتخلق حالةُ الحوار -أو المواجهة أو انتظار الرد- اهتماما كبيرا بالاستعمال والتوظيف اللغوي، حيث ينتظر المتحدثُ نتيجةً وإنجازا لما يريده، وقد يتلقى ردا إيجابيا أو غير ذلك، وتعدُّ هذه الحالة التفاعلية حالة مثلى لدراسة آليات الإقناع والتأثير، وكيف تتنوع وتتأثر وفق الغاية ووفق حالة المواجهة والحوار؟

فالمراسلات السياسية هي رسائل سياسية متبادلة، أي حالة حوار تتعلق بغاية سياسية تستخدم الرسالة كساحة للتأثير والإقناع، وتمثل المراسلات السياسية ميدانا خصبا لبحوث تحليل الخطاب السياسي تداوليا، ويزيد من أهمية هذه الدراسة أن الدراسات المتعلقة بالمراسلات السياسية في الدراسات اللغوية كانت تتعلق غالبا بالدراسة الفنية والأدبية ولا تنطلق من حقل تحليل الخطاب، وكذلك الدراسات المرتبطة بتحليل الخطاب لم توجه عنايتها لتحليل المراسلات السياسية.

ولأنه يجب على الباحث أن يضيّق نطاق البحث لأسباب علمية، مع وجود أسباب موضوعية لذلك، فقد اختار الباحث في النطاق الزمني العصر العباسي لعدة أسباب:

- أنّ هناك جهودا علمية جمعت الرسائل عموما في هذا العصر خاصة كتاب جمهرة رسائل العرب لأحمد صفوت زكي، وهذا يمكّن الباحث من البحث عن المراسلات عموما والسياسية خصوصا.

- أنّ العصر العباسي قام عقب ثورة على الدولة الأموية، كما أنه مر بكثير من الصراعات والنزاعات لتمتين الحكم الجديد، أو لمواجهة خلافات وتمردات وصراعات نشأت خلاله، وكثير من هذه الصراعات السياسية في العصور الأولى لا تأخذ حظها من التحليل، ولا تستفيد من الاتجاهات اللسانية في تحليل هذه الصراعات، وقد أشار عماد عبد اللطيف إلى أن الدولتين الأموية والعباسية عرفتا "أشكالا من الصراع السياسي، ومع

---

(١) اللغة والسلطة: ٧٦.

ذلك لم يأخذ هذا الصراع شكلَ نقدٍ علمي للغة السياسية لكل طرف من أطرافه على خلاف المتوقع نظريا"[١].

- يمتاز العصر العباسي بنضج العقل العربي وتطور علومه اللغوية، ومن ثَمّ تطور الإنشاء في المراسلات السياسية التي عُرفت بالمراسلات الديوانية "ويمتاز الإنشاء فيها ببسط الكلام"[٢]، كما أنهم كانوا يتخيرون للإنشاء الديواني "بلغاء الكتاب لما يترتب عليه من التبعات الجسيمة"[٣]، ولذلك عدَّ كثيرٌ من الباحثين هذا العصر "بداية العصر الذهبي للكتابة الفنية، الذي امتد إلى أواخر القرن الرابع، وأوائل القرن الخامس الهجريين، وهو عصر ازدهار الرسائل ورُقِيّها من حيث الكم والكيف، إذ أصبحت فنا راقيا، يجاري غيره من الفنون الأخرى، ولم تكن قبل ذلك قد اكتملت معالمها وبلغت ما بلغته من النضج والازدهار"[٤].

- أنّ هذا العصر بعيدٌ نسبيا عن الجيل الأول والثاني من مهد الرسالة، والذي تُمثل دراسة الخلافات فيه -بين الصحابة أو كبار التابعين- حساسية كبيرة بين كثير من المسلمين فتحتاج إلى عناية خاصة واحترازات منهجية وعملية في الدراسة والتحليل.

وقد حدد الباحث المراسلات المتعلقة بالنزاع السياسي ويجمعها مواقف خطابية حوارية تتنوع داخله عدد المراسلات حسب كل موقف، ليبلغ عدد الرسائل التي يعتمد عليها البحث ٤٦ رسالة تمثل ١٠ مواقف خطابية وهي:

- رغبة أبي مسلم والخليفة أبي العباس في قتل ابن هبيرة آخر ولاة الدولة الأموية، ومحاولة أبي جعفر المنصور ممانعة ذلك (٦ رسائل).

- طلب أبي مسلم الإذن بالحج وخوف الخليفة من زيادة بروز نفوذ أبي مسلم أمام الناس في موسم الحج (٤ رسائل).

---

(١) تحليل الخطاب السياسي: ٤٩.

(٢) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي: ٢٣٠.

(٣) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي: ٢٣٣.

(٤) الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول: ٦.

- علاقة التوجس والقلق بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم الخراساني (٧ رسائل).
- تمرد محمد النفس الزكية على الخليفة أبي جعفر المنصور والتنازع حول الأحق بالخلافة (٣ رسائل).
- رغبة الخليفة أبي جعفر المنصور في أن يتنحى عيسى بن موسى عن ولاية العهد لصالح المهدي ابن المنصور (٨ رسائل).
- محاولة نقفور ملك الروم التمرد على الولاء لهارون الرشيد (رسالتان).
- التنازع بين الخليفة الأمين وولي عهده أخيه المأمون (٩ رسائل).
- التماس زبيدة زوجة هارون الرشيد -بعد حبسها ومصادرة ممتلكاتها- العفو من المأمون بعد انتصاره على الأمين (٣ رسائل).
- رغبة محبوس أن يعيد الخليفة المأمون النظر في حبسه ويعفو عنه (رسالتنا).
- حوار ثوفيل ملك الروم والخليفة المأمون حول طي الخلافات بينهما والاجتماع على الصلح والسلم أو الاحتكام للحرب (رسالتان).

١-٢- التداولية في دراسة الخطاب السياسي وتحليله:

تمثل التداولية مدخلا علميا مناسبا لدراسات تحليل الخطاب عموما والسياسي خصوصا، وتمدنا التداولية بنظريات ومفاهيم ونماذج تحليل متعددة لاستعمال اللغة الاتصالي في حيز اجتماعي أو سياسي، وهي تعطينا شبكة غنية من المفاهيم تتعلق بالقصد والإنجاز، أو الافتراض، أو التضمين الحواري، أو المغالطات التداولية، وغير ذلك.

كما أنها تعد أساسا مهما لكثير من المشتغلين بتحليل الخطاب الاجتماعي أو السياسي، ومنها خرجت مدرسة التحليل النقدي للخطاب، التي تركز على تحليل تمظهرات السلطة أو الأيدولوجيا أو الهُويّة وغير ذلك من مفاهيم اعتمادا على أسس تداولية، ويبقى الاتجاه التداولي أو الدراسات التداولية هي الاتجاه العلمي الأوسع لمجال تحليل الخطاب وإن تعددت مجالاته وموضوعاته الاجتماعية والسياسية والإعلامية إلخ.

ومع هذا الارتباط الواضح بين التداولية وتحليل الخطاب السياسي يَذكر عماد عبد اللطيف أنه "على الرغم من أهمية المقاربة التداولية للخطاب السياسي، فإن الدراسات التي قاربت الخطاب السياسي من منظور تداولي ما تزال محدودة. والأكثر شيوعا هو أن تدمج مباحث تداولية في إطار تحليل متعدد المقاربات للخطاب السياسي، وبخاصة ظواهر أفعال الكلام والتضمينات وظواهر التأدب"[(١)].

بدأت إرهاصات الاهتمام التداولي من نقاش ساخن داخل الفلسفة، حيث سادت اللغة الغامضة والرمزية ليقول عنها فتنجشتاين "إن معظم القضايا والأسئلة التي كتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة؛ بل هي خالية من المعنى"[(٢)]، لتظهر مدرسة فلسفية تهتم بمصطلح اللغة العادية -والتي هي لغة مستعملة غير مهجورة أو مُغرِقة في رمزية يكتنفها الغموض والتجريد والزيف-، وكذلك كانت هناك إشارة أخرى من تشارلز موريس Charles W. Morris في تقسيمه لعملية التدليل semiosis إلى "التركيب والدلالة والتداولية. وأوضح أن هذه الأخيرة تبحث في العلاقة بين العلامات ومؤوليها"[(٣)]، مثلت هذه الإرهاصات زخما مهما للاهتمام باللغة العادية في حيز الاستعمال.

لاحقا ظهر جون أوستن بنظريته المهمة التي أطلقت بابا مهما للدراسات اللسانية التداولية -وإن لم تستخدم مصطلح التداولية بشكل واضح-، وسُمّيت نظريته Speech Acts Theory أي أفعال الكلام أو الأفعال المضمنة في القول أو الأفعال الإنجازية، وأثرت هذه النظرية تأثيرا كبيرا في المسيرة اللسانية بعده، من حيث الإضافة، أو التعديل، أو النقد، أو فتح آفاق أخرى لاكتشاف مفاهيم ونماذج تحليل جديدة.

مر المصطلح عربيا بقليل من التردد بين عدة ترجمات مثل البراجماتية والنفعية والتأويلية والفعليات وغير ذلك، غير أن أكثر المصطلحات شيوعا في العربية الآن هو

---

(١) تحليل الخطاب السياسي: ٤٩.

(٢) التداولية أصولها واتجاهاتها: ٣٤.

(٣) التداولية أصولها واتجاهاتها: ١٥.

(التداولية) الذي وضعه طه عبد الرحمن، وقد ذكر أنه اختار هذا المصطلح عام ١٩٧٠ "لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي (الاستعمال) و(التفاعل) معا. ولقى منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"(١).

لقد نشأت إرهاصات التداولية لتتمرد على اللغة غير المستخدمة المجهولة والغامضة والتي تحمل اللبس وغموض التأويل بين بعض الفلاسفة، وانطلق فلاسفة اللغة وعلماء اللسانيات لوضع تصورات عن اللغة المستعملة، وعن ضرورة التوجه لدراسة اللغة في حيز الاستعمال، ومن هنا نشأت فكرة اللغة الإنجازية ومفاهيم الافتراض والتضمين الحواري والحجاج والمغالطات التداولية وغير ذلك.

وتدور التداولية Pragmatics حول فنون استعمال الناس للغة، ويرى التداوليون أنّ المعنى في إبداعات الاستخدام والتواصل بين المتحدث والمتلقي. كانت التداوليةُ Pragmatics ثمرةَ جدلٍ في الحقل الفلسفي، من أجل نقد الإيغال في لغة الغموض والإيهام والرمزية الفلسفية، وحملت التداوليةُ دعوةً إلى إعادة النظر في دراسة اللغة وتحليلها، ونشأ الاهتمام بما سُمِّي "اللغة العادية" Ordinary Language -*لا المصطنعة المتخيلة التي لا يعرفها إلا بعض الفلاسفة*-، وكانت أشد العبارات قسوة صادرة قبل أوستن Austin بسنوات من الفيلسوف فيتغنشتاين Ludwing Wittgenstein أن: "معظم القضايا والأسئلة التي كُتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة فقط، بل هي خالية من المعنى... فمعظم الأسئلة والقضايا التي يثيرها الفلاسفةُ إنما تنشأ عن حقيقة كوننا لا نفهم منطق لغتنا"(٢)، ورأى أنّ "الفلسفة مدعوة إلى التخلي عن الاستخدام الميتافيزيقي للغة والعودة إلى لغة الحياة اليومية"(٣)، وقد كرر أوستن Austin في تمهيده لنظريته مثل هذه العبارات بصور مختلفة.

---

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٢٨.

(٢) التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة: ٣٤.

(٣) التداولية أصولها واتجاهاتها: ٣٦.

وقد انطلق أوستن Austin وبعده سيرل Searle والتداوليون من فرضيتين أساسيتين: الأولى أن "اللغة سلوك قَصْدِيٌّ محكومٌ بقواعد"[١]، وهذ القصد هو قصد لإنجاز شيء ما، لذا فـ "إنَّ التكلمَ هو إنجازٌ لأعمالٍ بالاستناد إلى قواعد"[٢]، والثانية أن "كل ما يمكن أن يُعنَى يمكن أن يُقال"[٣].

وحاول أوستن Austin بعد تأصيله النظري لنظريته، أن يضع مقترحا يجمع الأنواع العليا أو الأساسية للقصد الإنجازي والذي سيكون نواة مقترحة للنموذج التحليلي لنظرية الأفعال الإنجازية المُضَمَّنة في القول Speech Act Theory، وبنى سيرل Searle أفكاره على ما وضعه أوستن Austin واهتم بتطوير نظريته والتأصيل لها وتطوير النموذج التحليلي الذي وضعه أوستن Austin.

١-٣-النظرية والنموذج التحليلي للبحث:

سنعتمد على نظرية أفعال الكلام Speech Acts لجون أوستن وكتابه الذي نُشر بعد وفاته باسم How to Do Things with Words من ترجمتين عربيتين للكتاب: ترجمة عبد القادر قينيني[٤]، وترجمة طلال وهبه[٥].

وسنعتمد في النموذج التحليلي لأنماط أفعال الكلام الخمسة لنموذج جون سيرل خاصة من كتابه Speech acts – an essay in the philosophy of language[٦] والذي يقسم أنماط أفعال الكلام إلى: نمط تقريري Assertive، ونمط توجيهي Directive، ونمط

(١) الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة: ٣٨.

(٢) الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة: ٤٧.

(٣) الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة: ٤٣.

(٤) ترجمه بعنوان "كيف ننجز الأشياء بالكلمات".

(٥) ترجمه بعنوان "الأفعال بالكلمات".

(٦) ترجمته أميرة غنيم بعنوان "الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة".

التزامي Commissive، ونمط تعبيري Expressive، ونمط تصريحي رسمي Declarations، وسنركز على نمط الفعل التوجيهي الطلبي Directive.

١-٤-الدراسات السابقة والفجوة البحثية:

تدور الدراسات السابقة -التي اطلع عليها الباحث- المتعلقة بنظرية أفعال الكلام أو بتحليل الخطاب السياسي لسانيا حول عدة جوانب: منها ما يتعلق بإجلاء ما تعنيه وتقصده نظرية أفعال الكلام وتطبيق ذلك بشكل تعليمي توضيحي مثل:

نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل للعيد جلولي المنشور في مجلة الأثر مجلد ١٠ العدد ١٢، الجزائر ٢٠١١، ونظرية الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل ودورها في البحث التداولي لحكيمة بوقرومة في حوليات الآداب واللغات مجلد ١ العدد ١، الجزائر ٢٠١٣، ونظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستن أسسها وحدودها الفلسفية للحسين أخدوش المنشور عبر مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، المغرب ٢٠١٦.

أو من خلال الاقتراب من النظرة التواصلية الإعلامية أو الحجاجية لتحليل الخطاب مثل:

الاستراتيجيات التداولية في تحليل الخطاب السياسي خطب الحجاج بن يوسف أنموذجا لإيمان مالكي المقدم لكلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة ريان عاشور، الجزائر ٢٠١٥، والتحليل النقدي للخطاب: الخطاب الإعلامي للدول المحاصرة لقطر مثالا لعبد الله حسن عبد الله القايد المقدم لكلية الآداب والعلوم بجامعة قطر ٢٠١٩.

أو السعي لاستنطاق التراث وما يرتبط فيه بهذه الدراسات التداولية ومنها:

التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي لمسعود صحراوي، بيروت ٢٠٠٥م، والتداولية والحِجاج مداخل ونصوص لصابر الحباشة دمشق ٢٠٠٨م، وفي اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم لخليفة بوجادي الجزائر ٢٠٠٩، ومغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في (شروح التلخيص) للخطيب القزويني لصابر دمشق ٢٠١١م.

أو كتابات ذات طابع تأصيلي للخطاب السياسي أو المرتبط بالسلطة من منظور لساني مثل:

- تحليل الخطاب لجورج يول وج ب براون الصادر عام م١٩٨٣، والمترجم عربيا عبر جامعة الملك سعود ١٩٩٤م.
- اللغة والسلطة لنورمان فيركلف الصادر عام ١٩٨٩، ترجمة محمد عناني ٢٠١٦م.
- الخطاب والتغير الاجتماعي لنورمان فيركلف الصادر عام ١٩٩٢م، ترجمة محمد عناني ٢٠١٥م.
- الخطاب والسلطة لتوين فان دايك الصادر عام ٢٠٠٨م، ترجمة غيداء العلي ٢٠١٤م.
- تحليل الخطاب السياسي البلاغة السلطة المقاومة لعماد عبد اللطيف ٢٠٢٠م.

أو تتناول تحليلا لخطابات سياسية لزعيم سياسي أو رئيس مثل:

- لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال لمحمود عكاشة ٢٠٠٥م.
- بيان التنحي وذاكرة الهزيمة مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي لعماد عبد اللطيف ٢٠١٠م.
- الخطاب السياسي لمهاتير محمد (رئيس وزراء ماليزيا سابقا) في ضوء الاتساق اللغوي وعملية الاتصال لعاصم شحادة علي ٢٠١١م.

- استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي خطب الرئيس السادات نموذجا لعماد عبد اللطيف ٢٠١٢م.
- الخطاب السياسي عند ياسر عرفات دراسة لغوية لأفنان ناهض يونس ٢٠١٧م.

ومن البحوث القليلة التي اهتمت بالمواجهات الحوارية على نصوص عربية أصيلة بحث عماد عبد اللطيف "إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطاب السقيفة" المنشور في مجلة الخطاب الجزائر ٢٠١٣م.

وتتمثل الفجوة البحثية في:

الحاجة إلى بحوث تقتحم النصوص العربية الأصيلة خاصة المتعلقة بالمواجهة والحوارات المباشرة وغير المباشرة، في أنماط غير أدبية، وأيضا لا تقف عن حدود الجانب التطبيقي التعليمي؛ لكنها تجعل من التحليل طريقا لمناقشة الاتجاهات النظرية ومساءلتها واختبار فاعليتها على نصوص عربية، وكشف الفجوات البحثية المنطلقة من الظواهر الخطابية الفعلية التي يمكنها أن تفتح آفاقا للإسهامات البحثية.

٢- نظرية أفعال الكلام والتحليل التداولي ونظرة كمية على تحليل أنماط أفعال الكلام في المراسلات السياسية:

انطلقت محاولة التحليل للكشف عن الأفعال الإنجازية المُضمَّنة في القول خلال عملية التواصل اللغوي، معتمدة على أن الناس عندما يُعبِّرون عن أنفسهم "لا يُنشئون ألفاظا تَحْوي بنى نحوية وكلمات فقط، وإنما يُنجزون أفعالا عبر هذه الألفاظ"(١).

(١) التداولية: ٨١.

وانطلق أوستن Austin من أن الوصف التقليدي للعبارات اللغوية أنها إنشائية performative أو خبرية constative ليس كافيا، فخلف كلِّ حديثٍ قَصْدٌ، وداخل هذا القصد نماذج كثيرة ومتعددة من غايات تفصيلية يحاول المتحدث إنجازها عبر الحديث.

وإذا كانت عملية الإخبار أو الوصف تحمل في طياتها إنشاءً أو إنجازا، فإن الاكتفاء بتصنيف الأساليب اللغوية إلى إنشائية وخبرية -والحد الفاصل بينهما فيما يتعلق بالصدق والكذب والإخبار-، لا يكفي للإشارة إلى كل الحالات الإنجازية خلال الحديث، فطبيعة اللغة المراوغة، والمبدعة، والصريحة وغير الصريحة، والمباشرة والاستعارية أو المجازية، تمثل طرقا متنوعة للتعبير عن القصد والإنجاز، لذلك أشار أوستن Austin إلى أن كثيرا من الجمل التي لا يبدو في ظاهرها الإنشاء، لا يمكن أيضا أن نُطبّق عليها معيار الحكم على الجمل الخبرية فـ"الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، وبالفعل لا تُستعمل هذه الجمل لوصف الواقع؛ بل لتغييره"[(١)]، فخلف التعبيرات التي تبدو إنشائية أو خبرية هناك رغبة إنجازية أو قصد إنجازي يتوجه به الإنسان للواقع، سواء كان هذا القصد الإنجازي صريحا مباشرا أو غير صريح.

من خلال إسهامات أوستن Austin وسيرل Searle يمكننا أن نلخص أهم النقاط المرتبطة بنظرية الأفعال الإنجازية المُضَمَّنة في القول في عدة نقاط، ويعتمد استخلاصنا لهذه النقاط على كتاب جون أوستن How to Do Things with Words (والذي ترجمه عبد القادر قينيني بعنوان نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، وترجمه طلال وهبه بعنوان الفعل بالكلمات)، وكُتُب جون سيرل خاصة: Speech Acts An Essay In The Philosophy of Language (وترجمته أميرة غنيم بعنوان الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة)، وIntentionality An Essay in the philosophy of Mind (والذي ترجمه أحمد الأنصاري بعنوان القصدية بحث في فلسفة العقل)، و Mind,

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٣٠.

Language & Society – philosophy in real world (والذي ترجمه صلاح إسماعيل بعنوان العقل واللغة والمجتمع – الفلسفة في العالم الواقعي)، و The Construction of social reality (والذي ترجمته حسنة عبد السميع بعنوان بناء الواقع الاجتماعي):

- اللغة لا ترتكز على الوصف فقط لما في الواقع والعالم، ولكنها تتمتع بِسِمَةٍ إنشائية إنجازية تَتَّجِهُ لفعل شيء أو تغيير شيء في هذا العالم والواقع الاجتماعي.

- يرتبط المعنى بالقصد الإنجازي وتفاعله مع الواقع والسياق، وما يتعلق بذلك من مناسبة ومن فهم لشروط مطابقة مقتضى الحال.

- عملية الإنشاء أو الإنجاز ليست دائما صريحة، ولكن هناك أساسا جوهريا لكل غاية إنجازية قد يتجلى في صورة إنشاء صريح أو غير صريح.

- يمكن التمييز بين عملية النطق بالكلام Locutionary، والفعل الكلامي أو الإنجازي المُضَمَّن داخل الكلام Illocutionary وهو مركز اهتمام نظرية الأفعال الإنجازية، وما قد يترتب على ذلك من فهم أو إقناع أو حمل أو تأثير إلخ Perlocutionary.

- الفعل الكلامي أو الإنجازي المُضمّن في القول Illocutionary هو وِحْدَةُ المعنى الأساسية في التواصل.

- ميّز أوستن Austin بين خمسة أصناف من أفعال الكلام المُضمَّنة في القول[1]:

١- ما يتعلق بقرارات رسمية تشريعية أو تصريحات إلخ Verdictives
٢- ما يتعلق بممارسات ترتبط بالسلطة والقانون والتوجيهات والإجراءات ويلحق بها النصح والتحذير Exercitives
٣- ما يتعلق بأنواع الالتزام Commissives

(1) How to Do Things with Words, p147-163.

٤- ما يتعلق بالأوضاع السلوكية والأعراف المجتمعية ويلحق بها التعبيرات والاعتذارات والتهاني والتعازي والسباب والقذف إلخ Behabitives

٥- ما يتعلق بالوصف والتقرير وعملية الاحتجاج والنقاش والإجابة والمعارضة والتوضيح والافتراض والمسلمات إلخ Expositives

لكن أوستن Austin عدَّ هذا التصنيف محاولة أولية، وأعلن بشكل واضح أنه "غير مسرور ولا راضٍ عن أية واحدة منها"(١)، وأنه يمكن ظهور تقسيمات أخرى، ونبّه أنّ الصنفين الرابع والخامس هما الأكثر تعقيدا وصعوبة ويدعوان للحيرة والارتباك أحيانا، لذلك عقَّب قائلا "لم أدّعِ أن هذا التصنيف نهائيٌّ"(٢)، وهو ما سيجعلنا نعتمد على تقسيم سيرل Searle بعد أن أدخل بعض التعديلات على نموذج أوستن Austin.

- قسم سيرل Searle الأفعال الإنجازية المُضَمَّنة في القول(٣)، حسب ما رآه من جوهر الغايات الإنجازية illocutionary point:

- **أفعال الإنجاز التقريرية الإخبارية Assertive**:

وهي التي تتعلق بتقديم قضية ما أو رأي أو موقف أو ما يمثل تصورا لحالة الواقع، وكأن المتحدثَ يتعهد بصدق القضية وصدق وصفه وإخباره، ومن أمثلة هذا النمط ما يتعلق بالإخبار عموما وتقديم الأوصاف والتصنيفات والتفسيرات إلخ، وجوهر هذا النمط هو الاعتقاد، فكل تقرير أو إخبار أو وصف يُعبّر عن اعتقاد، وأبسط اختبار لهذا النمط ومعياره هو التساؤل هل المنطوق صادق أم كاذب؟

- **أفعال الإنجاز التوجيهية الطلبية** Directive:

(١) نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام: ١٤٧.

(٢) أوستن، جون، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام: ١٧٥.

(٣) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ١٨٣-١٨٤.

ويحمل هذا النمط محاولة واضحة لحمل المستمع أن يسلك سلوكا ما، وهو يدور حول الطلب ومن أمثلته التوجيهات والأوامر والحث والالتماسات إلخ، وجوهر هذا النمط هو الرغبة، فكل توجيه هو تعبير عن رغبة في أن يقوم المستمع بفعل أو سلوك ما، ومعيار تمييز هذا النمط هو هل تطاع هذه الأفعال أو تعصى؟ يستجاب لها أو لا يستجاب؟ إلخ.

- **أفعال الإنجاز الالتزامية** Commissive:

والمقصود هنا إلزام يخص المتحدِّث، وهو التزام يقدمه المتحدِّث من خلال وعود أو نذور أو تعهد أو تعاقد أو ضمانة، والتهديد هو التزام أيضا لكنه على خلاف الأمثلة الأخرى يأتي مضادا لمنفعة السامع أو رغباته، ومعيار هذه الأفعال يتعلق بهل هي مُنفذَة ويمكن الوفاء بها أو النكوث عنها.

- **أفعال الإنجاز التعبيرية** Expressive:

وتتعلق بالتعبيرات مثل الاعتذارات والشكر والتهاني والتحيات والتعازي، وهي تتعلق بشعور تَملَّك المُتحدِّث غالبا بشكل عفوي، وجوهر هذا النمط هو الحالة الشعورية التي يبدو أنها حدثت داخل المتحدث ببساطة ومسلم بها.

- **أفعال الإنجاز التصريحية -الرسمية-** Declarations:

وهي التي تتعلق بمحاولة إحداث تغيير رسمي في العالم، مثل إعلان الزواج أو الحرب أو الاستقالة من عمل إلخ، وجوهر هذه الأفعال هو ارتباطها بمؤسسات اجتماعية خارج نطاق اللغة لها أعراف معينة حتى تتم العملية الرسمية التغييرية المعترف بها، ويصبح التصريح والإعلان ساريا إذا تم بطريقة صحيحة وفق العرف المتفق عليه.

- الأفعال الإنجازية المُضمّنة في القول يتعين إنجازها عن قصد، لكن النتائج والآثار قد تكون قصدية أو لا.

- يمكن التمييز بين القضية التي يدور حولها الحديث، والفعل الإنجازي المضمن في القول الذي يتناول هذه القضية، وترتبط هذه النقطة في بحوث المعنى بالتمييز أحيانا بين معنى الجملة (أو الكلمة)، والمعنى لدى المتكلم وما يعنيه ويقصده، وبغض النظر عن طبيعة اللغة فما يقصده المُتكلم لا يزال هو الصورة الأساسية للمعنى اللغوي في نظرية الأفعال الإنجازية كما عبّر أوستن وسيرل.

- هذا القصد وما يُعبَّر عنه بالفعل المُضمّن بالقول يحتاج إلى استيفاء شروط أهمها شرط يتعلق بالعلاقة بين القصد والعالم أو الواقع، فالمرجو أن يَفْهم المستمعُ قصدَ المتكلم وهو يرتبط بقصد اتصالي، وأن يدرك المستمعُ قصدَ المتحدث، وهذه النقطة تتعلق بالدراسات التي تُعنَى بتحليل ما يقوله المتحدثُ ويعنيه، وما يقوله ويعني شيئا آخر.

- قصد الاتصال والتواصل هو أمر عام، لكن قصد المعنى هو قصد خاص، وما يميز الاتصال الإنساني أننا نريد إحداثَ تأثيرٍ مقصود في المستمع عن طريق جعل المستمع يدرك القصد، ويرتبط نجاح ذلك بـ: ١- نطق الكلام نطق صحيح بالمعنى الاصطلاحي ٢- ووجود شروط الاستيفاء الخاصة بالغاية القصدية ٣- وإدراك المستمع قصد المتحدث.

- العلاقة بين الحالة القصدية الفطرية للإنسان واللغة علاقةٌ مركبة، فالقصد واللغة يتطوران معا، صحيح أن هناك قصدا أوليا لدى الأطفال قبل نمو لغتهم، لكن اللغة تُطوّر القَصْديات وتُنميها، وكذلك بتطور القصديات والغايات الإنسانية يتطور استخدام الإنسان للغته.

٣- نظرة عامة على تحليل الأفعال الإنجازية في المراسلات السياسية في العصر العباسي:

باستقراء أنماط أفعال الكلام المضمنة في القول يظهر أن النمط التقريري هو الغالب في الاستخدام بنسبة ٧٨.٧٢٪ من أنواع أفعال الكلام الأخرى المستخدمة في الرسائل،

يليه النمط التوجيهي بنسبة ٩.٩٣٪ ثم الالتزامي بنسبة ٩.٣٦٪ ثم التعبيري بنسبة ١.٧٠٪ ثم التصريحي بنسبة ٠.٢٨٪ ونستعرض نتيجة الاستقراء الكمي عبر الجداول والبيانات التالية:

- جدول حصر أفعال الكلام المضمنة في القول لكل موقف خطابي، من حيث عدد الجمل (ج) أو الكلمات (ك) لكل نمط[1]:

الموقف الخطابي	الرسائل	تقريري		توجيهي		التزامي		تعبيري		رسمي	
		ج	ك	ج	ك	ج	ك	ج	ك	ج	ك
قتل ابن هبيرة	٦	٨	٥٠	٢	٤	٣	١٦	–	–	–	–
أبو مسلم وإمارة الحج	٤	٧	٤٧	٣	١٢	–	–	١	٤	–	–
التوجس بين المنصور وأبي مسلم	٧	٤٣	٢٧٨	٧	٣٨	٧	٤٠	٢	١٤	١	٤
تمرد النفس الزكية	٣	١٧٠	١١١٠	٩	٤٩	١٨	١٢١	–	–	–	–

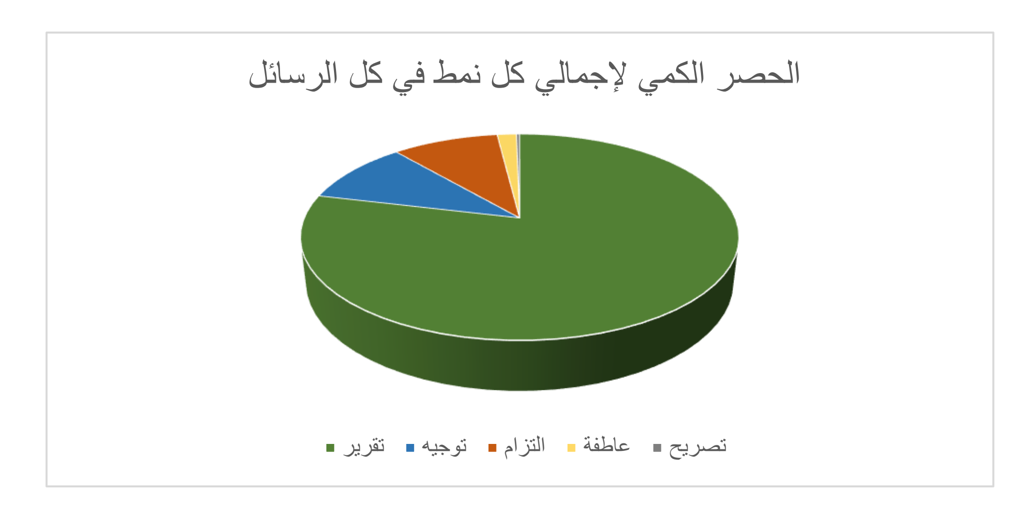
(١) من جهد الباحث.

على المنصور											
رغبة المنصور في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد	٨	١٨٩	١٤٥٦	١٩	١٦٤	١	٤	٣	١٩	–	–
تمرد نقفور على الرشيد	٢	٧	٣٦	٢	١٦	١	٤	٢	٦	–	–
خلاف الأمين والمأمون	٩	٨١	٦٠١	١٥	١٢٤	١٢	٧١	–	–	–	–
التماس زبيدة عفو المأمون	٣	٣٢	١٤٦	٩	٧٢	١	٩	٤	٣١	١	٧
التماس محبوس عفو المأمون	٢	٨	٤٨	١	١٢	٢	٢٠	–	–	–	–
ثوفيل والمأمون بين	٢	١٠	٩٢	٣	٢٩	٢١	١٣١	–	–	–	–

الخلاف والاتفاق											

- الحصر الكمي لإجمالي كل نمط في كل الرسائل(١):

	تقريري	توجيهي	التزامي	تعبيري	رسمي
عدد الجمل	٥٥٥	٧٠	٦٦	١٢	٢
النسبة المئوية	٧٨.٢٢٪	٩.٩٣٪	٩.٣٦٪	١.٧٠٪	٠.٢٨٪



رغم عدم خلو أي رسالة من الرسائل من ارتباطها بحالة شعورية من غضب أو حزن أو ضيق أو خوف أو قلق إلخ، لكن التعبير عنها بأفعال إنجازية تعبيرية مُضمّنة في القول كانت قليلة جدا، وكنت صاحبة النسبة قبل الأخيرة في الاستخدام والتوظيف، وهو ما يبين أن الحالة الغالبة وسط الصراع السياسي كانت تحاول أن تتحكم في التعبير عن

(١) من جهد الباحث.

الانفعالات بشكل صريح وتسعى لإخفاء هذه التعبيرات ما أمكن ذلك، ولا تظهرها إلا لتحقيق غرض مقصود من ذلك.

نمط الأفعال التصريحية هو الأقل استخداما على الإطلاق يكاد أن يكون نادرا، رغم أن المواقف الخطابية كلها كان الخليفة جزءا من الحوار السياسي، وكان الخليفة له رأي يريد إنفاذه، سواء تعلق رأيه بقتل شخص -مثل ابن هبيرة- أو تحجيم نفوذ شخص مثل -أبي مسلم- أو مواجهة تمرد وتثبيت شرعية كما حدث في مواجهة تمرد النفس الزكية، أو رغبة في أن يعزل ولي العهد نفسه، أو غضب الخليفة من نكوث ملك الروم عن عهده أو تنازع في الشرعية والنفوذ بين الخليفة الأمين وولي عهد الأمين إلخ، ويدل ذلك على وعي المتحاورين داخل الصراعات والنزاعات السياسية بطبيعة الصراعات التي تستند إلى درجات النفوذ وقوة الشرعية وتمكنها ومراعاة حساسيات وتوازنات خاصة، ويدرك القويُّ درجة قوته واحتياجه في بعض الأحيان لتحقيق مراده إلى عدم التسرع باللجوء السريع إلى قرارات رسمية تصريحية قد تواجَه بالرفض أو التقليل من شانها، أو تزيد من الطعن في شرعيته وقوته، أو تعجل الصدام والحرب إلخ.

النمط التوجيهي هو جوهر الصراع السياسي صحيح ان التعبير الصريح عنها كان أقل من النمط التقريري، لكن النمط التقريري الواسع كان طريقة للتعبير غير الصريح الغايات التوجيهية الطلبية، ووسط حالة المراوغة والتأثير يصبح النمط التوجيهي الطلبي والتعبير عنه بشكل قصدي ذا أهمية كبيرة لكشف بعض آليات التأثير والإقناع، او ربما محاولة التلاعب والخداع، وكيف كان التعبير التوجيهي الطلبي نفسه ليس على نمط واحد بل تعددت طرق توظيفه داخل الخطاب.

تُوَظِّف الأنماطُ التوجيهية والالتزامية في أحيان كثيرة أسلوبَ الشرط للربط بينهما، كما حدث مثلا في قول أبي جعفر المنصور لأبي مسلم -في محاولة لاسترضائه وبث الثقة فيه- "لا تَحْمِلْ عَليَّ إِصْرَ غيري، ولا تُلْحِقْ ما جناهُ سِواي بي، <u>إنْ أَمَرْتني أنْ أَشْخصَ</u>

إليكَ وأَلْحقَ بخرسان فَعَلت"[1]، أو قوله له "فَوَجِّهْ إلى مصر من أحببتَ، وأَقِمْ بالشَّأم... فإنْ أحبَّ لقاءَك أتيتَهُ من قريب"[2]، أو قول المنصور في مواجهة تمرد النفس الزكية ومحاولة إثنائه "لكَ عليَّ عهدُ اللهِ وميثاقُه وذمةُ رسوله صلى الله عليه وسلم إنْ تبتَ ورجعتَ من قبلِ أنْ أَقْدِرَ عليكَ أنْ أُؤَمِّنَكَ وجميعَ ولدِكَ وإخوتِكَ وأهلِ بيتِكَ..."[3]، وغير ذلك كثير مما سنبينه لاحقا.

يبرز أحيانا التداخل في الاستخدام بين عدة أنماط في جملة واحد، فقد يختلط غرض تقريري بآخر توجيهي، أو قد يختلط غرضٌ تقرير بآخر التزامي، وقد يكون التداخل بين غرض صريح واضح، وغرض ضمني غير مباشر يمكن فهمه واستنباطه من السياق، أو قد يزداد التداخل الصريح بحيث يصعب أحيانا تحديد نمط محدد بشكل واضح.

في مسألة التداخل بين الصريح وغير الصريح، سنلاحظ أن كثيرا من الاستخدامات التقريرية الواسعة لها أغراض ضمنية غير مباشرة، قد تكون توجيهية طلبية أو التزامية تهديدية أو تعبيرية إلخ، لذلك من المهم أن يحظى النمط التقريري الغالب في استخدام الرسائل بمزيد من التحليل لكشف الغايات الضمنية الأخرى أو تضمينه لأنماط أخرى من أفعال الكلام في قالب تقريري.

النمط التوجيهي الطلبي هو جوهر عملية الصراع السياسي وما يرتبط به من حوار وآليات للتأثير والإقناع، صحيح أن النمط التقرير حظى باستخدام واسع لكنه كان غالبا من أجل التهيئة أو التمهيد أو دعم غاية طلبية، لذا يحتاج النمط التوجيهي الطلبي اهتماما خاصا في تحليله واستكشاف آليات توظيفه في التأثير والإقناع.

يظهر جليا خلال محاولات التأثير والإقناع في المراسلات أن هناك فارقا بين القصد الإنجازي الذي يريده المتحدث وما يُنجَزُ فعلا من فهم المتلقي أو استجابته التي قد لا

---

(١) صفوت أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٠.

(٢) صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٦.

(٣) صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٧٨.

تتطابق مع رغبة المتحدث وقصده، حتى لو كان المتحدثُ يملك سلطةً أعلى من المتلقى، على سبيل المثال قد يكون القصدُ بثَّ الطمأنينة لكنّ النتيجةَ إثارةٌ للقلق والشك والريبة، وقد يكون القصدُ رغبةً في الانصياع لأمر لكنّ النتيجةَ رفضٌ وممانعة أو مماطلة أو حرب، في ثلاث حالات فقط في المواقف الخطابية محل البحث تغيرت وجهةُ نظر المتلقِي، مثل استجابة عيسى بن موسى لرغبة المنصور وخلع نفسه من ولاية العهد بعد محاولات ورسائل متعددة، أو استجابة المأمون لاستعطاف زبيدة والعفو عنها، أو توافق ثوفيل ملك الروم والمأمون على استمرار الهدنة رغم ما بينهما من خلافات، وهذا لا يمنعُ حدوثَ توافقٍ جزئي في بعض المراسلات داخل الموقف الخطابي بغض النظر عن النتيجة النهائية.

٤- تحليل النمط التوجيهي المضمن في القول Directive:

بحسب سيرل Searle يمثل النمط التوجيهي لأفعال الكلام المضمنة في القول رغبة المتحدث وقصده في أن يحمل المستمع على أمر ما[1]، قد يكون موقفا أو رأيا أو سلوكا إلخ، وطبيعي أن يكون هذا الحَمْلُ له أكثر من شكل أو درجة، فهو يشمل الطلب بشكل عام، ما يعني أنه قد يبدأ بالتمني الذي لا يتوقع له استجابة، وينتهي بالطلب القاطع الذي لا مفر منه.

سيكون علينا الحذر أيضا حين يتعلق الأمر بالسلطة والصراع السياسي، خاصة حين يكون أحد المتحاورين ذا سلطة عليا مثل سلطة الخليفة، كما سنحاول اكتشاف تنوع استخدام درجات الطلب والتوجيه وتوظيف ذلك في محاولة التأثير والإقناع.

درجات التوجيه:

سننطلق أولا من البحث عن درجتين من التوجيه الطلبي، وهي درجة تتعلق بالطلب (الأمر والنهي) القاطع الذي لا مفر منه، والذي قد ينبني عليه سلوك عملي في الخصومة

(١) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ١٨٣ بتصرف.

السياسية أو العداوة أو الحرب، والدرجة الأخرى التي تتعلق بالطلب الذي يحمل الحض أو الحث أو الالتماس سواء كان من طرف أعلى أو أدنى، ثم ننظر هل نحن بحاجة إلى النظر في درجات أخرى أم لا؟

الطلب القاطع الذي لا مفر منه:

رغم أنّ الرسائل كلّها دارت حول صراعات ونزاعات سياسية، لكن التعبير بالنمط التوجيهي عن هذا الطلب القاطع -الذي لا يقبل الرد- كان محدودا، ويمكننا فهم هذا الحذر من الإسهاب فيه في حالة الصراع والجدال الإقناعي خلال النزاعات، حيث يؤدي هذا الأمر القاطع الذي لا مفر منه إلى وضوح الردود، فإن لم تكن مقبولة، فستذهب النتائج بسرعة إلى إعلان الرفض الواضح أو الخصومة أو العداوة أو الحرب، ويمكن حصره في ستة مواضع:

في الموقف الخطابي المتعلق بحوار الخليفة أبي العباس مع ولي عهده المنصور حول رغبته في قتل ابن هبيرة آخر ولاة الدولة الأموية بعد أن خاضوا معه حروبا ثم عقدوا معه اتفاقا وعهدا، وكانت رغبة أبي مسلم في ضرورة قتله، وقد قبل أبو العباس ذلك وأراد أن يقتله المنصور، وقد دلّت الرسائل في هذا الموقف الخطابي رغم قصرها على محاولة المنصور ممانعة هذا القرار ونصح الخليفة بألا يفعل، فقد بدأ أوّلا المنصور بقوله في إحدى الرسائل لا أفعل، وبرر ذلك بوجود بيعة وعهد وأنه لا يقبل رأي أبي مسلم، لكن الخليفة ظل مقتنعا ومُصرّا، وبدأ رفع درجة الطلب والإلحاح، فبدأ أوّلا بتأكيد الطلب ودفع الحجج التي ذكرها المنصور وأنّ السبب ليس رأي أبي مسلم بل خيانته ودسيسته مع آل طالب، ومع استمرار الطلب واستمرار الممانعة رفع الخليفة حدة التأكيد "**والله لتقتلنه**" وأنّه عازم على ذلك حتى لو اضطر لإرسال شخص آخر لفعل ذلك، بما يحمله هذا من إشارة غضب ضمنية، حتى يصل الأمر إلى التصريح بذروة التوجيه الطلبي "**لستَ منّي ولستُ منكَ إنْ لم تقتلْه**"[1]، وهنا يبدو الطلب واضحا أنه بلغ الذروة الحاسمة التي

---

(١) صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ١٤/٣.

لا تقبل الرد، وأن مخالفة ذلك ستعنى لدى صاحب السلطة العليا موقفا حاسما من ولي عهده وهي درجة خطيرة في هذا الحوار الذي بدأ من حوار عادي إلى تهديد بالتبرؤ.

خلال الموقف الخطابي الطويل بين الخليفة المنصور وولي عهده عيسى بن موسى، وقد أراد المنصور أن يُبادرَ عيسى بن موسى بخلعِ نفسِهِ من ولاية العهد لصالح المهدي، وطال الحوار ولم يَستخدمْ المنصور في الأنماط التوجيهية الصورة القاطعة الحاسمة رغم ثبات رأيه وعدم تزحزحه عنه، وحين جاءت فرصة للمنصور ليخاطبه بشدة وغلظة بعد أن قتل رجلا دون الرجوع للمنصور، أرسل له خطابا قاطعا بأوامر لا مفر منها "**فأمسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربي وأعجمي، وأحمر وأسود، ولا تستبدن على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة في أحد قبله تباعة**"[(١)]، ورغم أنّ إرادة المنصور في نقل ولاية العهد لابنه كانت أشد من هذا الموقف -كما تُبيّن الرسائل التي أرسلها لعيسى بن موسى وما فيها من إلحاح-، لم يلجأ إلى نمط الأمر الذي لا مفرّ منه في موضوع نقل ولاية العهد، لكن في هذا الموضع ورغم أن عيسى بن موسى ولي العهد وله كامل الولاية والحكم في الإقليم الذي يحكمه، فقد قرّر المنصور أن يستخدمَ النمطَ التوجيهيَ الذي لا مفرّ منه الذي يرتقي للتهديد، وهو ما يدل على قصد المنصور لعدم التصريح به في الغاية الأولى، والتصريح بذلك في الغاية الثانية، وقد نُسمى هذا الجمع بين (العصا والجزرة) لكن بصورة غير مباشرة، فلا زالت إرادة المنصور أنْ يقوم عيسى بن موسى بتنحية نفسه، لذلك لا يريد أن يكون الأمر القاطع -الذي لا مفر منه- في هذا الموقف، حتى لا يدفعَ هذا الحوار إلى نهايته بسرعة ويضطر لاستخدام القوة والبطش أو الحرب، أما الأمر الثاني فهو فرصة للخليفة أن يغلظ على ولي عهده وأن يمارس الضغط والتهديد المباشر لكن في مسألة أخرى غير ولاية العهد، لتكون الشدة والغلظة في أمر يصعب الاحتجاج في شرعيته وتصعب معه المراوغة والممانعة.

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٩٧/٣

وبعد موت مَلِكةِ الروم، وتولي نقفور مُلكَ الروم ومحاولته تغيير الخطاب والتبعية لهارون الرشيد، وجّه نقفور طلبا واضحا وقاطعا "**فإذا قرأتَ كتابي فارددْ ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك**"(١) وما يؤكد النمط القاطع -الذي لا مفر منه- ليس مضمون التمرد على الاتفاقات السابقة ولكن أيضا ما تبعه من تهديد ووعيد يؤكد النظرة القاطعة "**وإلا فالسيف بيني وبينك**"(٢) ويدل رد الرشيد على فهمه لهذا الطلب القاطع "**الجواب ما تراه دون ما تسمعه**".

وفي التماس محبوس أن ينظر المأمون في أمره مع الإشارة أن قضيته تعرضت للغفلة والنسيان، ليرد المأمون ردا قاطعا يبين أنه ليس غافلا ولا ناسيا، ويوجه ردا قاطعا وتوجيها لا مفر منه "**فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك على قدر صبرك على كثير جناياتك، فإن حصل في نفسك كف عن معصيتي وعزم على طاعتي وندم على مخالفتي فلن تعدم مع ذلك جميلا من نيتي**"(٣) وهنا يؤكد الخليفة أنه باق في محبسه وأنه لا غفلة ولا نسيان، وواجب عليه أن يسعى ليؤكد للخليفة ندمه الشديد وتوبته وحينها قد ينظر الخليفة في أمره.

وفي رد الخليفة المأمون على ثوفيل ملك الروم الذي أراد السلم والاتفاق؛ لكنه عبر عن اختلافه مع الخليفة وقدّم تهديدا مُعلّقا إذا رفض المأمون، أنه قد يلجأ للحرب وخوض غمارها، وأمام الجمع بين التهديد المعلق -الذي قد ينتقص من هيبة الخليفة- ورغبة الخليفة في عقد الاتفاق معه، لجأ الخليفة إلى تنويع الأساليب وأنماط أفعال الكلام، فقد ذكر أن ثوفيل خلط اللين بالشدة، وقدم تهديدا ملغيا أنه كان ينوي البأس وسفك الدماء لكن منعه تراجع أسلوب ثوفيل عن استمرار أسلوب التهديد، وأمام هذا الموقف الملتبس بين الرغبة في الاتفاق والحاجة للتهديد والوعيد ليكون الاتفاق عن قوة، قدّم المأمون طلبا لا مفر منه يحمل التهديد والعزم الذي لا مفرّ منه وهو طلب الفدية يعني أنه في حالة

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٢٧٥/٣.

(٢) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٢٧٥/٣.

(٣) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٤٤٢/٣.

حرب وسيكون عليه تقديم الفدية ليتجنب الحرب، لكن ذلك معلقٌ أيضا إذا أعلن رفضه للموعظة والنصيحة "**غير أنّي رأيتُ أن أتقدمَ إليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة... فإن أبيتَ ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة**"[1].

الطلب الذي يحمل التماسا أو حضا وحثا:

في هذا النوع سنجد التعبير عنه أوسع من التعبير عن الطلب القاطع الذي لا مفر منه، قد يصل لأكثر من اثنا عشر موضعا:

في طلب الخليفة أبي العباس من أبي مسلم لتحديد عدد الجند معه وهو قادم للحج، بدأ بطلب عاديّ قد لا يحمل درجة من درجات الحث أو الحض "**اقدم في خمسمائة من الجند**"، فحاول أبو مسلم أن يقدم مبررات يُفهم منها أنه يطلب المزيد، فله كارهون ومتربصون كُثر، وهو يخاف على نفسه، فرفع الخليفة العدد لكنه رفع درجة الطلب لتكون في الحث والحض على الاستجابة وعدم تقديم مبررات أخرى "**أقبل في ألف**"[2] ويؤكد هذا الحض عدم اكتفاء الخليفة بالأمر بل تبعه بتوضيح حثه على القبول والاستجابة "**فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك، وطريق مكة لا يحتمل العسكر**".

وخلال الموقف الخطابي المتعلق بالقلق مما يظهر من نفوذ أي مسلم بين الناس في موسم الحج، أرسل أبو العباس للمنصور طلبا "**اكتب إلى تستأذنني في الحج**"[3] وللتعبير أنه ليس طلبا عاديا، فقد شرح الخليفة للمنصور الأمر أن أبا مسلم راغب في الحج وأنه يعلم أنه يريد إمارة الحج وأنه يرغب أن يكون المنصور أمير على أبي مسلم لكن دون أن يبدو ذلك قرارا مبيتا من الخليفة، وهو شرح وتبرير يدل على رغبة الخليفة في حث

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٤٤٨/٣.

(٢) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ١٨/٣.

(٣) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ١٨/٣.

المنصور وزيادة الاهتمام بهذا الطلب، لكنه لم يرتق إلى درجة التهديد أو الدرجة العليا التي لا مفر منها.

حين تولى المنصور الخلافة وفي محاولة منه لتقليل نفوذ أبي مسلم وسلطته ولكن دون إثارة غضبه أو الوصول لإعلان حرب أو تمرد، قرر أن يوليه مصر والشام بدل خراسان، وهو قرار ونمط تصريحي، ونظرا لحاجة المنصور لطمأنة أبي مسلم وإخفاء رغبته الحقيقة، فقد قدم نمط التوجيه غير الحاسم الذي فيه حث وحض لدفعه لقبول التصريح وأيضا لتخفيف وطأة التصريح والقرار "**فوجّه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين، فإن أحبَّ لقاءَك أتيتَهُ من قريب**"[1] وهو هنا يطلب بدرجة تحمل المودة والثقة والقرب ويقدم أيضا ما يدلّ على الحث والحض لا رغبة القطع التي لا مفر منها.

وحين أرسل أبو مسلم رسالة تعبر عن تغير نظرته للخليفة الأول وبراءته من أفعاله مع الخليفة الأول وهو ما يعني تغير علاقته بالخلافة وطريقة تجاوبه مع الخليفة التي لن تكون مثل السابق، حاول المنصور وهو الخليفة وصاحب السلطة الأعلى أن يبتعد عن لغة الطلب التي لا مفر منها، ولجأ إلى الحث والحض "**لا تحمل عليّ إصر غيري، ولا تلحق ما جناه سواي بي**" رغم أنه صاحب السلطة الأعلى فقد آثر لغة أخرى غير لغة السلطة والأمر والقرارات الرسمية "**إنْ أردتَ أن أشخصَ إليك وألحقَ بخراسان فعلتْ**".

كذلك في حوار المنصور مع أبي مسلم حين استمر الشكُّ والتوجسُ وذكر أبو مسلم أمثلةً من التاريخ لبروز خلافات بين الأمراء والوزراء، ورغم أن المنصور هو الخليفة وصاحب السلطة الأعلى؛ ما زال يريد طمأنة أبي مسلم وتقليل هواجسه ما استطاع ذلك، فيقدم له طلبا في استفهام استنكاري "**فلم سويت نفسك بهم**"[2]، فيحاول المنصور أن

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٦.

(٢) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٧-٢٨.

يقدم طلبا في ظاهره يحمل تقريرا ضمنيا أنه لا يراه مثلهم ولا ينبغي أن يكون مثلهم، ودعم هذا الطلب بدعاء لله تعالى "**وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك**".

وفي تقديم الخليفة أبي جعفر المنصور عهدا لمحمد النفس الزكية الذي أعلن تمرده، أنه سيعفو عنه وعن كل من معه إنْ أقرَّ ببيعته، وقدم له طلبا فيه من لغة الحث والحض التي تخفف أي تهديد ووعيد "**فإنْ أردتَ أن تتوثقَ لنفسكَ فوجّه إليّ من أحببتَ أن يأخذَ لك من الأمان والعهد والميثاق من تثقُ به**"[(١)]، لكن حين اشتد الحوار والجدال ورفض النفس الزكية ما قدّمه له المنصور، قدم له طلبا ظاهرا في سؤال استنكاري "**وكيف ورثتم ولايته وولده أحياء**"[(٢)]، وفي رغبته في تأكيد علو نسبه وشرفه وأحقيته بالخلافة وأيضا في دحض عهد الخليفة فقد أجاب باستفهام استنكاري "**فأما أمانُكَ الذي عرضتَ عليّ فأيّ الأماناتِ هو؟ أأمان بن هبيرة؟ أم أمان عمك عبد الله بن علي؟ أم أمان أبي مسلم؟**"[(٣)] وهو يستخدم الاستفهام الاستنكاري في دحض ما قدّمه له من عهد وأمن ليحثه على أن اتباع هذه الوسيلة غير مجدٍ، ونلاحظ أن النفس الزكية الذي عبّر عن تمرده صراحة استخدام مضامين الرفض وإشارات التمرد، لكن في أسلوب الجدال والرد على الحجج جعل النمطَ التوجيهي الطلبيَ في إطار الرد والدحض وليس في إطار الطلب القاطع الذي لا مفر منه.

وفي إطار رغبة المنصور دفعَ عيسى بن موسى لخلع نفسه عن ولاية العهد، وأن يقوم بذلك بنفسه، من الطبيعي أن يلجأ إلى التوجيه في درجة أقل من القطع الذي لا مفر منه، رغم تتابع الإشارات التي تؤكد أن المنصور عازم ولن يغير رأيه، وهو يجمع بين وضوح القصد القاطع لكن باستخدام نمط أخف من هذا التعبير القاطع حتى لا ينتهي الحوار فجأة ويصل إلى مدى لا يريده المنصور، ونجد تكرار نمط الحث والحض رغم أنّه صاحب السلطة الأعلى "**ويرى لكَ إذا بلغكَ من حال ابن عمك ما ترى من اجتماع الناس**

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٧٨.

(٢) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٧٩-٨٠.

(٣) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٧٩-٨٠

عليه أن يكون ابتداءُ ذلك من قِبَلَك"[١] ويؤكد في مرة أخرى "**فاقبلْ نُصح أمير المؤمنين لكَ، تصلحْ وترشدْ**"[٢] صحيح أنّ الدلالة تشمل أنّه إنْ لم يقبل ذلك فليس في ذلك صلاحه ورشاده؛ لكنّه أبقى النمطَ الظاهر حثا وحضا، ورغم أن عيسى بن موسى هو الأقل مرتبة وهو يحاول ممانعة الخليفة في قراراه، فقد عبّر عن رغبته أن يراجع المنصور رأيه، ولم يستخدمْ درجة دُنيا في الالتماس والطلب؛ لكنه أيضا لم يُعبّر بدرجة أكثر قطعية لا مفر منها، وهي منزلة بين المنزلتين تُبيّن الحزنَ وتُبرز قدرا من الندية؛ لكنها لا تلجأ إلى إنهاء الحوار والقطع واللجوء إلى وسائل أخرى من القطيعة والحرب "**فاقبل العافية، وارض من الله بما صنع، وخذ ما أوتيتَ بقوة، وكن من الشاكرين**"[٣]، لكنْ تغيرتِ الدرجةُ حين حدث أمرٌ هدّد أمنَ عيسى بن موسى الشخصي وسلطته، وأنه بحاجة لدعم الخليفة العاجل، هنا عاد عيسى بن موسى إلى مرتبته الأدنى بشكل واضح والتي تحمل قدرا من الالتماس وطلب العون "**وقد استعنتُ بكَ على قوم لا يعرفون الحق معرفتك، ولا يلحظون العواقب لحظك، فكن لي عليهم نصيرا، ومنهم مجيرا، يَجزكَ الله خير جزائك عن صلة الرحم، وقطع الظلم، إن شاء الله**"[٤].

ووسط حجاج طويل بين الأمين الذي يرغب في تقليل نفوذ أخيه وولي عهده المأمون، وتقليل الأراضي التي تحت سيطرته والأموال التي يحوزها، ووسط تمنّع الأمين ورغبته في التمسك بما أثبتَه الرشيد قبل وفاته لكن دون أن يُبدي لغة القطع في التمرد، هنا يحاول الأمين مرات أن يستخدم أوامر الحث والحض وإن كانت تحمل دلالات أخرى "**فاثن عن همّك، أثن عن مطالبتك إن شاء الله**"[٥]، أو بعد تكرار بيان الحُجج وعدم تغيير الرأي واستمرار غضب الأمين، يطلب منه أن يُبيّن رأيه النهائي وكأنه يعطيه فرصة أخرى لقبول

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٨٨-٩٢.
(٢) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٨٨-٩٢.
(٣) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٩٢-٩٥.
(٤) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٩٦.
(٥) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٩٧.

قرارات الأمين "**فأعلمني رأيكَ أعمل عليه إن شاء الله**"(١)، لكن يستمر المأمون أيضا في محاولة تلافي الصدام النهائي والوصول للتعبير عن الرفض القاطع الظاهر الذي لا مفر منه على الأقل في شكل النمط والأسلوب وإن ظل المضمون ثابتا لا يتغير، "**فإنّ رأى أمير المؤمنين تولّى أمرهم**"(٢)، هكذا يلجأ المأمون إلى جملة (فإن رأى) وهي صياغة ذكية رغم أنه رافض بشدة لما يريده الأمين، لكنه يحاول تخفيف هذه الشدة ويحاول إبراز نمط الحث والحض لا القطع والحسم. وحين قرّر الأمين عزل المأمون عن ولاية خراسان حاول أن يُتبعَ القرار الصعب طلبا فيه حث وحض وترغيب يُخفّف وَقْعَ القرار عليه -إن استطاع- "**فاقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونه، بأبسط أمل، وأفسح رجاء، وأحمد عاقبة، وأنفذ بصيرة**"(٣).

وحين قُتل الأمين وحُبست أمّه زبيدة -وهي في مكانة أم المأمون لكنها انحازت للأمين-، أرسلت إليه الشكوى والتعبير عن الحزن والتماس العفو "**سأشكو الذى لاقيته بعد فقده**"(٤)، "**تذكّر أمير المؤمنين قرابتي**"(٥)، "**إن رأيتَ أن ترحمَ ضعفي واستكانتي، وقلّةَ حيلتي، وأن تصلَ رحمي، وتحتسبَ فيما جعلكَ الله طالبا، وفيه راغبا، فافعل، وتذكر من لو كان حيّا لكان شفيعي إليك**"(٦).

٥- إمعان النظر في العملية التحليلية:

نخرج من هذا التحليل بعدة ملاحظات: أن من وظّفَ النمط الطلبي التوجيهي في عملية الإقناع والتأثير لجأ إلى استخدام نوعين من الطلب التوجيهي يمكن توظيفهما خلال محاولة التأثير والإقناع، نوع يحمل حثا وحضا أو التماسا، ونوع فيه الطلب القاطع الحاسم

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٢٩٨/٣.
(٢) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣٠١/٣.
(٣) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣٠٥/٣-٣٠٦.
(٤) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣١٣/٣-٣١٤.
(٥) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣١٣/٣-٣١٤.
(٦) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣١٤/٣-٣١٥.

الذي لا مفر منه، وقد كان النوع الأول هو الأكثر استخداما وتوظيفا رغم أن كل المواقف الخطابية انطوت على رغبات وإرادات قوية حاسمة؛ لكنّ المتحاورين لم يريدوا اللجوء بسرعة إلى ما يؤدي إلى الحسم والقطع خاصة القطع بالرفض أو التمرد أو الحرب، وهو وعي بحساسية الموقف الخطابي والقدرات اللغوية التي يمكن توظيفها لإحداث التأثير المطلوب.

خلال التحليل يمكن اكتشاف بعض الجمل والعبارات التوجيهية المطلقة التي لا يُرجى منها تحقيق طلب مباشر -وإن كانت موظفة ضمنيا في سياق طلب مباشر في الحوار السياسي-، مثل الدعاء مثلا "**وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك**"[(١)]، فهو دعاء يعبر عن تمن عام ويتم توظيفه لدعم الحالة التوجيهية الطلبية، وهناك حالة أخرى لطلب توجيهي -وردت في موضع واحد تقريبا- يمكن أن نسميها "درجة عادية"، لم يعقبها حثٌ أو حضٌ أو تأكيد، كما فعل الخليفة أبو العباس في طلبه الأول "**اقدم في خمسمائة من الجند**"[(٢)]، الذي كان طلبا عاديا تحول بعد قليل من الأخذ والرد إلى الحاجة إلى تأكيد هذا الطلب ورفع درجته بعد محاولات الاستدراك والتغيير.

٦- توظيف درجات التوجيه الطلبي في التأثير والإقناع:

في إطار التوظيف كشفنا أن استخدام توجيه الحث أو الالتماس أكثر من استخدام توجيه الحسم القاطع -الذي لا مفرّ منه-، رغم أن كل المواقف انطوت على نيات قاطعة في صراع سياسي، لكن رغم ذلك كانت هناك محاولات متعددة للعدول عن التعبير القاطع إلى درجات أقل رغبة في تجنب الصدام أو إحداث تغيير وإقناع خلال الحوار دون اللجوء إلى وسائل أخرى، وظلّت محاولات التعبير القطعي محدودة كما فعل أبو العباس مع المنصور وهدّده بالقطيعة، أو بين المنصور وعيسى بن موسى في قضية أقل أهمية من القضية الكبرى التي يريدها المنصور، أو حين أعلن نقفور تغيير سياسته بشكل

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٧-٢٨.

(٢) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/١٨.

قاطع، أو الرد القاطع للمأمون على المحبوس، أو ثوفيل ملك الروم، وقد تبع هذه المواقف حسما فعليا في الواقع، فقد اضطر المنصور إلى الاستجابة وانتهت فرصة الحوار، واضطر عيسى بن موسى للتراجع وقبول تخليه عن ولاية العهد، وأقام الرشيد حربا على نقفور حتى عاد عن موقفه، ونعلم أن نهاية الخلاف بين الأمين والمأمون انتهت بحرب أهلية قُتل فيها الأمين.

سنجد أيضا تعبيرات ذكية تُوَظّف قدرات لغوية في عملية التلاعب بدرجة التوجيه والطلب، فهناك استخدام للاستفهام أو الشرط أو بعض العبارات التي تؤثر على الأسلوب المستخدم، فقد استخدم الشرط في بناء تهديد معلق، أو تهديد ملغى، كما استخدم الاستفهام الاستنكاري مثل "**فلم سوّيت نفسك بهم**"(١)، "**وكيف ورثتم ولايته وولده أحياء**"(٢)، "**فأما أمانُكَ الذي عرضتَ عليّ فأي الأمانات هو؟ أأمان ابن هبيرة؟ أم أمان عمك عبد الله بن علي؟ أم أمان أبي مسلم؟**"(٣)، "**فكيف تفخر علينا؟**"(٤) في إطار توجيه الطلب إلى استنكار موقف قد يكون بغرض الطمأنة والتودد كما في حالة المنصور تجاه أبي مسلم، أو في إطار التمرد كما في حالة النفس الزكية تجاه المنصور، وهي كلها تحمل دلالات ضمنية للحث على تغيير الرأي أو التخلي عن المضامين التي لم تعد مجدية أو مناسبة للحوار.

عن العدول من منزلة عليا لأدنى أو من أدنى لأعلى:

لفهم أعمق لتوظيف النمط التوجيهي ودرجاته في التأثير والإقناع، يجب أن نلتفت إلى سلطة المتحدثين وشعورهم بالمرتبة والسلطة هل هي مرتبة عليا أو دنيا، هذا بجانب انتباهنا السابق إلى الدرجة وإلى السياق الذي يدل على الدرجة، وبالنظر إلى تقاطع الدرجات مع منزلة المتحدثين سنجد صورة أخرى للتوظيف، قد تدفع صاحب مرتبة

---

(١) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٢٧-٢٨.
(٢) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٧٩-٨٠.
(٣) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٧٩-٨٠.
(٤) جمهرة رسائل العربي في عصور العربية الزاهرة: ٣/٨١-٨٧.

أعلى في سلطته ومنزلته إلى تخفيض مرتبة الطلب لتبدو أقل رتبة، وقد نجد صاحب مرتبة أدنى يرتفع بلغته لتكون في مرتبة عليا، وهي كلها حالات عدول تعبر عن محاولات متعددة لتوظيف النمط التوجيهي في عملية التأثير والإقناع.

لا شك أن لغة الالتماس من أدنى تحمل قدرا من التودد للآخر، والرغبة في إرضائه، وتمني تلبية طلبه، ومحاولة تقديم دعم للطلب بلغة ليس فيها استعلاء؛ بل تودد، أما لغة الحث من أعلى يبدو فيها رغبة من سلطة عليا -أو من يشعر بأن له سلطة عليا- تخفيفَ حدة القطع والحسم، وتكثيفَ بيانِ شدةِ رغبته في هذا الفعل -دون الوصول في الأسلوب إلى الحد القاطع-. لكن ما الذي يدفع صاحب سلطة عليا أن يعدل إلى أسلوب التماس أدنى، أو صاحب منزلة أدنى أن يلجأ إلى أسلوب أعلى؟

يبدو الأمر الثاني مفهوما في إطار الصراع أو التمرد والنزاع، فالذي يتمرد ويعلن نفسه حاكما أو خليفة يريد أن يتحدث بلغة الأعلى -وإن لم يتمكن منها بعد- مثل حديث النفس الزكية أو نقفور ملك الروم، لكن بخصوص النوع الأول: ما الذي يدفع صاحب سلطة عليا أن ينزل لالتماس يبدو من لغة أدنى؟

تعطينا الرسائل إجابات متنوعة فقد يكون التأثير المطلوب محاولة بث الطمأنينة أو الخداع حتى يحد من النفوذ ويتمكن منه. كما أن قرار ولي عهد الخليفة أن يتخلى عن ولاية العهد، أمر عظيم وصعب ويحتاج وقتا من الحث والإلحاح، وحين يمانع المأمون -والي خراسان وولي العهد- الخليفة في قرارات مهمة فإنه يحتاج أحيانا إلى لغة الالتماس أحيانا أو الحث والحض، وتعطينا الإشارات المتعددة هنا إلى حاجة صاحب سلطة عليا في أحيان كثيرة خلال الصراع السياسي إلى الصبر واستخدام لغة فيها تودد وحث وحض -حتى لو كان يريد تنفيذ أمر قاطع-، لكنه لا يلجأ للأمر القاطع الحاسم الذي لا مفرّ منه من أجل تحقيق غايات خطابية متعلقة بعملية التأثير والإقناع، قد تكون تلك الغايات مثل بثّ الطمأنينة والتخفيف من وطأة قرار صعب والتهيئة والخداع والتبرير وغير ذلك.

ما الذي يعنيه ذلك؟

يعني أنّ البقاء خلف الوصف العام لأي نمط من أنماط أفعال الكلام ليس كافيا لكشف كل آليات التأثير والإقناع، فاستخدام كل نمط يحمل داخله تنوعا في عملية التوظيف، فداخل الموقف الخطابي الواحد ومع كل حوار أو رسالة، قد تنوع آليات التأثير للنمط التوجيهي أو لأي نمط آخر من أنماط أفعال الكلام، وهو ما يدفعنا إلى البحث عن نماذج تحليلية تمكننا من تحليل أكثر سعة لأي نمط من أنماط أفعال الكلام.

٧- خلاصات ختامية وتطوير النموذج التحليلي للنمط التوجيهي:

بالتأمل في تحليل الأنماط الخمسة على المراسلات السياسية في بحثنا يظهر أن الصراع السياسي يدور حول غايات يُراد تحقيقها وهي تدور حول النمط التوجيهي الطلبي من حيث الأصل، لكن حالة الحوار وآليات التأثير والإقناع توظّف النمط التقريري والنمط الالتزامي لدعم الغاية التوجيهية الأساسية، كما أن التعبير بالنمط التوجيهي يأخذ عدة أشكال ودرجات في التعبير، ويتم توظيف درجات هذا الطلب بشكل مباشر وغير مباشر لإنجاح عملية التأثير أو الإقناع أو الإخضاع.

أقرّ أوستن وسيرل أنّ أنماط أفعال الكلام يمكن أن تكون صريحة أو غير صريحة، وهو ما بدا جليا خلال تحليلنا للرسائل، لكن درجة التداخل بين الصريح وغير الصريح أو المباشر وغير المباشر، ودرجة توظيف كل نمط وتداخله مع أنماط أخرى أو مع محاولات خداع أو تلاعب، مما يخلق صعوبة أحيانا في رسم حد فاصل بين الصريح وغير الصريح لكل نمط من الأنماط، بل أحيانا يمكن لتعبيرات بشكل غير حاسم أن تُفهم أو تُحلل بأكثر من نمط وفق تقدير الباحث أو المحلل.

٨- تطوير نموذج لتحليل النمط التوجيهي:

قدمنا تحليلا يكشف توظيف النمط التوجيهي Directive في عملية التأثير والإقناع، خاصة في بيان درجات التوجيه الذي قد يكون طلبا قطعيا حاسما لا مفر منه، وقد ينطوي على التماس من أدنى لأعلى أو حث وحض من أعلى لأدنى، وأعطانا التحليل صورة عامة وثرية لعملية توظيف النمط التوجيهي في التأثير والإقناع وتمييزه عن الأنماط الأخرى، ولأن الغايات التوجيهية الطلبية هي جوهر الخطاب والصراع السياسي الذي يدور حول تنازع الإرادات التي تريد حمل الآخرين على فعل شيء ما أو قبوله او الإذعان له، فإننا بحاجة إلى تحقيق استفادة مثلى من تحليل النمط التوجيهي وتوظيفه في التأثير والإقناع خلال الخطاب السياسي، من هنا نحتاج أن نجمع بين درجات الطلب ومنزلة المتحدثين ونقدم اقتراحا يساعد في عملية التحليل، مستفيدين من الملاحظات التحليلية السابقة.

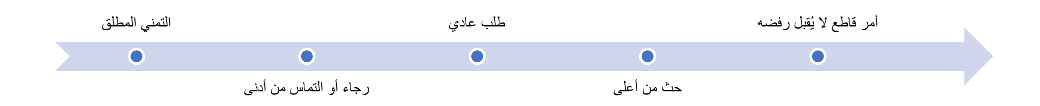
بخصوص درجات الطلب فقد بدأنا الاستكشاف بدرجتين: درجة الطلب القاطع الذي لا مفر منه، والدرجة التي تحمل قدرا من الحث أو الالتماس، وقد رأينا خلال التحليل تأثير منزلة المتحدثين ودرجة سلطتهم أو شعورهم بهذه السلطة، ويحتاج نموذجنا أن يجمع بين المعيارين.

كذلك كشفنا عن حالات العدول من أعلى لأدني أو من أدنى لأعلى، كما ظهرت عندنا إشارات تتعلق بطلب فيه تمنٍ مطلقٍ لا يُتوقعُ معه استجابةٌ مباشرة، كما ظهر استخدامٌ لما أطلقنا عليه (الطلب العاديّ) الذي لم يعضده ما يدل على الحث أو الالتماس، ومن هنا يبرز مقياسٌ من المهم الالتفات له في عملية التحليل وتأثر درجة الطلب في الخطاب، يبدأ المقياس بالتمني ثم الالتماس ثم يصل إلى الحث والحض وصولا إلى القطع الذي لا مفر منه، ويشمل أيضا (الطلب العاديَّ) الذي لا يصاحبه تأكيدا سياقيا على درجة الالتماس أو الحث.

بقي أن نضيف إضافة مهمة تتعلق بـ(الطلب العاديّ)، صحيح أنه لم يرد إلا مرة واحدة لكن الغرض من تقديم هذا النموذج المقترح أن يكون ملائما للتطبيق في نماذج أخرى

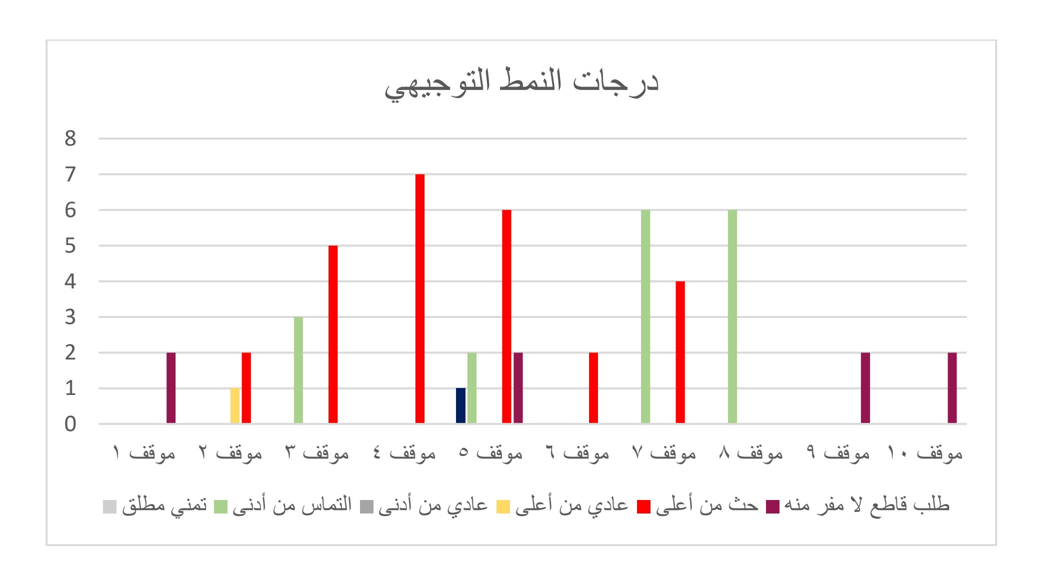
متعددة من الخطابات عموما أو السياسية خصوصا، ما لاحظناه من (الطلب العادي) يتعلق بالأسلوب والنمط لا المعنى والتوظيف، بمعنى أن الأسلوب عاديٌّ لم يحمل معه دلالات الالتماس من أدنى أو الحض من أعلى أو الأمر القاطع، ومع النظر لاختلاف منازل المتحدثين فحسب كل منزلة بالتأكيد خلال ممارسته الكثيفة اليومية للغة هناك الكثير من الاستخدامات الطلبية العادية التي لا يحتاج المتحدث فيها إلى تأكيد أو التماس أو حض أو بيان للقطع، سواء كان المتحدث ذا سلطة عليا أو دنيا، وسواء كان الحوار اجتماعيا أو تجاريا أو سياسيا أو دينيا، وهنا تأتي دلالات السياق لتُبقيَ (العاديَّ) عاديا أو تنقله من (العادي) إلى درجة أخرى، صحيح أن (عاديّ) صاحب السلطة العليا يختلف عن (عاديّ) من تقع عليه السلطة، لكن ذلك يفتح آفاقا متعددة للتحليل والتمييز، واستغلال حالات العدول لتكون جزءا من آليات التأثير والإقناع، أو التواصل والتعبير لتحقيق غايات أخرى، وحتى خلال الحوارات اليومية لا يحتاج الناس في كثير من الأمور للتأكيد على درجة الفعل العادي، لكن وسط غايات معينة أو تغير منحى الحوار أو طبيعة السياق خاصة الصراع السياسي، فإننا سنحتاج دلائل وقرائن وإشارات تميز العادي عن غيره، وبهذا تفسح لنا آفاق البحث والنظر في البحث حول انتقال درجات التعبير الطلبية ليس بحسب منزلة المتحدثين فقط ولن بحسب الحالة التي يريدها من التأثير والإقناع داخل الحوار أو الموقف الخطابي.

بعد هذه النقاشات التحليلية يقترح الباحث نموذجا للاستفادة المثلى من تحليل النمط التوجيهي وتوظيفه في الحوارات السياسية، يراعي درجة الطلب ومنزلة المتحدثين:



يراعي هذا النموذج اختلاف المنزلة بين المتحدثين وما له من تأثير، ودرجات الطلب، ويسمح بالكشف عن توظيف درجات وعمليات العدول في المنزلة أو في الدرجة، ولو

طبقنا هذا النموذج على ما قمنا به من تحليل سنكتشف حالة الثراء في استخدام النمط التوجيهي لتوظيفه في عملية التأثير والإقناع:



يمثل الكشف عن الغايات الطلبية التوجيهية أهمية كبيرة في تحليل الخطابات السياسية، سواء كانت غايات عليا تتعلق بالموقف السياسي ومقاصده، أو غايات فرعية داخل الخطاب لدعم الغاية السياسية أو التمكين لها أو مواجهة غاية وإرادات أخرى، ولا يمكن تحليل خطاب سياسي دون الكشف عن غاياته الطلبية التي يتم توجيهها للأنصار أو الخصوم أو غيرهم، ورغم أن الغايات السياسية خاصة في حالات الصراع وتنازع الشرعية تتسم بسمات تحمل قدرا من القوة والصلابة خلف هذه الغايات، فالخطاب السياسي في كثير من سماته لا يكون دائما صريحا مباشرا، ليس في التعبير عن المضامين والرسائل فقط، ولكن في التعبير عن مضمون الغايات ودرجتها، كما أن سمة الخداع والتلاعب التي ترافق الحوارات السياسية تجعل النظر للنمط التوجيهي يكتسب قدرا أكثر أهمية في التحليل، فلأي درجة يكون التوجيه أو الطلب أو الحث جزءا من حالة تلاعب أو خداع؟ أو لأي درجة يكون التوجيه مرحليا يراد منه تحقيق غاية أخرى أكبر؟ ويصبح النظر في النمط التوجيهي سواء كان مباشرا أو غير مباشر طريقا مهما ومفتاحيا لتحليل

الخطاب السياسي كله والكشف عن سماته وآثاره ومقاصده وحالات التلاعب أو الخداع فيه.

المصادر والمراجع

الأفعال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، جون سيرل، ترجمة أميرة غنيم، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٥م.

الأنساق العميقة للتأويلية العربية، محمد بازي، كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٥م.

التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، عمّان الأردن، ٢٠١٦م.

التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م.

التداولية اليوم علم جديد في التواصل، جاك موشلار وآن روبول، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.

التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٦م.

الخطاب والتغير الاجتماعي، نورمان فيركلف، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.

الخطاب والسلطة، توين فان دايك، ترجمة غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.

الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، حسين بيوض، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م.

العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

اللغة والسلطة، نورمان فيركلف، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م.

اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، سلسلة عالم المعرفة/١٩٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٩٥م.

المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال وغاري بريور، ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني، الجزائر، ٢٠٠٧م.

تحليل الخطاب، ج ب براون وجورج يول، ترجمة محمد لطفي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

تحليل الخطاب النظرية والمنهج، ماريان يورغنسن ولويز فيليبس، ترجمة شوقي بو عناني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ٢٠١٩م.

تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي، سرخيس برس، بيروت، ١٩٣٣م.

جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ج٣، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٣٧م.

في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

في اللسانيات والنقد أوراق بينية، سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٧م.

معجم اللغويات الاجتماعية، جون سوان وآخرون، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ترجمة فواز محمد الراشد وعبد الرحمن حسني، الرياض، ٢٠١٩م.

نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستن، ترجمة عبد القادر قينيني، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١م.

الخطاب وتحليل الخطاب، تصورات فكرية ومقاربات دلالية

عزيز غنيم

باحث دكتوراه، جامعة محمد الخامس، المغرب

البريد الإلكتروني:aziz.ghnym@um5r.ac.ma

معرف (أوركيد): 0000-0001-9499-5915

بحث أصيل الاستلام:١٨-٣-٢٠٢٣ القبول:١٠-١٠-٢٠٢٣ النشر:٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

يروم هذا البحث تقفي معالم الخطاب وبنياته، ورصد تشكلاته من خلال المنجز الفكري اللساني والفلسفي، الرامي لفهم الواقع عن طريق كشف ملفوظاته، كما يتغيا هذا البحث الوقوف عند القواعد الصورية التي سنها الفلاسفة واللسانيون لتحديد نمط وجود الخطابات في الممارسات والسلوك، والوصول إلى العدة المفهومية التي اجترحوها لاستكناه علاقة البشر بالحقيقة والمعرفة والسلطة. كما يتيح تناول موضوع تحليل الخطاب إمكانية الانفتاح على مقاربات متنوعة مثل البنيوية والسميائية والتفكيكية ومجالات معرفية متباينة من قبيل الفلسفة والأدب واللسانيات، وكذا الانزياح نحو طروحات أفضت إلى دلالات تنتسب لحقول فكرية مختلفة من دراسة الأرشيف والوثائق إلى علم النفس الاجتماعي والإيديولوجيا.

الكلمات المفتاحية:

تحليل الخطاب، الخطاب، الفلسفة، اللسانيات، التفكيك.

للاستشهاد/ Atif İçin / For Citation: غنيم، عزيز (٢٠٢٣). الخطاب وتحليل الخطاب: تصورات فكرية ومقاربات دلالية. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٤١٧- ٤٤٣، https://www.daadjournal.com/ .

Discourse and Discourse analysis: intellectual perceptions and semantic approaches

Aziz Ghnym

Researcher, Mohamed V University, Morocco

E-mail: aziz.ghnym@um5r.ac.ma

Orcid ID: 0000-0001-9499-5915

Research Article Received: 18.03.2023 Accepted:10.10 .2023 Published: 31 .10 .2023

Abstract:

This research wants to stand at the milestones and structures of discourse, and monitor its shapes through the linguistic, philosophical and intellectual achievement of understanding reality by exposing its files. This research also seeks to identify the conceptual rules developed by philosophers and linguists to determine the pattern of the existence of discourses in practice and behavior, and to reach the number of conceptual approaches they have invoked to discourage human beings' relationship to truth, knowledge and power. The topic of discourse analysis also offers the possibility of opening up to diverse approaches such as structural, semiological, deconstructive and different areas of knowledge such as philosophy, literature and linguistics, as well as identifying perceptions that have led to connotations related to different fields of thought from archiving and documentation to social psychology and ideology.

Keywords:

Discourse analysis, Discourse, Philosophy, Linguistics, Deconstruction.

تقديم:

إن النظر الذي استوى لدى مجموعة من الباحثين استواء لا نزاع فيه، هو العناية والاهتمام بمصطلحات العبارة والملفوظ والنص والخطاب، وذلك لأجل تعيين المفاصل التعريفية والحدود المفهومية لهذه المصطلحات من منطلق أنها شرط ضروري ولازم لضبطها وتمييزها عن بعضها البعض، وإبراز الجوانب والخصائص الأساسية فيها[١].

ولقد شكلت هذه العناية العتبة المعرفية الأولى، والمدخل الأساس لكل المهتمين والمشتغلين بحقل تحليل الخطاب[٢] للنفاذ نحو تحديد ابستيمولوجي واضح يزيل الغموض والالتباس الذي يكتنف هذا الحقل، إذ هناك من يربطه بالنص وهناك من يقرنه بالملفوظ وهناك من يميزه عن العبارة.

ولأن التحديدات ليست سوى مقاربات عملية لربط المصطلحات بنسقها المفهومي، وذلك بالاعتماد على منظومة مفهومية خاصة، تهدف إلى إنشاء تصور معرفي ينضوي ضمن حقل من حقول المعرفة، فقد حفلت بحوث اللسانيين والفلاسفة بمقاربات لتصنيف الخطاب وتحديد مجالاته، وبرزت تصورات عبرت بالخطاب من مضايق لغوية صرفة إلى فضاءات فكرية رحبة.

١. تحديدات أولية للخريطة المفهومية: خطاب، تحليل، تحليل الخطاب:

١-١- مقولة الخطاب وتباين التصورات:

(١) في تحليل الخطاب الاجتماعي: ١٦٤.

(٢) في تحليل الخطاب الاجتماعي: ١٦٥.

لا غرو أن أول محاولة جادة تهدف ضبط مفهوم الخطاب وشحنه بدلالته الخاصة تعود إلى الثقافة اليونانية مع أفلاطون، لتمتد في العصور الحديثة [٣] مع ديكارت في كتابه الموسوم بخطاب في المنهج لتبرز بشكل واضح في العصور الراهنة مع هاريس ودي سوسير وفوكو وآخرون من خلال أعمالهم في هذا المضمار.

وهذا يجعلنا نتيقن بجلاء أن مفهوم الخطاب، قد حظي منذ القدم بالعناية والاهتمام اللازمين في الثقافة الغربية من لدن كثير من المفكرين والفلاسفة، حيث ورد في معجم تحليل الخطاب أن هذا المفهوم قد كان مستعملا في الفلسفة الكلاسيكية كمقابل للمعرفة الحدسية، وكانت قيمته مكافئة للوغوس غير أنه شهد انتشارا فائق السرعة مع أفول نجم البنيوية وصعود التيارات التداولية[١].

وقد ارتبط هذا المفهوم معجميا عند الغرب بكونه وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة وأنه كل تلفظ يفترض متحدثا وسامعا، بحيث تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال. لكن أبرز تعريف للخطاب من وجهة نظر لسانية هو ما ذهب إليه جون ديبوا وآخرون في معجم اللسانيات[٢] حيث ألمعوا إلى مجموعة من التعاريف للخطاب نورد منها ما يلي:

"- الخطاب كلام وضع قيد الممارسة، أما اللغة فتتولها الذات المتكلمة.

- الخطاب وحدة تكافئ أو تفوق الجملة، تشكل متتالية تتحدد على إثرها رسالة لها بداية ونهاية.

(٣) مصطلحا الخطاب والنص: ٩٥.

(١) معجم تحليل الخطاب: ١٨٠.

(٢)Dictionnaire de linguistique: 150.

- الخطاب من المنظور البلاغي، هو سلسلة من التطورات على المستوى اللساني، سخرت لأجل الإقناع كما أنها بنيت وفق قواعد محددة.

- ما تؤكده اللسانيات الحديثة، هو أن مصطلح الخطاب يشير إلى كل ملفوظ أكبر من الجملة"[٣].

وما يمكن استنتاجه من التعاريف أعلاه هو التفريق بين مصطلحين هما: الكلام، وهي نشاط فردي يتميز به الإنسان عن باقي الكائنات الاخرى، والقول أو الحديث، الذي يتأطر ضمن عملية التواصل التي تقتضي التفاعل المتبادل بين المرسل والمرسل إليه[٤]وفق قواعد معينة.

ويكاد يجمع كل المتحدثين عن الخطاب في هذا المقام، على سبق زليخ هاريس في هذا المضمار من خلال بحثه الموسوم بتحليل الخطاب[١] إذ يمكن اعتباره أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني ليتعدى الجملة إلى الخطاب[٢] حيث عرف هاريس الخطاب بأنه "ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل، تشكل مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية متسلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، بشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[٣] وضمن هذا السياق قدم لنا الخطاب كمتوالية من الملفوظات ذات علاقات معينة، منطلقا في ذلك من تعريف بلومفيلد للجملة مؤكدا أن وجود الخطاب رهين بنظام متتالية من الجمل.

وبمقتضى هذا التعريف سعى هاريس إلى تطبيق تصوره التوزيعي على الخطاب، والذي من خلاله تصبح كل العناصر مترابطة في انتظام معين يكشف عن بنية النص، وأس هذا الانتظام بين متتاليات الجملة يكمن فيما يسميه هاريس بالتوازي. وقد اشتغل هاريس في تحليله للخطاب

---

(٣) Dictionnaire de linguistique: 151.

(٤) في نشأة اللغة: ٣١.

(١) Que cherchent les analystes du discours? : 2.

(٢) تحليل الخطاب الروائي: ١٧.

(٣) مصطلحا الخطاب والنص: ٩٦.

على متون قصيرة وذات طبيعة إشهارية تكثر فيها التوازيات بشكل ملموس، كما أن اختزاله للتحليل بحسب المكونات المباشرة التي تجعل كل جملة تعود إلى بنياتها الأولية.

وعلى خطى مغايرة لهدي هاريس انخرط إميل بنفنست في إقامة تصور خاص للخطاب مشدود بدعائم معرفية ومسنود بخبرة لسانية تتجاوز الإطار الشكلي للسانيات البنيوية، حيث اعتبر أن الفضاء الذي تمارس فيه الإبداعية وسياقات الاستعمال اللغوي هو الذي يمنح الوحدات اللغوية قيما جديدة. ويشغل ويشحن نظامها ومن ثمة يحولها إلى خطاب.

من هذا المنطلق التحديدي يعرف بنفنست "الخطاب باعتباره الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل"[١] والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هو عملية التلفظ. وبصيغة أخرى يحدد بنفنست الخطاب بمعناه الأكثر اتساعا بأنه"كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما" [٢].

وقد نبه بنفنست إلى أن التلفظ هو موضوع الدراسة وليس الملفوظ، إذ بين الخطاب والملفوظ تداخلا يتمثل في كون الملفوظ يتشكل من جملة أو من عدة جمل، وقد يكون دراسة نحوية أو غير نحوية، ذات سمات دلالية أو غير دلالية، وبالمثل قد يكون الملفوظ أدبيا أو ملفوظا تعليميا يماثل في هذه الحالة أنماط الخطاب، إن لم يكن مرادفا لها. فالملفوظ هو كل جزء من أجزاء الكلام يتلفظ به المتكلم، سواء أكان مفيدا أو غير مفيد، عكس التلفظ الذي هو خطاب يتوافر على تمام الفائدة.

وهكذا نلاحظ أن دراسة آلية التخاطب قد اقترنت في اللسانيات الفرنسية بطروحات بنفنست، التي اعتبرت من لدن الكثيرين نقطة تأسيس للخطاب، استفاد منها اللسانيون والفلاسفة

(١) تحليل الخطاب الروائي: ١٩.

(٢) تحليل الخطاب الروائي: ٢٠.

اللاحقون من أمثال الفرنسي أوليفيي روبول[٣] الذي حدد الخطاب بقوله: "هذا الاصطلاح الذي صار حاليا ادعاء فارغا من طرف كل العلوم يشتمل بالفعل على عدة معان:

- المعنى الشائع: الخطاب هو مجموع منسجم من الجمل المنطوقة من طرف الشخص نفسه عن موضوع معطى، ومثال ذلك الخطاب الانتخابي، ويمكن أن يحيل على نص مكتوب أو إنتاج شعائري واحتفالي (الخطاب الاستقبالي بالأكاديمية الفرنسية).

- المعنى اللساني المختزل: بالنسبة للسانيين المعاصرين، يعتبر الخطاب متوالية من الجمل المشكلة لرسالة لها بداية وانغلاق، إنه إذن وحدة لسانية تساوي الجملة أو تفوقها (حكمة، مقال).

- المعنى اللساني الموسع: تأخذ اللسانيات الاصطلاح بمعنى أكثر اتساعا، إنها تقصد بالخطاب "مجموع الخطابات المرسلة من طرف الفرد أو من لدن الجماعة نفسها التي تعرض طبائع لسانية مشتركة، فاستنادا للجملة، حدد اللسانيون مصطلح الخطاب، إذ هو في منظورهم عبارة عن نص محكوم بوحدة كلية واضحة، بحيث يتألف من صيغ وجمل متراصة منسجمة ومتوالية، تصدر عن المخاطب الذي يود تبليغ الخطاب وإيصاله إلى المخاطب"[١].

وفي نفس السياق يقول روبول: "أقصد بالخطاب مجموعة منظمة من الجمل، تتحدث عن موضوع معين"[٢] ولكي تتحقق عملية التخاطُب، يفترض وجود مخاطِب ومخاطَب، وتوافر الحوار/التبادل الكلامي في الخطاب ليؤدي دوره على أفضل وجه. باعتباره نشاطا لغويا إنسانيا بالغ الاهمية، لا يستطيع الفرد الاستغناء عنه، وهو أعم من الجملة لكونه تركيبا من الجمل المنظومة طبقا لنسق مخصوص من التأليف.

يتضح مما سبق بزوغ محاولات أولى لتحديد الخطاب مع هاريس وبنفنست وروبول، لكن الملاحظ أنه مع بداية السبعينات من القرن الماضي تبلورت محاولات عديدة لمناقشة التحديدات

(٣) تحليل الخطاب البيداغوجي: ٤١.

(١) تحليل الخطاب البيداغوجي: ٤١.

(٢) تحليل الخطاب البيداغوجي: ٤٢.

السابقة وقراءتها على ضوء التصورات التي بدأت تتمايز عن بعضها البعض، حيث غدت مشكلة الخطاب إحدى الإشكالات المركزية التي يدلي فيها الباحث بدلوه، ويقدم اقتراحاته وإجراءاته للإسهام في بلورة تصور مناسب لمفهوم مائع ومتعدد الدلالات. وسنحاول الآن الاقتراب ولو بإيجاز من إحدى وجهات النظر هاته.

في مقدمة دراسته لدلالة التشكلات يطرح فرنسوا راستيه تصوره للخطاب مبرزا أن اللسانيات تحققت كعلم، نتيجة تمكنها من تحديد موضوعها، وأن على تحليل الخطاب أن يحدد هو كذلك موضوعه، وهذه ضرورة تاريخية لا مهرب منها بسبب علاقته الوطيدة باللسانيات.

وبعد أن بسط لنا راستيه تعريف الجملة عند بلومفيلد، باعتبارها موضوع اللسانيات، انطلق للتأكيد على أن التحليل الذي يبغي تجاوز الجملة، لابد له من أن يعلن عن الحدود التي يمكن أن يقف عندها، لينتهي إلى أن أمامنا ثلاث استراتيجيات ممكنة وهي على النحو التالي:

- اعتبار الخطاب موضوعا للسانيات وتحديده كتقاطع بسيط وخطي للجمل كما فعل هاريس.

- إبعاد الخطاب عن اللسانيات، والنظر إليه من زاوية ارتباطه بالكلام لا باللسان.

- وضع علم للخطابات يكون موازيا للسانيات ويكون موضوعه الفعلي واحدا، وموضوعه المعرفي مختلفا.

إن راستيه من خلال تقديمه لهذه الاستراتيجيات الثلاث يكون –عمليا- قد قدم لنا وجهات النظر الموجودة في بداية السبعينات بصدد الخطاب وتحليله. فهناك التصور الذي يوسع مجال الدراسة اللسانية بإدخال الخطاب ضمن موضوعها، وهناك التصور الذي يرفض ذلك مطلقا، وهناك أخيرا التصور الداعي إلى خلق علم جديد للخطاب على غرار اللسانيات.

وفي ضوء ما سبق ومن خلال تقص وفحص دقيق لتحديدات مصطلح الخطاب، يتضح أن ثمة خصائص مشتركة بين اللسانيين والباحثين الذين يعملون بتوجيه مباشر من اللسانيات في تحديدهم للخطاب، نوردها على النحو التالي:

أولا: أن الخطاب وحدة لغوية أشمل من الجملة، فهو نظام من الملفوظات، يتحدد مفهومه للغة بناء على التلفظ أو القول بين طرفين، أحدهما مخاطِب وثانيهما مخاطَب، يتحاوران في شكل حديث حر، فيقال حينئذ إنهما يتخاطبان، فيفهم أحدهما الآخر من خلال البينة وفصل الخطاب.

ثانيا: تأكيد المظهر اللفظي للخطاب، وذلك راجع إلى اشتغال اللسانيين بالخطاب الشفهي (الكلام) على أساس أن الكلام يمثل مظهرا لفظيا خاصا بالفرد، وكونه أكثر المظاهر الإشارية تعبيرا عن اللغة، فالملفوظ هو جملة ما يتلفظ به الإنسان، ويكون محددا ببداية ونهاية كأن يكون محصورا بين حالتي وقف في الخطاب الشفهي، أو بين علامتي ابتداء وانتهاء في الخطاب المكتوب والملفوظ بذلك يكون جملة، أو فقرة، أو نصا، حيث يطلق على صاحبه اللافظ، والتأكيد على هذا الجانب يفترض ضمنا الاهتمام ببعض مكونات نظرية التخاطب كالمخاطَب والمخاطِب بوصفهما قطبي إرسال، واستقبال للملفوظ من الكلام، وكل هذا يحيل إلى اتساع مفهوم الخطاب، ليكون موضوعا لا تعنى به اللسانيات المحضة فحسب، وإنما نظرية الاتصال والتلقي والسيميولوجيا.

ثالثا: تعدد دلالات الخطاب بتعدد اتجاهات تحليله وحقول المعرفة التي ينتمي إليها أو التي استعمل فيها، فمجالات المعرفة عديدة. فهناك اللسانيات والفلسفة والنقد والسيمياء.

١-٢- حقل الخطاب ومدارات التحليل:

إن الدقة في تحديد المفاهيم يترتب عنه حشد ما تتطلبه من معلومات ونظريات وآراء تساعد في النهاية على توظيفها توظيفا نفعيا في مجالها الذي وضعت لأجله. ونحن هنا بصدد الوقوف

عند مفهومين اثنين يندرجان في مختلف حقول الفكر الإنساني بدون استثناء، ويشكلان منطلقا خصبا للدراسات اللغوية والفلسفية ماضيا وحاضرا هما التحليل والخطاب.

ولعل ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن كلا المصطلحين قد وردا مضافا إلى بعضهما البعض، فكلمة "تحليل مصدر قياسي بوزن تفعيل: من حلل المضعف والأصل الثلاثي فيه (حل) بمعنى فتح، فيقال: حل العقدة، فتحها ونقضها فانحلت، وإذا نقل المعنى السابق (حل العقدة) إلى المجاز وأسقط على الخطاب فهو بلا ريب يؤدي المعنى المطلوب والمتمثل في سبر أغوار شيء مجهول، والوقوف على خباياه وعقده" [1].

كما ميز المعجم الفلسفي بين لفظتي تحليل وتحليلي على النحو التالي: إذ يفهم من لفظة تحليل ما يلي:

- منهج لبناء تصور أو طريقة للاستدلال.

- دراسة العلاقات المستقلة بين العناصر الكبرى.

- تجزيء الكل إلى عناصر صغيرة.

أما مصطلح تحليلي فيحيل على ذلك التوجه الذي تطور في مهد القرن العشرين على يد كل من برتراند راسل ووايتهد، حيث عملا على تجاوز المشكلات المطروحة آنذاك، انطلاقا من تأسيس فلسفة معرفية من منطلق منطق الكلام، فكما هو معلوم فلفظة تحليلي قد نمت في دائرة الأبحاث المنطقية من خلال الفكرة التي طورها غوتلوب فريجه، حول اللغة الشكلية، التي يمكن أن تكون نموذجا للفكر المحض، بمعنى لغة رمزية لترتيب الأفكار.

والواقع أن هذه التحديدات والتأسيسات، تحاول أن تنفذ إلى عمق الدراسات الفلسفية والأدبية التي لا تنفك عن التراكم العام للنقاش الدائر حول أصل اللغة، والفروق الجوهرية بين اللغة العادية والصناعية من جهة، واللغة الأدبية وغيرها من جهة أخرى، هذه التحديدات هي ما

---

(١) لسان العرب (ح ل ل): ٣٠٠/٢.

سيجعلنا نفهم الخطاب الفلسفي في علاقته بالأدبي، وهذه التأسيسات هي ما يدفعنا نحو تحديد اشتغال تحليل الخطاب وفق التصورات التالية:

١-٢-١ تحليل الخطاب باعتباره دراسة للخطاب:

"أي دراسة الاستعمال الحقيقي للغة من قبل متكلمين حقيقيين في وضعيات حقيقية، ووفق هذا التصور يبدو تحليل الخطاب هو ذلك الفن الذي يدرس اللغة باعتبارها نشاط راسيا في مقام محدد ومنتجا لوحدات تتجاوز وتتعدى الجمل، وباعتباره استعمالا للغة لأهداف ومرامي اجتماعية تعبيرية وإحالية، وفي هذا الإطار يعمل تحليل النصوص بغض النظر عن نوعها على الاقتراب ومجاورة مقاربات شديدة التنوع يمكن اختزالها في: تحليل التخاطب وإثنية التواصل واللسانيات الاجتماعية التفاعلية"[١].

١-٢-٢ تحليل الخطاب باعتباره دراسة للتحادث:

يعتبر ثلة من الباحثين خاصة في البلدان الأنغلوسكسونية، أن الخطاب نشاطا تفاعليا أساسيا، بحيث يخلطون قليلا أو كثيرا تحليل الخطاب بالتحليل التحادثي، ويقابل ليفنسون في مجال التحليل التحادثي، بين اتجاهين: تحليل الخطاب القائم على تحليل النصوص التحادثية تحليلا لسانيا تراتبيا، والتحليل التحادثي بالمعنى الدقيق الذي يندرج في حركة الإثنية المنهجية، ويمثل التيار[٢] الأول كل من سنكلار وكلتار أو الأعمال الأولى لمدرسة جنيف، وقد تبنى هذا التمييز ج. مشلار وروبول.

١-٢-٣ تحليل الخطاب باعتباره وجهة نظر خصوصية إلى الخطاب:

في كثير من الأعمال المستوحاة من اللساني البريطاني هليداي، "تتمثل الغاية القصوى لتحليل الخطاب في أن نبرز ونؤول في آن واحد العلاقات التي بين انتظامية اللغة والمدلولات

---

(١) معجم تحليل الخطاب: ٤٣.

(٢) معجم تحليل الخطاب: ٤٤.

المعبر عنها من خلال الخطاب. لكن لسنا مضطرين أن نفكر تفكيرا غائيا لنرى في تحليل الخطاب فنا لا ينحصر في تحليل النص تحليلا لسانيا، ولا في تحليل اجتماعي أو نفساني للمقام"[1] وفي نظر دومينيك مانغونو ليس موضوع تحليل الخطاب التنظيم النصي في حد ذاته ولا مقام التواصل وإنما ينبغي أن يكون نظرا في آليات التلفظ التي تصل تنظيما نصيا محددا بموقع اجتماعي محدد ومن هذا المنظور فإن لتحليل الخطاب صلة خاصة بأجناس الخطاب، وباعتبار الخطاب فنا من فنون دراسة الخطاب فإنه يمكنه أن يهتم بنفس المدونات التي تتناولها اللسانيات الاجتماعية[2].

هكذا نستطيع أن نسطر نتيجة أساسية ولكنها مبدئية مفادها أن تحليل الخطاب مبحث جامع بين مجالات معرفية شتى تتناول المادة اللغوية عندما تتشكل في خطاب سواء كان مصطلحا يميل به أصحابه إلى المقول أو إلى المكتوب أو إليهما معا، فتحليل الخطاب مبحث لساني/ فلسفي مشرع على أبواب تتعلق بمختلف جوانب الإنسان، وترنو إلى أن تحيط به حتى لا يغيب عنه شيء مما يصدر عنه ويحيط به من مؤثرات ذات الصلة في إنتاج مختلف وجوه التواصل عبر اللسان.

٢. أنواع الخطاب ومقارباته النظرية والدلالي:

٢-١- أنواع الخطاب: اللساني، الأدبي، الفلسفي:

يتفق معظم المشتغلين في مجال الخطاب، أن قضية التمييز المطلق بين الخطابات أمر في غاية الصعوبة، ومجال مفتوح ومتشعب المداخل، لأن الخطابات تتماهى وتتداخل تداخلا معقدا يزيد من صعوبة رسم الحدود وتوضيح الخصوصيات، وقد تبلور الاهتمام في هذا المقام بالخطاب قديما وحديثا في مجالات متعددة كاللسانيات (الخطاب اللساني) والفلسفة (الخطاب الفلسفي) والأدب (الخطاب الأدبي)، ونال حظه من الدراسات أيضا، حيث تكوثرت جملة من النظريات اللسانية التي تروم الربط بين بنية اللسان الطبيعي من ملفوظات وعبارات ووظائفها

(١) معجم تحليل الخطاب: ٤٤.

(٢) معجم تحليل الخطاب: ٤٥.

داخل المجتمعات البشرية، وثلة من التصورات الفلسفية التي ترى أن الخطاب بالأساس عبارة عن شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية التي ينتج فيها الكلام على شكل خطاب.

أ- الخطاب اللساني:

بزغ مصطلح الخطاب في حقل الدراسات اللغوية في الغرب، وتطور ونما في ظل التفاعلات التي عرفتها هذه الممارسات، ولا سيما بعد ظهور كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" ل فرديناند دو سوسير[١] وأهم ما جاء فيه أن اللغة ظاهرة اجتماعية

ومع تطور العلوم ظهرت الحاجة للاستفادة من اللسانيات واستثمارها في العلوم التي تهتم بالخطاب والأسلوبية، فأمسى الاهتمام بمقولة الخطاب باعتبارها تعكس الإنجاز الفعلي لعملية الاتصال في مختلف مقامات الاستعمال الممكنة والمرتبطة بالعلاقات الإنسانية المتنوعة، وبالتالي أصبحت معظم التيارات اللسانية تنطلق من مقولة الخطاب بوصفها أقصى وحدة لغوية ينبغي أن يلامسها الوصف اللساني الكافي[٢].

وضمن هذا السياق، توسع الدرس اللساني من وحدة الجملة إلى وحدة الخطاب، بعدما أصبح يهتم بالمظهر التفاعلي والاجتماعي للبنيات اللغوية حيث يدل مصطلح الخطاب على كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أم ملفوظا. أما الاستعمال الاصطلاحي فيدل على أن الكلام له دلالات غير ملفوظة يدركها كل من المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة.

وعلى هذا الأساس تقوم كلمة الخطاب على مرتكز اللغة باعتبارها نظاما رمزيا يعبر به المتكلم عما يريد، والكلام باعتباره إنجازا لغويا يوجهه المتكلم إلى شخص آخر هو المخاطَب.

(١) فهم فيرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته: ٢٥.

(٢) اللسانيات البنيوية: ١٢٢.

ونظرا لتعدد مدارس واتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة(٣) فقد تعددت مفاهيم ومدلولات مصطلح الخطاب نذكر منها:

- الخطاب مرادف لمفهوم الكلام حسب دي سوسير وهو المعنى المعروف في اللسانيات البنيوية.

- الخطاب عند ستورك وهاتمان نص مشدود بوحدة كلية واضحة تتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد يبلغ رسالة ما.

- الخطاب في نظر كوزريو هو المسؤول عن ترابط الجمل واتساقها داخل النصوص.

- الخطاب حسب تودروف فعل كلامي أو منطوق يستلزم بالضرورة وجود مستمع ومتحدث في نيته التأثير على المستمع بطريقة من الطرق.

وعموما فالخطاب بحسب اللسانيين هو الطريقة التي تكون بها الجمل نظاما متتابعا في نسق دال من أشكال الأداء اللفظي التي تستخدم وتستعمل لتحقيق أغراض معينة.

ب- الخطاب الفلسفي:

يعد الخطاب الفلسفي خطاب المفاهيم بامتياز، فقد كان الفلاسفة يبدعون مفاهيم جديدة، فإذا كان الأديب أو الشاعر يجدد اللغة ويبدع معاني دقيقة على مستوى الشعور أو الإحساس، فإن الفيلسوف يبدع معاني فكرية وعقلية جديدة للتعبير عن علاقات وأوضاع وإشكاليات عن طريق مقولات ومفاهيم جديدة، آخذا بعين الاعتبار التعامل مع المفاهيم بوعي كبير، وبدرجة كبيرة من التدقيق، فكل مجال معرفي إلا وله جهازه الاصطلاحي الذي يضبط مفاهيمه، فالمسألة في هذا الإطار لا تختزل في مجرد لعب بالكلمات واستبدال لشبكة مفاهيمية بأخرى مغايرة،

(٣) اللسانيات البنيوية: ١٢٣.

بقدر ما هي توليد لمفاهيم تحيل إلى تصورات ومواقف يقوم عليها الفكر الانساني عبر سيرورته الإبداعية[١].

فالمفهوم في الفلسفة هوقطب الرحى والركن الأساس في كل بناء تنظيري وغيابه يؤدي إلى نسف البناء من أساسه، والمفهوم هو الذي يمنع الفكر دون أن يتحول إلى مجرد رأي بسيط أو وجهة نظر، فالفلسفة كانت دوما عملا دؤوبا وجهدا متواصلا ينساب نحو أعماق المفاهيم لتختبر مدى متانتها وصلابتها وتلاؤمها مع أرضها لتأصيلها كي تقول حقيقتها[٢].

وتلعب طبيعة الموضوعات دورا أساسيا في البناء الشكلي للخطاب الفلسفي، فما يميز هذا الأخير هو ذلك البناء الجدلي الحجاجي، وهذا البناء راجع في الاصل إلى طبيعة الموضوع، لأن الانتصار لرأي وفكر ما يتطلب برهنته بحجج وبراهين.

ومن أبرز خصائص الخطاب الفلسفي الدقة في التعريفات والمفاهيم، لأجل سد الباب أمام كثرة التأويلات التي قد تشوه المعنى وتسمح بالوقوع في الزلل، والاشتغال على الأفكار لأجل توليد أفكار جديدة، والنقد الهادف لفهم المستغلق عبر اختراق كثافة

المفاهيم والمقولات أو بإزاحة حدود العقل عن طريق ترتيب العلاقات بين المفاهيم[١].

ومن أبرز خصائص الخطاب الفلسفي أيضا الطابع الحواري، حيث اتخذت الفلسفة القديمة من المحاورة[٢] أسلوبا لها على نحو ما كتبه أفلاطون، فالحوار سمة من سمات الكتابة الفلسفية ذات اللون الأدبي، التي تدل على عادة التخفي في الجهر بالمعنى المضمر وراء قناع الشخصيات الأخرى.

---

(١) La philosophie théoritique: 53.

(٢) مساهمات في ديدياكتيك الفلسفة: ٢٢.

(١) أصول الخطاب الفلسفي: ٨٧.

(٢) مساهمات في ديداكتيك الفلسفة: ١٧.

ومن هذا المنطلق، فإذا كان الخطاب الفلسفي على هذا القدر من الدقة فإنه يتطلب قارئا مفكرا، قارئا واعيا يستطيع فك شفراته، وفي هذا يقول **هانز ريشنباخ** "إن الفلسفة لا تقدم تلك الحلول المغرية التي تقدمها مذاهب تتحدث لغة مجازية وتهيم بالميول الجمالية، وإنما تقدم إجابات لا يفهمها إلا ذهن مدرب على التفكير المجرد، وهي تفترض من تلامذتها دراسة كل جزء منها بدقة العالم الرياضي وانضباط المهندس "[٣].

ح- الخطاب الأدبي:

إن الشيء الرئيسي في الأدب على خلاف الفلسفة حسب إبراهيم زكرياء[٤] هو الفن، ما دمنا نصبو فيه إلى المتعة لا الحقيقة ونتوخى اللذة الفنية لا التعليم العقلي، فالأديب إنما يقدم لنا عملا فنيا نرتاح إليه ونستمتع به ونستغرق فيه، وهو إذا حاول أن يحشد في عمله الفني أدلة عقلية أو براهين فلسفية أو مذهبا مجردا فإنه قد يفسد عندئذ كل ما في عمله من ذوق أدبي، لذلك يختلف الخطاب الأدبي عن الخطاب الفلسفي في طبيعة التفكير والتعبير، فالعملية الأدبية تتميز بتوهج مدارات الخيال وتحكمها الجمالية والفنية في أساليبها، بينما الكتابة الفلسفية فتغلب عليها النظرة العقلية والمنطقية لقضاياها، ولها مميزاتها في تراكيبها وموضوعاتها ولغتها، ويرى الدكتور إبراهيم السعدي "أن الخطاب الأدبي نوعي له خصوصياته، فهو ينتمي إلى الظواهر الجمالية ويحقق فعاليته من خلال ما ينتجه من انفعالات وأحاسيس وعواطف في نفس المتلقي، باستخدام جمالي وخيالي للغة، في حين أن الخطاب الفلسفي خطاب عقلاني يبحث فيما هو فكري معرفي بطرق برهانية حجاجية"[١].

وعلى هذا الأساس يمكن الإقرار بكون كل ما هو أدبي يقترن بما هو جمالي وكل ماهو فلسفي يتصل بما هو تجريدي في حدود ما، لأنه ثمة من يربط بين الأدب والفلسفة على أساس أن كلاهما إنتاج فكري عقلي تحكمهما علاقة تأثير وتأثر، لكونهما شكلان متجاوران من أشكال

(٣) نشاة الفلسفة العلمية: ١١٣.

(٤) بين الفلسفة والأدب: ٣٥٩.

(١) بين الخطاب الادبي والخطاب الفلسفي: ٣٥٩.

الإنتاج الفكري والإبداع العقلي، يترابطان ترابط جوانب مختلفة لإنسان واحد وأنماط مختلفة في حضارة واحدة.

٢-٢- مقاربات الخطاب: البنيوية، السيميائية، التفكيكية:

حظي موضوع الخطاب باهتمام وعناية من لدن الباحثين والمفكرين من مختلف المجالات، الأمر الذي أدى إلى تعدد مقاربات تحليل بنيته بغية فهمه وإدراكه، ومن أبرز هؤلاء الباحثين، اللساني **فرديناند دي سوسير** الذي أسس ومهد من خلال آرائه وأبحاثه الطريق إلى مقاربة منهجية تعتمد مبدأ الكلية المنتظمة، وكذلك **شارلز ساندرز بيرس** الذي سلك مسلك إمكانية دراسة أي ظاهرة كيفما كانت، بغض النظر عن طبيعتها ولغتها إذا ما عدت علامة لسانية أو غير لسانية، إلى جانب **جاك دريدا** الذي نادى بالانتقال من الخطاب اللساني إلى الخطاب الكتابي، لأجل الاقتراب نحو فهم الخطاب المحدد بطبيعته السردية[٢].

ضمن هذا السياق يمكن القول أن لكل مقاربة من هذه المقاربات، مفاهيما وأسسا تختلف عن غيرها، لكنها تلتقي عند مطمح واحد، وهو تحليل الخطاب على مستوى بنيته البسيطة أو المركبة لأجل فهمه وإدراكه.

أ- **المقاربة البنيوية:**

ترجع لفظة البنيوية أوالبنية للفعل اللاتيني Strure، وهي كلمة تحمل معنى "المجموع أو الكل المؤلف من عناصر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه، ويتحقق بعلاقته بما سواه، فهي نظام أو نسق من المعقولية التي تحدد الوحدة المادية للشيء، فالبنية ليست هي صورة الشيء أو هيكله أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاء فيما بينها، وإنما هي القانون الذي يفسر الشيء بالوقوف عند الترتيب الداخلي للوحدات التي تكون النظام اللساني"[١].

---

(٢) مناهج النقد الأدبي: ٩.

(١) الأسس الإبستيمولوجية للنظرية اللسانية: ٢٥.

وقد كانت الانطلاقة الأولى للمقاربة البنيوية مع عالم اللسانيات فرديناند دي سوسير من خلال محاضراته التي جمعت من طرف تلميذيه شارل بالي وألبرت سيشهاي في كتاب معنون بدروس في اللسانيات العامة، وعلى الرغم من أن دي سوسير لم يستخدم مصطلح البنيوية أو البنية، إلا أنه أسس ومهد من خلال آرائه وأبحاثه الطريق إلى هذه المقاربة المنهجية التي تعتمد مبدأ الكلية المنتظمة، أي أن كل ظاهرة بغض النظر عن طبيعتها، بما في ذلك الخطاب تتكون بالأساس من بنية خاصة تتطلب تحليلا موضوعيا إلى جزئياتها البسيطة، فهي تهدف إلى ضبط الاختلافات بين هذه الأجزاء وتحديد العلاقات التي تجمعها من خلال عملية تحليل الخطاب إلى أجزائه البنيوية والوظيفية التي تؤديها ضمن الكل، ثم إعادة تشكيله من جديد، إلا أن هذا التحليل، ينبغي أن يتم بمعزل عن كل العوامل والمؤثرات الخارجية، فهي تلغي بذلك صاحب الخطاب وإطاره الزمني[٢].

لابد من الإلماح هنا، إلى أن أهم ما جاء به دي سوسير، هو التمييز بين ثنائية اللغة والكلام، حيث جعل من اللغة نظاما يتضمن علامات تنتجها جماعة معينة تؤدي إلى إنتاج فكرة ما، أما الكلام فهو الأداء الفردي للمخاطب، يصدر عن إرادته الذاتية للتعبير عن فكرته الشخصية.

كما قام دي سوسير بتحليل ثنائية الدال والمدلول حيث جعل من الأول تمثيلا لجزء صوتي، مثل الصوت في الخطاب المسرود أو الحرف في الخطاب المكتوب، أما المدلول فمثله بالجزء الذهني، أي الصورة التي تتكون في الذهن بعد إدراك الدال، وأشار إلى أن هناك علاقة اعتباطية تربط الجزأين، بالإضافة إلى ثنائية التعاقب والتزامن، إذ يرى أن الظاهرة اللغوية يتم دراستها في فترة زمنية معينة دون اتباع مسارها التطوري عبر الزمن، وهذا ما قصده بالتزامن، أما في حال ما تم دراسة هذه الظاهرة اللغوية عبر تتبع تطورها خلال فترات زمنية مختلفة وما يطرأ عليها من تغيرات فذلك هو التعاقب[١].

(٢) مناهج النقد الأدبي: ٦٤.

(١) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: ١٦١.

لقد انحسرت المقاربة البنيوية في بداية الأمر على مجال اللسانيات، إلى أن قام كلود ليفي ستراوس بتطبيق هذه المقاربة على باقي العلوم، مؤكدا أنها تطبق على جميع أنواع الدراسات بغض النظر عن طبيعة موضوعها أو المجال الذي تنتمي إليه، لأن طبيعة الخطاب تجعله يتضمن بنيتين إحداهما واضحة والأخرى ضمنية، تتطلب تحليلا لتوضيح العلاقات التي تجمعهما، كما ينبغي دراسة بنية هذا الخطاب في إطار نسق من العلاقات الباطنية التي تحكمها قوانين خاصة تتسم بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي بشكل يؤدي فيه كل تغير في العلاقات إلى تغير في النسق نفسه.

وقد اعتبر ستراوس أن المقاربة البنيوية ترفض ثنائية الشكل والمضمون، لأن لهما الطبيعة نفسها، ويستحقان العناية ذاتها في التحليل، فالمضمون يكتسب واقعه من البنية، وما يسمى بالشكل ليس سوى تشكيل لهذه البنية، وعلى هذا النحو فإن البنية لا تلغي الواقع بقدر ما تتيح الفرصة لإدراكه في كليته[٢].

يتضح مما سلف أن البنيوية قد اهتمت في بداياتها باللغة، وقد تجسد ذلك في البنيوية اللسانية مع دي سوسير والتي تدعو محللي الخطاب إلى أن يدرسوا علاقات وحداته وبنيته المكونة له بغية الوصول إلى نظام يجعل من هذا الخطاب موضوع الدراسة الأدبية، وهذا ما نحت نحوه البنيوية الأدبية، حيث اعتمد رولان بارث هذه المقاربة ضمن أبحاثه إذ تطرق من خلال محاضراته، إلى أن تعدد الخطابات مرده تعدد وتنوع السرد في حد ذاته، كما هو الحال في الأسطورة والقصة القصيرة والسينما وغيرها من الفنون، ما يجعل دراسة الخطابات، لا تقتصر على مجال اللسانيات فقط، وإنما أيضا هو أحد مواضيع دراسة العلوم الإنسانية، وعلى هذا المرتكز، قام رولان بارث بإخراج دراسة وتحليل الخطاب من دائرة المقاربة البنيوية لدى سوسير، التي تحلل بنى الخطابات بمعزل عن الظروف الخارجية المؤثرة في إنتاجه إلى فضاء تتم فيه المقاربة البنيوية التي تهتم بالنسق الداخلي للخطابات وبنيتها والقواعد التي أسهمت في إنتاجها.

---

(٢) الأسس الفلسفية لنقد ما بعد الحداثة: ٦٨.

ب- المقاربة السيميائية:

تعتبر المقاربة السيميائية، بمثابة منهجية تحليلية، تعمل على تناول الخطابات والأنشطة البشرية تحليلا وتأويلا، حيث تسعى لاكتشاف العلاقات بين العلامات، وهذا ما جعل حقل الأدب والفنون كالسينما، مرتعا خصبا لها، كما أنها لا تهتم بالخطاب ولا بصاحبه بقدر ما تهتم بالمضمون والكيفية التي تم بها هذا الخطاب، وبالنسبة لها فالعلامة تحيل على دلالات ومعان متعددة، وإذا كان دي سوسير قد ألمع إلى مفاهيم تنضوي ضمن المقاربة السيميائية(١) فإن الباحث الأمريكي شارلز ساندرز بيرس قد وضع أسسها ومبادئها وجعل منها مقاربة منطقية، إذ يرى بيرس(٢) أنه بالإمكان دراسة أي ظاهرة بغض النظر عن طبيعتها ولغتها إذا اعتبرت علامة لسانية، ويحددها في ثلاث على النحو التالي:

• العلامة الأيقونية: وتعني كل دليل لغوي أو غير لغوي، تهيمن فيه القوانين والخصائص التصويرية، والعلاقة بين الدال والمدلول علاقة تشابه وتماثل، مثل الخرائط والصور الفوتوغرافية.

• علامة الرمز: وهي إشارة تعود إلى الشيء الذي يدل عليه بفعل قانون يتكون عادة من تداعي عالم الأفكار، وتتحدد ترجمة الرمز بالرجوع إلى هذا الشيء، كالميزان رمز للعدالة والحمامة رمز للسلام، الخ.

• علامة الإشارة: وتدل على أي شيء يتعين بموضوع من جهة، وبفكرة معينة في الذهن من جهة أخرى، كأضواء المرور على سبيل المثال، ولابد للإشارة من مادة أو مرجع، كما لابد من مؤول لها.

وتتكون العلامة عند بيرس من:

- الماثول : ترسل لشخص معين عن شيء ما، فتجعل عقله يدرك العلامة المماثلة لها.

---

(١) فهم فيرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته: ٢٢٥.

(٢) مناهج النقد الأدبي: ٩٣.

- المؤول: يعد الوسيط الأساسي الذي من خلاله يمكن للماثول الدلالة على موضوعه.

- الموضوع: هو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع.

كما اهتم السيميائي جوليان غريماس هو الآخر بالتحليل السردي للخطابات، حيث رأى أن البحث عن الدلالة ينبغي أن يتحقق على مستوى البنية العميقة، أي القواعد التي أوجدت التتابع بين الكلمات، وهي التي تمثل في ذهن المرسل المتلقي لهذا الخطاب، وليس على مستوى البنية السطحية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي تصدر عن المرسل، ولأجل ذلك ينبغي تجاوز المعطى الدلالي الآني مع افتراض وجود معطى ممكن أن تتجلى فيه العوالم الدلالية التي تتمظهر في بنى دلالية، وعلى أساس وجود هذه العوالم يتم تنظيم البنيات الدلالية والكشف عن آلياتها، ومن أجل مقاربته السيميائية السردية للخطابات قام غريماس بوضع نموذجين بارزين هما:

- النموذج العاملي: وهو نموذج يعمل على تقليص الوظائف الموجودة في الخطاب، والتشخيص غير التزامني للأفعال، ذلك أن السرد يقوم على التراوح بين الاستقرار والحركة والثبات والتحول في آن واحد، ويتألف هذا النموذج من ثلاث ثنائيات ترتبط فيما بينها بثلاث علاقات، يمكن تمثيلها بالآتي:

ذات/ موضوع = علاقة الرغبة.

مرسل/ مرسل إليه = علاقة اتصال.

مساعد/ معارض = علاقة صراع.

- نموذج المربع السيميائي: هو نموذج يهتم بتحديد علاقات التناقض، فالأولى تتمظهر من خلال طرفي التعارض في الخطاب، والثانية تنشأ بين الطرفين المتناقضين المنفيين، أما العلاقة الثالثة فتكون بين الطرفين الاولين مثال: حياة/لا حياة (علاقة ثبات) - حياة/ موت (علاقة تضاد)- حياة/ لا موت (علاقة تناقض).

وفي نطاق تحليل الخطابات السردية، فليس حقل الآداب المستفيد الوحيد من المقاربة السيميائية، فالسينما هي الأخرى لجأت إلى السيميائية من أجل تحليل موادها، فكان لكريستان ميتز الفضل الكبير في استعمال المقاربة السيميائية السنيمائية التي اهتمت منذ بداياتها بدراسة الصورة كونها مجموعة علامات ورموز، الأمر الذي مهد الطريق لبروز التحليل السيميائي للفيلم، ومن أبرز الباحثين الذين أسهموا في تشكل مناهج ومقاربات تحليل الصورة، نجد في هذا الصدد، رولان بارث من خلال نشره لموضوع وسمه بعلم الصورة سنة ١٩٦٤ لتبرز النظرية غير اللسانية، فكان من السباقين لدراسة الصورة دراسة لسانية وسميائية، إذ ربط هذه الأخيرة بوظيفتها التصويرية والتمثيلية للواقع، لتأتي بعدها دراسات وأبحاث كريستيان ميتز المبنية على تشابه ثنائية الصورة والتماثل الأيقوني، والقائمة كذلك على تفكيك الصورة من حيث مكوناتها البنيوية، من ألوان وأشكال ورموز، وبالتالي سيكون بالمقدرة التمييز بين صورة وأخرى، إذا ما كان هناك اختلاف أو تشابه، وهكذا تتجلى لنا الدلالة من خلال المعنى وعبر الاختلاف والتضاد، وبالتالي تنفرد الصورة السينمائية بمجموعة من الوظائف، منها الوظيفة التصويرية والتمثيلية والأيقونية والتفسيرية والتأويلية والأيديولوجية ومجموعة وظائف أخرى، ولا يمكن فهم الصورة السينمائية إلا ضمن نسق معين يمكننا من تفكيكها وترتيبها في سياق بصري معين.

هكذا نتبين أن المقاربة السيميائية للخطابات لم تتقيد بوجهة نظر منغلقة بل انفتحت على مختلف الاجتهادات، وسعت إلى استغلالها سالكة بذلك مسالك متعددة، مما يسهم في إخصاب هذه المقاربة وتنويع من روافدها وتوسيع أفقها.

ج- المقاربة التفكيكية:

يدل مصطلح التفكيك على طريقة تحليلية تتيح إماطة اللثام عن منظومة الاصطلاحات الأيديولوجية والبلاغية التي تدعمها، عن طريق تفكيك عمل ما إلى العناصر التي تكونه، ومن رواد هذه المقاربة النقدية الأدبية/الفلسفية جاك دريدا الذي يعتبر من أبرز واضعي أسس المنهجية التفكيكية، حيث عمل على تخطي وتجاوز الدلالات الصوتية التي نادت بها كل من المقاربة البنيوية والمقاربة السيميائية إلى دلالات كتابية، أي الانتقال من الخطاب اللساني إلى الخطاب الكتابي لأجل الاقتراب نحو فهم الخطاب المحدد بطبيعته السردية، فكل خطاب حسبه هو آلة

تتكون من رؤوس عديدة، من أجل قراءة خطابات أخرى، وبهذا المعنى يكون دريدا قد دشن آفاقا واعدة وواسعة لدراسة معمقة للخطابات بشتى أنواعها[١].

ويمكن القول إن أبحاث دريدا في هذا المقام تدور عبر مسالك مختلفة وزوايا متباينة، حول العلامة اللغوية، فعصرنا كما كتب دريدا في الغراماتولوجيا، هو عصر تضخم العلامة، واستمرار خطاب اللاهوت والميتافزيقا في كل الأعمال الفكرية، بما في ذلك الأعمال المتأخرة التي تزعم الخروج عنها، وللكشف عن هذه الاستمرارية يموضع دريدا تدخله في أفق الكتابة، نحو استنطاق التصور الغربي للكتابة، عبر مختلف تنويعاته وتجلياته.

وضمن هذا السياق فقد ارتبط التفكيك عند دريدا بتفكيك مركزية العقل كميتافزيقا تعبر عن فكرة الحضور من ناحية ومركزية الصوت من ناحية أخرى، إذ يعتقد أن الأفضلية التي تعطى للغة المتكلمة على حساب اللغة المكتوبة هو الوجه الآخر لعملية قمع أساسية طبعت تاريخ الميتافزيقا بأكمله وبالتالي لا تحل رموز هذا التاريخ إلا كتاريخ قمع وكبت للكتابة[٢].

ويعتبر دريدا في هذا الإطار أن الوصول إلى الإدراك والفهم النهائي للخطاب غير ممكن بتمركز المعنى الذي يمنع التعدد والاختلاف في المعاني، كما تهدف المقاربة التفكيكية إلى تسليط الضوء على الاختلاف المبدئي بين التراث والواقع الذي تمارس فيه الخطابات بمختلف الحقول المعرفية، وهي تعمل على اكتشاف الأجزاء المهمشة والمخفية والمطموسة في خطاب ما، وفرز هذه الأجزاء المخفية بعد تفكيكها، لمعرفة كيف تمارس دورها ضمن البنية العامة للفكر، ومن ثم معرفة مكامن الضعف والقوة، وعلى هذا الأساس نتوصل إلى إمكانية أكبر وفعالية أكثر لنقد شروط إنتاج ثقافة معينة والوظائف التي تملؤها هذه الثقافة وتقوم بها.

ومن أهم المفاهيم النقدية التي ركزت عليها هذه المقاربة[٣] نجد:

---

(١) دريدا وتفكيك الميتافزيقا: ٨٧.

(٢) مدخل إلى فلسفة جاك دريدا: ٥٢.

(٣) دريدا وتفكيك الميتافزيقا: ٨٧.

• الاختلاف: وينجم عن هذا المفهوم النقدي تعدد التحليلات والتفسيرات انطلاقا من تعدد تفسير المعاني، وهذا يكسب الخطاب قدرة على تزويد المتلقي بكم هائل من الاحتمالات والدلالات، فتجعله بذلك يعيش في كنف الخطاب بجميع حيثياته، إلى جانب دفعه لاكتشاف المعاني الخفية فيه.

• التمركز: يرفض دريدا التمركز الذي يؤدي إلى استخدام المركزية في غير موضعها، فالمركز بالنسبة له يمثل الجزء الأساس من التركيب الخطابي والعنصر الواضح الدلالة.

• الأثر: يمثل لدى دريدا كل علامة لغوية، كما يعد كذلك قناة للارتباط بالنصوص والعلامات السابقة وللانمحاء في علامات أخرى لاحقة في نشاط معمم للغرس والبعثرة والتوليف.

من هذا المنطلق، يمكن أن ننتهي إلى أن التفكيكية عند جاك دريدا، بمثابة آلية لتفتيت النصوص وإعادة بنائها، بطريقة تسير عكس منطلقاتها، حيث قرأ تاريخ الفلسفة الميتافزيقية من خلال التركيز على فينومينولوجيا هوسرل بشكل خاص، والتي ساهمت في بلورة الآليات المعتمدة في التفكيكية، واستفاد منها دريدا في صياغة مفهوم الاختلاف وقامت عنده التفكيكية على جملة من المبادئ تتمثل أبرزها في تفادي الوقوع في فخ المقابلات الثنائية الميتافزيقية في ميتافزيقا الحضور والكتابة والاختلاف والإرجاء، والانتشار والتشتت وغير ذلك.

خاتمة:

يتضح إذن مما سبق أن الخطاب وتحليل الخطاب من المفاهيم التي أثبتت جدارتها وفرضت نفسها في مجموعة من الحقول الفكرية، فقد ازدهرا بقوة بظهور مباحث علم اللسانيات وما تلا ذلك من تطورات منهجية ونقدية، امتدت لتشمل حقولا أخرى كالأدب والفلسفة، وغيرها من العلوم والمعارف المعاصرة التي جعلت من تحليل الخطاب ركيزة أساسية لفهم وتحليل النصوص والقضايا.

ونخلص في النهاية إلى أن مفهوم الخطاب يمتح قيمته النظرية وفعاليته الإجرائية من كونه يقف راهنا في مجال الأدب والفلسفة، في نقطة تقاطع أو تلاقي بين تحليل الخطابات

والإجراءات التطبيقية والمقاربات التي تستوجبها عمليات التحليل، بل إن مفهوم تحليل الخطاب قد يعود بنا أدراجنا إلى ما هو أعم، باعتباره مفهوما إجرائيا في تفكيك وتفتيت النصوص والوقائع ومرجعياتها، وذلك عن طريق إعادة النظر وتعميق الرؤية في أنساق المعرفة التي اتخذت من الواقع واليومي سندا لها.

المصادر والمراجع

الأسس الفلسفية لنقد ما بعد الحداثة، سعد الله سالم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠٠٧م.

أصول الخطاب الفلسفي، محمد اليعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٧م.

بين الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي، خضرة حمراوي، مجلة كلية الآداب واللغات بسكرة، العدد ١٢، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٧م.

دريدا وتفكيك الميتافزيقا، شكري الولهازي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٤١/١٤٠، بيروت، ٢٠٠٧م.

في نشأة اللغة، مايكل كورباليس، ترجمة ماجد عمر، مجلة عالم المعرفة، عدد ٣٢٥، الكويت، ط١، ٢٠٠٦م.

الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ترجمة جهاد كاظم، دار النشر توبقال الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٠م

اللسانيات البنيوية، حفيظ إسماعيلي علوي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٢٥/١٢٤، بيروت، ٢٠٠٢م.

مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، سارة كوفمان، وروجي لابورت، ترجمة الخطابي وكثير، أفريقيا الشرق، ط ٢، الدار البيضاء، ١٩٨٩م.

مساهمات في ديداكتيك الفلسفة، عبد الوهاب الجامعي، منشورات صدى التضامن الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٣م.

معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو وآلان منغونو، ترجمة لمهيري وصمود، دار سيناترا، تونس، ط١، ٢٠٠٨م.

مصطلحا الخطاب والنص، فاتح زينون، مجلة كتابات معاصرة، المجلد ١٨ العدد ٧٠، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة، مجلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٢، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

مناهج النقد الأدبي، يوسف واغليسي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، (ط١)، ٢٠٠٧م.

نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريشنباخ، ترجمة فؤاد زكرياء، المؤسسة العربية للنشر، سورية، ط ٢، ١٩٧٩م.

في تحليل الخطاب الاجتماعي: قراءة في المفاهيم والمصطلحات، حسن مالك، مجلة تجسير، المجلد١، العدد١، قطر، ٢٠١٩م.

اللغة الأم وتخطيط السياسة اللغوية

د. محمد الفاروق عاجب
مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر
البريد الإلكتروني: m.adjeb@crsic.dz
معرف (أوركيد): 0000-0002-3581-1650

بحث أصيل الاستلام: ١-٩-٢٠٢٣ القبول: ١٠-١٠-٢٠٢.٣ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

تعد اللّغة وسيلة الوجود والتعبير والتواصل، ورمز للهوية الفردية والاجتماعية والثقافية، ومدونة لحفظ الحضارة وإيصال المعرفة، وقاعدة أساسية يتأسس عليها بناء المجتمع في وحدته وتنميته ونهضته وريادته، وفي موضوع البحث نتناول بالدراسة والتحليل الإجابة عن مشكلة البحث وهي: كيف يمكن للغة الأم أن تصبح أداة لها فاعليتها في تخطيط السياسة اللغوية؟ وتهدف هذه الدراسة إلى تبيان ماهية اللغة الأم، ودورها في الوحدة والنهضة والتنمية والريادة، وإبراز أهداف تعليمها، بالإضافة إلى التعريف بالمفهوم النظري والإجرائي لتخطيط السياسة اللغوية للغة الأم، وقد اعتمدنا على المنهجيين الاستقرائي والتحليلي وذلك من أجل الإلمام بجوانب الدراسة ومركباتها، والعمل على تحليلها بطريقة منسقة وممنهجة، وتوصلنا إلى أنّ مشروع الوحدة والنهضة والتنمية والريادة وصناعة مستقبل الأجيال يرتكز بالأساس على فهم اللغة الأم وفقه قوانينها، ومعرفة خصائصه، والتمكن منها، وحسن التخطيط لتوظيفها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية الفاعلة في المنظومة المؤسسية للأمة والمجتمع.

الكلمات المفتاحية:

اللّغة الأم، الحضارة، التخطيط اللغوي، السياسة اللّغوية، التهيئة اللسانية.

للاستشهاد/ **Atif İçin / For Citation:** محمد الفاروق، عاجب (٢٠٢٣). اللّغة الأم وتخطيط السياسة اللّغوية. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٤٤٥- ٤٦٥ https://www.daadjournal.com/

Mother Tongue and Language Policy Planning

Dr. Mohammed El-Farouk ADJEB
Center for Research in Islamic Sciences and Civilization, Laghouat, Algeria
Research Professor "A"
Email: m.adjeb@crsic.dz
Orcid ID: 0000-0002-3581-1650

Research Article Received: 01.09.2023 Accepted: 10.10.2023 Published: 31.10.2023

Abstract:

Language is regarded as a medium of existence, expression, and communication. It symbolizes individual, social, and cultural identity, serving as a code to preserve civilization and convey knowledge. It forms the fundamental basis upon which society is built, fostering unity, development, rebirth, and leadership. Can it effectively contribute to the formulation of language policy? This study aims to elucidate the essence of the mother tongue and its pivotal role in unification, rejuvenation, development, and leadership. It also seeks to underscore the objectives of its education while defining the theoretical and procedural aspects of mother tongue language policy planning. In a coordinated and systematic manner, our conclusion rests on the premise that the project of unity, rejuvenation, development, leadership, and the construction of future generations fundamentally relies on a comprehensive understanding of the mother tongue. This encompasses an understanding of its laws, an awareness of its characteristics, proficiency in its use, and careful planning for its application in the active social and economic spheres of the nation's institutional framework and society.

Keywords:

mother tongue, civilization, language planning, language policy, language preparation.

تقديم:

مع نهاية الحرب العالمية الثانية نشأ مفهوم اللغة الأم حيث بدأت الدول المستعمرة تنال استقلالها في الوقت الذي تنادي الأقليات الأوروبية بتعلّم لغاتها الأم، وحصل الحديث عند ذلك عن الهوية والوحدة الوطنية والشخصية والتنمية الشاملة ونظام الحكم، وقد شعرت الدول الحديثة الاستقلال بتعزيز اللغة الأم بعد أن تضاءل دورها أو كاد يتلاشى أيام حكم الاستعمار، وذلك من خلال اِعتمادها لغة رسمية للوطن ولغة تعلم وتعليم، وحدث في بعضها صراعات حول ترسيم اللغة الأم في منظومة التربية والتعليم وما خرجت من ذلك الصراع إلا بعد تبني لغة أجنبية أو الإبقاء على لغة المستعمر، وعدتها رسمية، فكانت بعد مدة زمانية لغة الأم لأجيال لاحقة، ومع ذلك فإنه لم يكتب النجاح التام لكل الأمم التي تبنت اللغة الأجنبية، بل أصبح لها ذلك انتحارا فلم تحصد من وراء ذلك إلا الحروب الأهلية.

إشكالية البحث:

إنّ اِزدياد التفكير والسعي في الحفاظ على اللغة الأم مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ولّد دول المستقلة الحديث عن الهوية والوحدة الوطنية والتنمية الشاملة؛ ممّا أدى إلى نشوب معارك حضارية تدور على واجهات متعددة من أجل السيطرة على مراكز النفوذ اللُّغوي. ومن هنا تتجلى لنا إشكالية البحث التالية هي: كيف يمكن للغة الأم أن تصبح أداة لها فاعليتها في تخطيط السياسة اللغوية؟

أسئلة البحث:

ما مفهوم اللغة الأم؟ وهل هناك تجارب ناجحة في تعزيز وتطوير وترقية اللغة الأم؟ وما المفهوم النظري والإجرائي لتخطيط السياسة اللغوية للغة الأم؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في استنهاض الهمم، وحث الأفراد والمؤسسات على فهم ماهية اللغة الأم وفقه قوانينها، ومعرفة خصائصها، والتمكن منها، وحسن التخطيط لتوظيفها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية الفاعلة في الأمة والمجتمع، لما لها من دور محوري في وحدة للأمة والمجتمع ونهضته وتنميته وريادته.

أهداف البحث:

- يهدف البحث إلى: تبيان ماهية اللغة الأم.
- إبراز دور اللغة الأم في الوحدة والنهضة والتنمية والريادة.
- التعريف بالمفهوم النظري والإجرائي لتخطيط السياسة اللغوية للغة الأم.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات علمية عديدة تناولت قضايا اللغة الأم وتخطيط السياسة اللغوية، لكن لم أقف –حسب اطلاعي- على دراسة متخصصة تمكننا من فهم ماهية اللغة الأم وتخطيط السياسة اللغوية في إطار المنظومة المؤسسية للأمة والمجتمع، خصوصا أنه لم يحصل اتفاق نهائي حول مصطلح اللغة الأم وكل تعريف كان مصاحبا وجهة نظر إيديولوجية، ولذلك تشعب ونال أبحاثا كبيرة؛ خاصة عند الباحثين الغربيين، حيث أجروا دراسات مهمة بغية تحديدها بعدما أخذت تسميات: اللغة الأم، لغة المنشأ، اللغة الوطنية، اللغة الرسمية، اللغة القومية، اللغة الجهوية.

منهج البحث:

اعتمدنا في موضوع البحث والدراسة على المنهجيين الاستقرائي والتحليلي، وذلك من أجل الإلمام بجوانب الدراسة ومركباتها، والعمل على تحليلها بطريقة منسقة وممنهجة.

١- اللغة الأم:

١-١- مفهوم مصطلح اللغة الأم:

تقول الأستاذة (Louise Dabéne) هي تلك اللغة التي يتلقاها في المحيط المدرسي مهما تكن الوضعية الشرعية لتلك اللغة، والتي يعيش فيها المتعلم"[١]، فنرى الباحثة تؤكد شرطا أساسيا وهو أن تتلقى اللغة في الوسط المدرسي، ولا يكفي أن تكون شفاهية "تكون اللغة الأم تارة لهجة عربية وتارة عربية، وتارة لهجة بربرية، وهي في الحالتين معا لغة شفاهية، وقد كان الانتقال إلى الكتابة يتم باللغة الكلاسيكية"[٢]. وما يقصد هنا باللغة الكلاسيكية هي اللغة الرسمية التي تعبر عبرها كل الأداءات اللغوية الأخرى.

إنّ اللغة الأم متعددة العناصر ومتشعبة الفروع، ولكنها تعني تلك اللغة التي تستعمل بشكل طبيعي من قبل جماعة لغوية، ويمكن أن تهذب في المدرسة، وهي لغة البلد والانتماء والهوية التي تمكننا من التحصين والمنعة من الاندماج والتلاشي في الثقافة الأجنبية، تحمل الجوهر اللغوي، والمفاهيم الإيديولوجية، باعتبارها اللغة الأصل قبل أن يختلط بها غيرها، وليست تلك اللغة التي يتعلمها المهاجر بعدما اكتسب لغته الأولى، وقد تكون في البلد أكثر من لغة أم، اللغة الأم هي المصدر، مثل الكتاب الأول الذي خططه صاحبه، وقد تكون ظاهرة أو مخفية، والمخفية يجب أن يظهر أثرها في التدريس، ويمكن تبسيط مستويات اللغة الأم التي تتحدد في اتجاهين هما:

الاتجاه الأول: اللغة العامة التي يتعلمها الفرد في البيت بهدف التواصل العادي وهي مكتسبة.

(1) Repères sociolinguistiques pour l'enseignement des langues, p45.

(٢) اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب الكبير: ٧٨.

الاتجاه الثاني: اللغة العلمية والتكنولوجية ويتم تعلمها بشكل اختياري ووفق قرارات فردية وحكومية، وتعد زيادة في رأس المال البشري للفرد والمجتمع[1].

وهكذا نجد تعريفات اللغة الأم متعددة وأحيانا متضاربة، ولكل تعريف نظرة خصوصية ونلاحظ أنّ كل التعريفات تؤكد الآتي:

-أن تكون لغة طبيعية ناطقة.
- أن تتداول في الوسط العائلي أو المحيط أو المدرسة.
- أن ينص دستور البلد على ترسيمها أو وطننتها.
- أن يكون لها نظام خطي.
- أن تدرس في المدرسة.

١-٢-دور اللغة الأم في الوحدة والنهضة والتنمية والريادة:

عززت كلّ الشعوب مكانة لغتها الرسمية، وأنزلتها الدرجة العليا بين اللغات الوطنية واللغات الأجنبية؛ فنجد الفيتنام وفنلندة وهنغاريا ومالطا واليونان... عززت لغاتها الوطنية، وجعلت التعليم بها في جميع مراحله[2]، وفي كوريا الآن يجري التعليم بالكورية، وفيها تضخ أكثر من (١٠٠) قناة باللغة الكورية الفصيحة، ويجمعها قانون المحافظة على اللغة الكورية والعمل على ترقيتها، وكوريا الآن حققت رتبة السابعة والعشرين (٢٧) في سلم التنمية البشرية، بالمقارنة مع (١٢٧) التي لم تبلغها كل الدول العربية، ولم يكن مبلغها ذلك باللغة الأجنبية بتاتا، وباكستان التي تستعمل اللغة الأوردية، وهي دولة صناعية نووية يحسب لها ألف حساب في النادي النووي، فهي متقدمة بلغتها لا باللغة الإنجليزية؛ لغة المستعمر القديم، وعند الألمان أنّ أفظع جريمة هو أن يتخلى الألماني عن لغته، ومعامل اللغة الألمانية أعلى من معامل كل المواد،

(١) أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي: ١٩.
(٢) ينظر: يزع بالحاكم مالا يزع بالعالم: ٢٤-٢٧.

والمتعلم الطالب الذي لم ينجح في مادة اللغة الألمانية يعيد السنة، كما لا تمنح الشهادة العلمية لضعيف في اللغة الألمانية، ولقد فعل الإندونيسيون فعلا ناجحا عندما استبعدوا لغة المستعمر (الهولندية) من التداول، وعادوا إلى لغة تجمعهم وهي (البهاسا) لغة أهل البلد، ونجحوا أيما نجاح في التنمية البشرية وبلغتهم الرسمية، وهي الآن من نمور آسيا العملاقة، وفي فرنسا؛ فإنّ الفرنسيين يعتبرون لغتهم الإسمنت الذي يجمعهم ويوحّد شتاتهم؛ ووضعوا للفرنسية الجامعة فقط -دون غيرها من اللهجات المحلية ولا من اللغات العالمية- قوانين صارمة جدا لدرجة أنهم فرضوا العقوبات على كل من تسوّل له نفسه المساس بها، بل هناك عقوبة تؤدي إلى السجن، وهذا نتيجة شغفهم الكبير بحب الفرنسية، وفي إسبانيا نجد اللغة القشتالية هي اللغة الرسمية التي يستعملها جميع أبناء الشعب الاسباني دون غيرها من اللغات الأخرى، وفي اليابان هذا البلد الذي يئن بكل جروحه، إلاّ نها لم تقبل المساس بما له علاقة باللغة فقبلت كل شروط الاستسلام من مثل "... تغيير الدستور، وحل الجيش ونزع السلاح... إلخ ما عدا شرط واحد لم تقبل به وهو التخلي عن لغتها القومية في التعليم، فكانت اللغة اليابانية منطلق نهضتها العلمية والصناعية"[(١)].

وفي تركيا نجد الأتراك يعتزون بلغتهم أيما اعتزاز، ولا يهتمون باللغات الأجنبية، فمن الصعوبة أن تجد مترجماً يتقن اللغات حتى في الأماكن السياحية التي يفترض وجودهم فيها بالقوة، ويتركون السائح يتعلم لغتهم، وهذا ما يتجسد في جاليتهم التي تقرب إلى ثلاثة (٣) ملايين تركي، فهم لا يتقنون الألمانية بقوة، ويدرسون لغتهم في المهجر، بل يدفعون أموالا كبيرة إلى مدرسي اللغة التركية، وهمّهم في كل ذلك مسألة سيادة اللغة التركية بين أولادهم وهم في المهجر، وهي وسيلتهم للاندماج في المجتمع التركي في لاحق من حياتهم، بل هي بلدهم (تركيا) وبيتهم في المهجر، وهم بذلك يجسدون مقولة فوسلر (Vossler) القائلة:"من حرم وطنه على الأرض فله في لغته القومية وطن روحي يؤويه"، و"إن كبار العلماء الغربيين والذين يتقنون اللغات الأجنبية لا

(١) اللغة العربية وتحديات العصر: ١٦٩-١٧٠.

يكتبون بها بل يكتبون بلغاتهم الأم؛ حيث يضيفون العلوم إلى لغاتهم عن طريق الترجمة من تلك اللغات التي يتقنونها، فهم لا يريدون الانتقال إلى تلك اللغات، بل ينقلون العلم إلى لغاتهم وهذه سنتهم منذ أن فهموا دور اللغة القومية في التنمية البشرية"[١].

وفي سويسرا هذا البلد الذي ينص دستورها على وجود أربع لغات وطنية هي: الإيطالية، الفرنسية، الألمانية الرومانشية (Romanche) بينما اللغات الرسمية الثلاث هي: الإيطالية، الفرنسية والألمانية، أما الرومانشية فباعتبارها لغة وطنية، وذلك منذ عام ١٩٣٨، فإن لها قانونية حق التواجد في الجهة التي يتحدث فيها بها، وهي بذلك تحظى بالدعم المالي الجهوي، لكنها غير معترف بها كلغة رسمية، وبالتالي لا مكان لها في الهيئات الكونفدرالية؛ لذلك فهي في تراجع مستمر أمام زحف اللغة الألمانية، ومهما يكن من أمر يبقى الشكل الأمثل هو أن تكون اللغة الوطنية هي ذاتها الرسمية، لأنها بذلك تكون الوسيلة الأولى للتفكير والتعبير والمخاطبة، في كل مناحي الحياة، كما أنها تعمل على دعم الوحدة الوطنية وتوحيد التواصل والتفكير بين أبناء الشعب الواحد ومثال سويسرا أكبر دليل على أن تعدد اللغات يؤدي إلى الضعف، فهي كما سلف ذكره، ثلاثية اللغة، بها امتزاج أجناس، كل واحد متعصب في الحفاظ على قوميته ولغته، لذلك لم تستطع سويسرا على صغرها أن تكون لها شخصية مستقلة في ثقافتها بل حتى في كيانها السياسي والاقتصادي، لذلك فهي تعيش على امتزاج ثقافي بين اللغات الثلاث، وعلى تنوع في الانتماء بين الدول الأربعة المجاورة (فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، النمسا) على اقتصاد مصطنع باستثمار أموال الآخرين وعلى حياد سلبي في السياسة[٢].

وأما طائفة البلدان التي قوتها الوحدة اللغوية فنجد الولايات المتحدة الأمريكية، فالأعراق فيها كثيرة جدا، وهذا معناه كثرة اللغات، ولكن لم يكن ذلك مدعاة للصراع والتمزق، بل ترك الجميع هذه الأفكار جانبا، وتبنوا اللغة الإنجليزية، ثم انصرفوا إلى تطوير بلدهم، فأسّسوا هذه القوة الاقتصادية والعسكرية التي يحسب لها العالم بأسره

(١) ينظر: يزع بالحاكم مالا يزع بالعالم: ٢٧.

(٢) من اللغة إلى الفكر: ٢٣.

ألف حساب، وهذا الأمر أدركته بعض العقول المفكرة - في أوروبا، وفي هذا يقول كلود هجاج (Claude Hagege) "الكثير من العقول المفكرة في أوروبا ينتابها الحنين إلى لغة مشتركة، تكون أوروبية قادرة على إرضاء الجميع رغم الحواجز التي ترفعها اللغة" بمعنى أنّ استعمال اللغة يتجاوز الحدود الوطنية لأنها ستكون لغة مشتركة لكل الأوروبيين[1]، والأمل الذي يعيش عليه هؤلاء هو أن يروا أوربا واقفة كتلة واحدة في وجه أمريكا، والخطوة الأولى لتحقيق هذا الغرض هو توحيد اللغة.

١-٣-تعليم اللّغة الأم:

تؤكد الأبحاث العلمية بأنّ المتعلم أكثر استيعابا بلغته من أي لغة أخرى، وأنّ الفهم كل الفهم يستحسن أن يتم بلغته، لا بلغة أجنبية، كما أنّ اِمتلاك لغة أساسية يعني اِمتلاك رأس المال الذي من ورائه المنطلق، ولكن يمكن أن يتم كذلك بلغات أخرى إذا تم تعلمها بصورة متقنة، ومع ذلك فإن تعلم اللغة الأم كاف لبلوغ أهداف النفاذ إلى المعلومات بلغة أخرى، باعتبار اللغات يحكمها منطق واحد، وهناك رأي عند اللسانيين التطبيقيين يقول بأن تعلم لغة ثانية لا يختلف جذريا عن تعلم لغة أولى، لأنه يكون قد استضمر نسقا أوليا، وبه يمكن تعلم اللغة الثانية، ولكي يفلح بصورة جيدة لابد من التأكيد على الانغماس اللغوي في البيت أو الروض أو المدرسة، فالوسط أساسه الشركاء في الاتصال، ولذا يؤكد علماء النفس ضرورة تعليم اللغة الأم أولا وإدراك بنيتها النسقية التي يحسن استثمارها للتحكم في المنطق اللغوي، ثم يأتي تعلم اللغات الأجنبية، وهكذا تعمل كل الأمم على تعلم اللغة الأم سواء كانت رسمية أم غير رسمية لأنها تحمل سجلا محفوظا في الذاكرة، وهذا السجل يحتوي الألفاظ المتفق عليها في المحيط والعبارات المتداولة والتراكيب المقننة التي يتحكم فيها كل فرد من أفراد الجماعة الناطقة بذات اللغة "هذا السجل المحفوظ تراث مكتسب بعد الولادة مأخوذ بواسطة الشخص الحاضن للطفل والملازم له طيلة الأعوام الثلاثة الأولى من عمره،

---

(١) ينظر: يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم: ٢٧.

سواء كان الحاضن أما أو شخصا آخر من نفس الجماعة التي ولد فيها الطفل أو من أية جماعة بشرية أخرى"(1)، وهكذا ما كان يجب أن يضيع هذا المخزون، بل تعمل المدرسة على شحذه بآليات التعليم التي بواسطتها يكتسب المتعلم ملفوظات جديدة، كما يعمل على تحديد العلاقة بين تطور الفكر والتطور اللغوي، فالمدرسة تعطي أكبر الحظوظ الذهنية والمادية والاتصالية لإنجاح اكتساب اللغة الأم، باعتماد العوامل التي تساعد على نشرها، وهي:

- العوامل الدينية.
- العوامل الحضارية.
- العوامل الإلزامية.
- كثرة المتحدثين بها(2).

إن تعلم اللغة الأم لازمة وضرورة اجتماعية، وهي عنصر من عناصره، وأداة فعالة من أدوات تطوره ورقيه، فتحصل عن طريقها دينامية التحصيل اللغوي والتي حددها الأستاذ عباس الصوري فيما يلي:

- مبدأ التوسع.
- مبدأ التقليص.
- مبدأ التداخل.
- مبدأ التهجين(3).

ومن هنا فإنه لا يمكن أن نعد بأنّ اللغة الوطنية لا تتطور، ولا يجني المتعلم منها فائدة، علما أن الاكتساب اللغوي يرتبط بالتطور الذهني للطفل، والذهن يتطور باللغة

---

(1) في التربية اللغوية وأنماط التواصل: ٦.

(2) السن المناسب لتعليم اللغات الأجنبية، مج ٢، ع ٣: ٢٠٩.

(3) في بيداغوجية اللغة العربية: ١٨-١٩.

الأم أكثر من غيرها من اللغات، وهي التي تزوده بالمفاتيح الأولى التي تمكنه الاستجابة لكل المتغيرات ولكل جديد، وهكذا يقع على اللغة الأم أساس تحصيل العلم إلى جانب تحصين الهوية والانتماء.

تتم عملية تعلم اللغة من الوسط وبطريقة آلية؛ حيث يأخذ المتعلم الألفاظ والبنى اللغوية البسيطة بعفوية قبل أن يضبط المفاهيم أو التصورات الدقيقة، مما جعل البعض يعيد النظر في مصطلح اللغة الأم بمعنى اللغة التي يسمعها عن أمه، ويطلق عليها معجم علوم التربية ومصطلحات الديداكتيك اسم: لغة المنشأ - لغة الأمومة، ويحددها كما يلي: "النظام اللغوي الذي يكتسبه الطفل في مجموعته اللغوية ويستبطن قواعده ويوظفه لإنتاج جمل بفضل قدراته اللغوية، فالطفل من خلال تفاعله مع جماعته اللغوية، يبني نظاما مجردا (نحو) يمكنه من معالجة الملفوظات وإنتاجها... ويفيد هذا المعطى على مستوى ديداكتيكي، إنّ تعليم اللغة الأم يستند إلى قدرات المتعلم المكتسبة لكي يجعله يكتشف معطيات جديدة مما يعني أن بناء ديداكتيك اللغة الأم قائم على معطيات لسانية وسيكولوجية... ومرتكز على المقومات التالية:

-ربط استعمال الأشكال اللغوية بالنوايا التواصلية بدل الاقتصار على جمل مجزأة تردد آليا.

- ملاحظة الكيفية التي يتواصل بها الطفل مع محيطها"(١).

وهكذا فإن الطفل عصامي في اكتسابه الأول للغة؛ لأنّ له من الطاقة ودقة الملاحظة وحب المحاكاة ما يغنيه عن التلقين بواسطة أمه أو معلم مباشر، فيتفق علماء النفس على أن الطفل ما إن يدخل عامه الثالث إلا ويكون قد اطلع على خصائص اللغة الأولى وبنياتها الأساسية ومخارج حروفها دون تلقين خارجي وبذلك المخزون يتواصل لقضاء حاجاته الآنية البسيطة، ثم ينحو ذلك الرصيد من بيئته الكبرى، وهو ما يوظف في البيت والشارع والمدرسة.

---

(١) معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ع ٩/١٠.

٢-تخطيط السياسة اللغوية:

٢-١- التخطيط اللغوي:

إنّ أقل الناس اِهتماما بالدراسات اللسانية الاجتماعية يدرك لا محالة أنّ التخطيط اللغوي (Planification linguistique) أو السياسة اللغوية (Politique linguistique) أو التهيئة اللغوية (Aménagement linguistique) هي في كل الأحوال أنشطة مؤسسية موجهة وممنهجة من أجل إعادة تنظيم عناصر النسق اللساني في المجتمع اللغوي المعين، وفي فترة زمنية محددة لتحقيق أهداف شاملة مهيأة سلفا وفق خطة ذات معالم واضحة[١].

وظهر مصطلح التخطيط اللساني (اللغوي) (Planification linguistique) أول ما ظهر على يد (Einer Haugen)[٢] عام ١٩٥٩ في مقال له حول التقييس اللغوي في النرويج[٣] (التخطيط للغة قياسية في النرويج الحديث)، أصل المصطلح (التخطيط اللغوي) في اللغة الإنجليزية:(Language planning) ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية بمكافئ:(Planification Linguistique) كان يقصد به آنذاك: طريقة التدخل في تنظيم البنية اللسانية (Structure linguistique) وتقييسها (Standardisation).

وتوسع المفهوم في نهاية الستينيات وأخذ منحى آخر ليشمل كل تدخل ممنهج يسمح بإيجاد حلول ناجعة للمشاكل الناتجة عن الوضع السوسيو لساني (Socio-linguistique) لمجتمع لغوي معين، تحدد هذا المفهوم الجديد الموسع على يد كل

---

(1) Planification et politique linguistique dans certains pays sélectionnés d'Afrique de l'ouest, p4.

وينظر: ترقية اللغة العربية بين التخطيط الإستراتيجي والاستثمار المؤسسي: ٥.

(٢) Einer Haugen ١٩٠٦-١٩٩٤ باحث لساني اجتماعي من أصول ترويجية، أستاذ في جامعة Harvard الأمريكية، مهتم بالوضع السوسيو لساني النرويجي، ينسب إليه وضع مصطلح التخطيط اللغوي ابتداء من عام ١٩٥٩ في دراسة له موسومة بـ:

(3) La planification d'une langue standard en Norvège modern /Planning for a Standard Language in Modern Norway, 1/3, 8-21.

من: (Junudd, Fishman, Rebin, Das Gupta) وهي المجموعة نفسها من الباحثين التي استخدمت مصطلح: السياسة اللغوية (Politique linguistique).

وظل المصطلحان، التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية، سائدين وشائعين بين أهل الاختصاص، لكن في السبعينات ظهر مصطلح آخر في كندا في إقليم الكيبك (Quebec) هو مصطلح: التهيئة اللسانية (Amenagement linguistique)، كان الانصراف إلى هذا المصطلح الجديد بإيحاء من(Jean Claude Corbeil)[١] أثناء مشاركته في صياغة ميثاق اللغة الفرنسية في إقليم الكيبك سنة ١٩٧٧[٢] وترتبط هذه المصطلحات كلها بالتنمية الشاملة بكل مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع المتعدد الثقافات واللغات على وجه الخصوص، من أجل إيجاد الوسائط الفاعلة لنقل المعرفة وتحويل المعلومات، والحرص الشديد على تحديث هذه الوسائط باستمرار، وتحيينها، وتفعيلها لتعزيز النظام التواصلي بين أفراد المجتمع[٣].

٢-٢- السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي:

إنّ السياسات اللغوية أضحت مرتكزا أساسا في الأنظمة الدولية، فكل دول العالم تتبنى سياسات لغوية حسب الخصوصيات المحلية للوضع السوسيو لساني للمجتمعات، قد تكون هذه السياسات معلنة أو غير معلنة، كما نجد ذلك في أمريكا، فهي لا تعلن عن سياستها اللغوية القائمة أساسا على تفضيل لغة الأغلبية فهي لغة الدولة المحلية الرسمية التي تستخدم في المؤسسات الرسمية والإدارات العمومية.

وهناك عاملان للسياسة اللغوية إزاء الوضع الاجتماعي المتعدد اللغات والثقافات:

---

(١) Jean Claude Corbeil ولد سنة ١٩٣٢ في (Montréal) في كندا، أستاذ وباحث لساني في منطقة Quebec الكيبك (كندا).

(2) Voir: L'aménagement linguistique au Québec: enjeux et devenir, p27.

(3) Voir: Terminologie et aménagement des langues Langages, p2.

العامل الأول: عامل المكان: تقوم السياسة اللغوية على علاقة اللغة بالمكان وتوزيعها حسب الأقاليم التي تكوّن جغرافية الدولة، فلكل إقليم لغته وثقافته، وتعتمد السياسة اللغوية في هذه الحالة على نتائج دراسات علم الاجتماع اللساني (Sociolinguistique) واللسانيات الجغرافية، نجد هذه السياسة اللغوية معتمدة في سويسرا وكندا وبلجيكا.

العامل الثاني: عامل الحرية الفردية: تعتمد السياسة اللغوية على مبدأ الحريات الفردية، حيث تقر الدولة بتعدد اللغات الرسمية التي تستخدم بالتساوي في مؤسسات الدولة، وللمواطن الحق في استخدام اللغة التي تناسبه، فالاستعمال اللغوي في هذه الحالة هو اختيار حر من عدة أنساق لغوية متاحة يلجأ إليه المتكلم[1].

ويتبدى التخطيط اللغوي في مظاهر وإجراءات متعددة منها:

- التنقية اللغوية: تصفية النظام اللغوي من العناصر اللغوية الدخيلة، ونجد هذا الإجراء في التجربة التركية عندما أقدم مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١-١٩٣٨)، عام (١٩٢٧) في إطار سياسة التتريك[2] على تغيير نظام الكتابة في اللغة التركية، والانتقال من الكتابة العربية إلى الكتابة اللاتينية، وتصفية الرصيد المعجمي التركي من المداخل اللغوية العربية والفارسية، فالتخطيط ههنا إجراء لساني بقرار سياسي.

- ترقية اللغة أو الإصلاح اللغوي: ومن أمثلة هذا الإجراء ترقية لغة بذاتها من بين مئات اللهجات أو اللغات المستعملة في مجتمع معين، كما حدث ذلك في تنزانيا بترقية اللغة السواحلية لتصبح لغة وطنية، والحالة نفسها تلاحظ في ترقية اللغة الماليزية لتحل

(1) Voir: L'aménagement linguistique au Québec: enjeux et devenir, p28.

(٢) تغييرات أتاتورك في المجتمع التركى (Atatürk Devrimleri) كانت سلسلة من عدة تغييرات في المجالات السياسية، القانونية الثقافية، الاجتماعية والاقتصادية شهدها المجتمع التركي خلال فترة حكم مصطفى كمال أتاتورك ما بين ١٩٢٣ وحتى وفاته عام ١٩٣٨م، في ١ نوفمبر ١٩٢٨ قدمت الأبجدية التركية الجديدة من قبل لجنة اللغة بمبادرة من أتاتورك، لتحل محل المستخدمة سابقا (الكتابة العربية والفارسية)، وكان اعتماد الأبجدية اللاتينية وتنقية الكلمات المستعارة الأجنبية جزءا من برنامج التحديث الذي قام به مصطفى كمال.

محل لغة المستعمر في أرخبيل أندونيسيا، وهي اللغة التي تم اختيارها من بين (200) لهجة مستعملة في جزر أندونيسيا.

- إحياء اللغات الميتة: أحسن مثال على هذا الإجراء هو إحياء اللغة العبرية التي كانت لغة مهجورة في إطار مشروع حضاري، لساني بقرار سياسي معزز بتخطيط مؤسسي تقوده الأكاديمية العبرية، يهدف إلى تقييس اللغة العبرية وتحديثها.

- إحلال اللغات الوطنية محل اللغات الأجنبية في التعليم: وهو الإجراء الغالب خاصة لدى الدول التي تحررت من الهيمنة الأجنبية، منها تجربة الجزائر في التعريب.

- تحديث المفردات: اعتُمد هذا الإجراء في سويسرا في إطار تنمية اللغة بإشراف مؤسسة أكاديمية في (مركز المصطلحات التقنية)، يهدف هذا الإجراء إلى تكوين رصيد أو ذخيرة لغوية وتحديثها باستمرار ونشرها وتعميم استعمالها.

- الدفاع عن منزلة لغة ما: ويتم هذا الإجراء في إطار المنافسة بين اللغات، إن لم نقل الصراع، وهو الوضع الحالي الذي تعيشه اللغات العالمية السائدة بفعل القوة الاقتصادية كالإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية أو بعدد الناطقين بها كالإسبانية والبرتغالية والصينية والعربية[1].

٢-٣- السياسة اللغوية والتهيئة اللسانية:

السياسة اللغوية (Politique linguistique) أو التهيئة اللغوية (Aménagement linguistique) هي كل سياسة تعتمدها الدولة الوطنية، أو أي منظمة إقليمية، أو دولية بشأن لغة معينة، أو مجموعة من اللغات المستعملة الخاضعة لسياستها من أجل تغيير وضع لغوي نحو الأفضل، أو من أجل تحقيق أهداف سياسية معينة، تقوم السياسة اللغوية على الإجراءات الآتية:

-القيام بدراسات تشخيصية ماسحة للوضع اللغوي في المجتمع المعين.

- وضع تصورات ومبادئ التهيئة اللغوية بناء على معطيات الدراسة التشخيصية.

(١) ينظر: ترقية اللغة العربية بين التخطيط الإستراتيجي والاستثمار المؤسسي: ٨.

- اتخاذ القرار (المؤسسات التشريعية والتنفيذية للدولة، أو المنظمة الإقليمية أو الدولية).
- تنفيذ خطة التهيئة اللغوية باعتماد الوسائل المتاحة والمعدة سلفا.
- التقويم المستمر للإنجازات المحققة[١].

السياسة اللغوية حينئذ هي مجموعة من القرارات تتخذ على مستوى سلطة محلية، أو منظمة إقليمية أو دولية، بناء على وضع لغوي معين من أجل الحفاظ عليه، أو تغييره ليتماشى مع المشروع النهضوي للمجتمع.

ونشير هنا إلى أنّ مصطلح السياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي قد يتداخلان أحيانا لدى بعض الباحثين في ميدان الدراسات الاجتماعية اللسانية، إلى درجة توهّم بأنهما مترادفان، ولذلك انبرى بعضهم يبحث عن الفرق بين المصطلحين ويؤسس للحد بينهما، يقول لويس كالفي[٢] في هذا السياق: " نحن نعتبر السياسة هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن"[٣].

أما التخطيط فهو الجانب العملي التنفيذي للسياسة اللغوية، وقد أومأ إلى ذلك لويس كالفي:" التخطيط اللغوي هو البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية، وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ[٤] بحكم أنّ التخطيط في دلالته الاصطلاحية العامة هو ركن من أركان المؤسسة وصناعة الأفكار فيها، فهو يحدد الأهداف، ويضع السياسات، وطرق العمل، وإجراءات التنفيذ، والتنبؤ الجيد لتقليل الأخطاء، وتحديد

(1) Voir: Aménagement/ Politique linguistique, p8.

(٢) لويس جون كالفي (Louis Jean Calvet) من مواليد ١٩٤٢ بمدينة بنزرت (تونس)، مهتم بالدراسات الاجتماعية. اللسانية، من أهم مؤلفاته: حرب اللغات والسياسات اللغوية:
La guerre des langues etles politiques linguistiques (2005).

(٣) حرب اللغات والسياسات اللغوية: ٢٢١.

(٤) حرب اللغات والسياسات اللغوية: ٢٢١.

الزمن والميزانية"[١] فإذا هو إجراء مؤسسي ناتج عن وجود مشكلة لسانية مرتبطة بالوضع السوسيولساني أو الثقافي في المجتمع المعين.

وتأسيسا على هذا التصور فإنّ أيّ سياسة لغوية لا يمكن لها أن تحقق أهدافها إلا عن طريق التخطيط الاستراتيجي، والمقصود به توفير الوسائل الكفيلة بتطبيق هذه السياسة أو تلك وتنفيذها، لذلك يمثل التخطيط اللغوي إجابة منظمة ومنهجية تستند في آن واحد إلى تصور سياسي وإلى إطار نظري علمي[٢].

وفي كل الأحوال فإنّ السياسة اللغوية بوصفها تصورا شموليا لوضع لغوي معين والتخطيط اللغوي بوصفه إجراء تنفيذيا للتصور السياسي في الواقع اللغوي الفعلي، يعكسان في أصفى صورة لهما تدخل الإنسان في توجيه الأنظمة اللغوية وإدارتها، وفق خطة مؤسسة ذات معالم واضحة، وهذا التدخل كان مألوفا منذ القدم، ونشير هنا إلى العمل الذي قام به شارل كوينت (Charles Quint١٥٠٠-١٥٥٨) الذي قرر في سنة ١٥٥٠ أن يجعل اللغة الإسبانية تحل محل لغة الهنود الأمريكيين بتصور سلسلة من المراحل المتميزة لهذا النوع من التدخل[٣].

المراحل كما تصورها مشروع شارل كوينت:

- مرحلة التفكير في المشكلة اللغوية وتحليل الوضع: كان هذا الأمر محددا بمسألة دينية: هل يمكن تدريس تعاليم الدين المسيحي بلغة الأيمارا[٤] أو بلغة الكيشوا؟[١].

---

(١) ينظر: الإدارة من وجهة نظر المنظمة: ١٧١

(٢) ينظر: مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، ح ٣: السياسة اللغوية القومية/ اللغة العربية: ٢٥.

(٣) حرب اللغات والسياسات اللغوية: ٢٢١.

(٤) لغة أيمارا (Aymara) هي لغة تنتمي إلى مجموعة اللغات الأيمارية، وهي من لغات الأمريكيين الأصليين التي ما زال يتحدثها أكثر من مليون نسمة تعد الأيمارا لغة رسمية في كل من بيرو وبوليفيا إلى

- مرحلة اتخاذ القرار في هذا المثال: استخدام اللغة الإسبانية لتمسيح الهنود.

- مرحلة التطبيق، أو وضع القرارات موضع التنفيذ التي يفترض أنها اقتضت تعليم اللغة الإسبانية قبل تعليم الدين المسيحي بهذه اللغة.

يتبدى لنا حينئذ أن قرار شارل كوينت يشكل خيارا في السياسة اللغوية وأما احتمال وضعه موضع التنفيذ على الساحة الأمريكية الجنوبية فيشكل تخطيطا لغويا.

خاتمة:

نخلص في موضوع البحث والدراسة "اللغة الأم وتخطيط السياسة اللغوية" إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

- إنّ الأمر الذي لا يمارى فيه ولا يرد هو أنّ المقومات اللغوية في كيان الأمة تعد رافدا لأيّ حركة نهضوية في المجتمع، مهما كانت التركيبة البشرية لهذا المجتمع، ولا يمكن لأيّ مجتمع أن يحقق أهدافه الإستراتيجية على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بمعزل عن لغته الأم؛ لأنّ نهضة الأمم عبر تاريخ الإنسانية الطويل رافقتها نهضة لغوية.

- يمكن للغة الأم أن تكون لغة عالمة ذات بعد عالمي، وأن تسهم في التنمية، وأن تضطلع بدورها تضطلع بدورها الحضاري والاقتصادي في الآن نفسه، وإنّ المشكلة لا تمكن فيها بقدر ما تكمن في أبنائها ومدى اعتزازهم وإيمانهم بها واستعدادهم للارتقاء بها في جميع المجالات التنموية.

- إنّ المتغيرات السريعة التي يشهدها العالم على المستوى اللغوي والإعلامي والثقافي بشكل عام تستدعي إيجاد نظام مؤسسي فعال يمكن له أن ينهض باللغة الأم

جانب كل من الإسبانية والكيشوا، كما يتحدثها - بدرجة أقل - بعض سكان تشيلي وشمال غرب الأرجنتين.

(١) كيشوا (Qhichwa) هي عائلة لغوية نشأت في وسط جبال الأنديز التي تمتد عبر الجزء الغربي من أمريكا الجنوبية.

للأمة والمجتمع وينتقل بها من المحلية إلى العالمية وذلك بتشخيص الواقع اللغوي الراهن بموضوعية كاملة بما يتناسب وهوية المجتمع وإستثمار إنجازات المؤسسات اللغوية الرائدة في مجال الخطط الاستراتيجية والتهيئة اللغوية العالمية.

المصادر والمراجع

أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي، محمد مراياتي، مجلة أسئلة اللغة، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، المغرب، ٢٠٢٢ م.

الإدارة من وجهة نظر المنظمة، محي الدين الأزهري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩م.

ترقية اللغة العربية بين التخطيط الإستراتيجي والاستثمار المؤسسي، أحمد حساني، منشورات المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية بعنوان: الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي، دبي ٧-١٠ ماي ٢٠١٤ م.

حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، ترجمة: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨ م.

السن المناسب لتعليم اللغات الأجنبية، إبراهيم عبد العزيز أبو حميد، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، المجلد 2، العدد ٣.

في التربية اللغوية وأنماط التواصل، أحمد الوالي العلمي، مطبعة فضالة، ط١، المغرب، ٢٠٠١ م.

في بيداغوجية اللغة العربية، عباس الصوري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨ م.

اللغة العربية وتحديات العصر، محمود أحمد السيد، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨ م.

اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب الكبير، جولبير غرانغيوم، ترجمة: محمد أسليم، دار الفاربي للنشر، مكناس، المغرب، ١٩٩٥م.

مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، الحلقة الثالثة: السياسة اللغوية القومية/ اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠١٠ م.

معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، عبد العزيز الفاربي وآخرون، سلسلة علوم التربية، دار الخطابي للنشر، الرباط، المغرب، العدد ٩/١٠ م.

من اللغة إلى الفكر، عبد الكريم غلاب، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، المغرب، ١٩٩٣.

يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم، بلعيد صالح، دار هومة، الجزائر، ٢٠١٠ م.

Aménagement/ Politique linguistique, Jean Michel Eloy, Mots, V 52, No 52, 1997.

L'aménagement linguistique au Québec: enjeux et devenir, LOUBIER, Christiane, coll "Langues et sociétés", Montréal, Office de langue française, ١٩٩٤.

La planification d'une langue standard en Norvège modern/ Planning for a Standard Language in Modern Norway, Einer Haugen, Anthropological Linguistics, 1/3.

Planification et politique linguistique dans certains pays sélectionnés d'Afrique de l'ouest, Rakissouiligri Mathieu, UNISCO, Addis Abeba, 2002.

Repères sociolinguistiques pour ١enseignement des langues, Louise Dabène, Hachette livre, Paris, 1994.

Terminologie et aménagement des langues Langages, Louis Jean Rousseau, V 39, No 157, 2005

دعوى مقدمة إلى محكمة التفتيش الإسبانية من ترجمان نصراني ضِد موريسكي غرناطي

دراسة وترجمة

د. محمد علي عبد الرازق زللو

جامعة أليكانتي، إسبانيا

البريد الإلكتروني: m.a.abdelrazeq@gmail.com

معرف (أوركيد): 0000-0003-3496-4265

ترجمة الاستلام: ١٥-٩-٢٠٢٣ القبول: ١٥-١٠-٢٠٢٣ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٣

الملخص:

تقدم هذه المقال دراسة وترجمة لمخطوطة قشتالية (الإِسبَانِيَّة القَدِيمَة) مُقَدَّمة إلى محكمة التَّفتيش الإِسبَانِيَّة في النصف الثَّاني من القرن السَّادس عشر الميلادي (١٥٥٤م) مِنْ تُرْجُمَان نَصرَانِي يُدْعَى بارتولومي دورادور المترجم الخاص لكبير الأساقفة مارتين دي أيالا ضد أحد الموريسكين يسمى ديجو شايبون يقطنُ بإحدى القرى التَّابعة لمملكة غرناطة؛ يَتَّهِمُهُ فيها بِمُمَارَسَة الشَّعَائِرِ الإسلاميَّة، والدعوة إلى الإسلام، واستعمال اللغة العربية، والاعتقاد في العلوم العربية المحظورة.

تأتي هذه الترجمة والدراسة مع ما نشهده من قلَّة المنتج المترجم من الوثائق التاريخية من اللغات الأجنبية إلى العربيَّة، والتي تناولت أحداثا مهمة في تاريخ أمتنا العربية والإسلامية وتعج بها بطون المكتبات الأوربية والإسبانية بخاصة؛ فكان هذا دافعا إلى ترجمة تلك الوثيقة التاريخية، وتسليط الضوء عليها؛ أملا في سدِّ هذا النقص الكبير في مكتبتنا العربية من ترجمة تلك الوثائق التاريخية المهمة، وفتح باب الاستقصاء والدراسة والتحليل في تلك الحقبة من تاريخ أمتنا العربية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية:

محاكم التفتيش الإسبانية، الموريسكيون، ديجو شايبون، بارتولومي دورادور، مارتين دي أيالا، الدعوة إلى الإسلام، جدل ديني، مملكة غرناطة.

للاستشهاد/ **Atif İçin / For Citation:** زللو، محمد علي عبد الرازق. (٢٠٢٣). دعوَى مقَدمة إلى محكمةِ التفتش الإسبانية من ترجمان نصراني ضِد موريسكي غرناطي دراسة وترجمة. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٤، ع٨، ٤٦٧-٤٩١ https://www.daadjournal.com/.

A Lawsuit addressed to the Spanish inquisition: from a Christian interpreter against a Morisco from Granada

Translated by
Dr. Mohamed Aly Abdelrazeq Zalalo
Lecturer, Alicante University, Spain
E-mail: m.a.abdelrazeq@gmail.com
Orcid ID: 0000-0003-3496-4265

Translation   Received: 15.09.2023   Accepted: 15.10.2023   Published: 31.10.2023

Abstract:

This article deals with a study and translation of a Castilian manuscript (Old Spanish) submitted to the Spanish Inquisition in the second half of the 16th century (1554 AD) by a Christian interpreter called Bartolomé Dorador, a personal interpreter. Bishop Martin de Ayala issued a case against a Morisco called Diego Caybon who lives in Guadix, one of the villages in Granada. Both living in Kingdom of Granada, the bishop accuses him of practicing Islamic rituals, calling to Islam, using the Arabic language, and believing in formally prohibited Arabic sciences.

This translation and study come with what we are witnessing of the scarcity of translated historical documents from foreign languages into Arabic. There is a large existing legacy of historical documents that are a paramount relating important events in the history of the Arab and Islamic heritage and legacy. Some of the greatest European libraries in particular the Spanish libraries are the brightest archives also keeping part of a legacy of our common interest. This was the personal motto to translate this historical document and shed light on it. In the hope of filling this major deficiency in our Arab library academia and archives I will add my contribution translating these important historical documents. Perhaps, this academia will be the opening of a gate to further investigation, study, and analysis in those eras of the history of the Arab and Islamic legacy and heritage.

Keywords:

Spanish Inquisition, Moriscos, Diego Caybon, Bartolomé Dorador, Martín de Ayala, convirtion to Islam, Religious controversy, Kingdom of Granada

تقديم:

كانت إسبانيا من أواخر البلدان الأوربيَّة (وبخاصةٍ مملكة قشتالة)(١) الَّتي دخلها ديوان التحقيق أو الديوان المقدس الذي اشتهر باسم محاكم التَّفْتِيش، فقد صدر المرسوم البابوي من البابا سيستو الرابع Sisto IV (١٤٧١ –١٤٨٤م)(٢) بإنشاء الديوان المقدس في إسبانيا بِنَاءً عَلَى طلب من الملكين الكاثوليكيين Reyes Católicos (٣) في الأَوَّل من نوفمبر عام ١٤٧٨م.

أَمَّا دواعي إنشاء ديوان التحقيق في إسبانيا بشكلٍ عامٍّ فهي الأسباب نفسها التي قامت عليها جميع محاكم التفتيش في أوربا، والتي تتمثلُ في الحفاظِ على سلامةِ العقيدة الكاثوليكية ونقائها من الهرطقات والبدع، ومُطاردة الكفرة والمُلحدين والمهرطقين والسَّحَرة. (٤)

(١) عرفت مملكة أراجون عام ١٢٤٣ م شيئا مشابها لمحكمة التفتيش يسمى الديوان الأراجوني أو الديوان القديم، ولكنه كان مختلفا في قوانينه وتنظيمه وإجراءاته عن صرامة وقوة محكمة التفتيش. ينظر: محمد عبد الله عنان: ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى ص: ٢٣٢

(٢) البابا سيكتوس الرابع هو إيطالي الأصل، ولد عام ١٤١٤م وتوفي عام ١٤٨٤م، وهو البابا رقم ٢١٢ في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية تولى من الفترة١٤٨٧١م وحتى وفاته. Real Academia de la Historia: biografías, Papa sisto IV;

(٣) يشار دائما بلقب الملكين الكاثوليكيين في التاريخ الإسباني الحديث إلى الملك فيرناندو الثاني ملك أراجون (١٤٧٩ – ١٥١٦) وزوجته الملكة إيسابيلا الأولى ملكة قشتالة (١٤٧٤ – ١٥٠٤)، وقد نالا ذلك اللقب من البابا ألكسندر السادس (١٤٩٢ – ١٥٠٣) تكريما لهما بعد استيلائهما على مملكة غرناطة الإسلامية ١٤٩٢م، Real Academia de la Historia: biografías; los reyes católicos.

(٤) ينظر: محمد عبد الله عنان: نهاية دولة الإسلام في الأندلس: ٣٣٠م.

ومع ذلك فقد أحاطت بقيامه في إسبانيا ظروفٌ خاصةٌ تتمثلُ في نشأة إسبانيا النصرانية الوليدة وتوسعها على حساب الممالك الأندلسية - (أو ما اصطلح عليه في المصادر الإِسْبَانِيَّةِ بحروب الاسترداد la Reconquista)- وكان قوام تلك النشأة هو التعصب الديني الذي بثته الكنيسة ورجال الدين، وقد استطاعَ ملوكُ إِسبانيا المتعاقبين أخذه كشعار سياسي لإسبانيا الظافرة الموحدة، وشكل وجود طوائف دينية كبيرة في الممالك النَّصرانية من يهود ومدجنين ونصارى جدد مشكوك في دينهم مصدر خطر على الكنيسة والسلطات الإسبانية، فكان طلب إنشاء محاكم التفتيش في إسبانيا محفوفا بصبغة دينية لأغراض سياسية.

وقد حدد المرسوم الإطار العام لتكوين ديوان التحقيق وهيكله التنظيمي، كما أعطى لملوك إسبانيا الحق في الإشراف العام واختيار القضاة ومقر المحكمة؛ وذلك بما يخدم المملكة والديوان معًا، وممَّا جاءَ في نصِّ المَرْسُوم ما يلي:

"يتولى الديوان ثلاثة مِنَ الأساقفة أو مَنْ يعلوهم أو مِنْ غيرهم من الكَهَنَةِ العَلْمانيين أو الدينيين، من الذكور المشهودِ لهم بالاستقامةِ، مِنَ المُنتسبين إلى مَدْرسةٍ دينيةٍ أو من غير المنتسبين[1]، وممن تزيد أعمارهم على أربعينَ عامًا، يتمتعونَ بضَميرٍ حيٍّ ومشهود لهم بذلك، جديرون بالثناءِ في حياتِهم. واختيارهُم يكون من بين المعلِّمين أو الحاصلين على إجازة في علم اللاهوت أو درجة الدكتوراه في القانون الكنسي، معروفون بخشيتهم لله، وهذا التعيين يكون بعد فحص دقيق قبل الترخيصِ لهم. ولكل [ملوك إسبانيا] الحق في التعيين والاختيار من أية مدينة أو إبراشية من الممالك الخاضعة لهم، ويتمتع الديوان بالولاية القضائية الكاملة، والحق في توقيف

(١) يقصد التابعين لمدارس دينية كاثوليكية، وقد كانت الغلبة في ذلك من مدرستي الفرنسيسكان والدومينكان.

المدانين بالجرائم المتعلقة بالهرطقة، وكذلك شركائهم والمتواطئين معهم، وكذلك يتمتع العاملون بالمحكمة والمحققون بالسلطة وقوة القانون والعرف"(١).

وَعَلَى اَلرَّغْمِ مِنْ صدور المرسوم إلا أنَّ الملكين الكاثوليكيين أرجآ تنفيذه عامين آخرين حتَّى ١٤٨٠م، حيث تمَّ اختيار مدينة إشبيلية مقرًّا لأوَّل محكمة تفتيش بهذا القرار، وعُيِّنَ الراهب والمسئول عن الاعتراف للملكة إيسابيلا الأولى **توماس دي توركيمادا** Tomas de Torquemada(٢) أوَّل مفتش عام لها.

وقد وجَدَ دِيوَانُ اَلتَّحْقِيقِ أَرْضًا خِصْبَةً في إسبانيا، فمنذ إنشاء أوَّل محكمة تفتيش وحتى نهاية حكم الملكين الكاثوليكيين ١٥١٦م، وصل عددها فِي إِسْبَانْيَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ مَحْكَمَةَ تَفْتِيشٍ في معظم المدن الإسبانية(٣)، ومع تعاقب ملوك إسبانيا ازداد نشاط واستخدام الديوان لأغراض سياسية واقتصادية [بسبب الحق في مصادرة أملاك المتهمين]؛ لملاحقة المتنصرين الجدد من أصول يهودية أو إسلامية، والنَّصارى القدامى أنفسهم؛ لاتهامهم بِأَنَّهُم حَادُوا عَن الكَاثُولِيكِيَّةِ.

---

(١) Gonzalo Martin Diez: Bulario de la inquisición Española, Madrid: Complutense, 1998, P.77.

(٢) توماس دي توركيمادا، ولد في قرية بلنسية التابعة لأقاليم ليون بإسبانيا عام ١٤٢٠م، وهو راهب ولاهوتي من مدرسة الدومينكان الدينية، عرف بتعصبه الديني واضطهاده للمتحولين الجدد وبخاصة من اليهود. تولى منصب المسئول عن الاعتراف للملكين الكاثوليكيين، وكان أول مفتش عام لمحاكم التفتيش في إسبانيا (قشتالة وأرجون)، وضع القوانين والأسس الرئيسة لمحاكم التفتيش الإسبانية، توفي عام ١٤٩٨م. Real Academia de la Historia: biografías, Tomas de Torquemada

(3)Eva Martín López : El Real Fisco de la Inquisición en el Archivo Histórico de Granada, p3

وقد استمرَ العملُ بمحاكمِ التَّفتيش فِي إِسبانيا دونَ تَوَقُّفٍ إلَّا في أثناءِ فترة احتلال **نابليون بونابارت** Napoleón Bonaparte لإسبانيا (١٨٠٨م – ١٨١٠م)[١]، لتعود مرةً أُخرى للعمل بقرارٍ من ملك إِسبانيا **فيرناندو السابع** Fernando VII [٢]عام ١٨١٤م حتَّى تم إلغاؤها نهائيًّا في القرن التَّاسع عشر في عهد الملكة **إيسابيل الثانية** Isabel II [٣] في ١٥ يوليو عام ١٨٣٤م، وذلك بعد طلبٍ مِنَ البرلمان؛ لأنَّه كان مخالفا لأوَّل دستورٍ إسبانيّ تَمَّ وضعهُ في مدينة قادش عام ١٨١٢م.[٤]

---

(١) نابُليون بونابرت، ولد عام ١٧٦٩ م على جزيرة كورسيكا هو قائد عسكري وسياسي فرنسي ، بزغ نجمه خلال أحداث الثورة الفرنسية، وقاد عدَّة حملات عسكرية ناجحة ضدَّ أعداء فرنسا خِلال حروبها الثورية. حكم فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر بصفته قنصلًا عامًا، ثم بصفته إمبراطورًا في العقد الأول من القرن التاسع عشر، حيث كان لأعماله وتنظيماته تأثير كبير على السياسة الأوروبية. هيمن نابليون على الشؤون الأوروبية والدولية خِلال فترة حُكمه، وقاد فرنسا في سلسلة انتصارات مُبهرة على القوى العسكريَّة الحليفة التي قامت في وجهها، فيما عُرف بالحروب النابليونية، وبنى إمبراطوريَّةً كبيرة سيطرت على مُعظم أنحاء أوروبًا القاريَّة حتَّى سنة ١٨١٥، توفي في منفاه في جزيرة سانت إلينا عام ١٨٣١م :Real Academia de la Historia biografías, Napoleón Bonaparte

(٢) فيرناندو السابع (Fernando VII de España) (١٤ أكتوبر ١٧٨٤ -٢٩ سبتمبر ١٨٣٣) ، ملك إسبانيا خلال أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصفه. حكم المملكة الإسبانية عام ١٨٠٨ ومرة أخرى منذ عام ١٨١٣ حتى وفاته عام ١٨٣٣.

(٣) إيزابيل دي بوربون (Isabel II de España) ملكة إسبانيا في الفترة من ٢٩ سبتمبر ١٨٣٣ حتى ٣٠ سبتمبر ١٨٦٨. تم نفيها إلى فرنسا وخلعها عن العرش؛ نتيجة احتجاجات شعبية، وتوفيت في باريس في ٩ أبريل عام ١٩٠٤. Real Academia de la Historia: biografías, Isabel II de España

(4) José Martínez Millán: La Inquisición española, p 225.

محكمة التفتيش في غرناطة:

كانَ لمملكة غرناطة وضعٌ تاريخيٌّ خاصٌ، حيث إنَّها تُعدُّ آخر الممالك الإسلاميَّة الَّتي خضعت للحكم النصراني الإسباني في شبه الجزيرة الإيبيرية في عام 1492م، وعاش أهلها كمدجنيين قرابة عقد من الزَّمان، ولكنْ معَ بداية القرن السَّادس عشر الميلادي، وعلى إثرِ فشل احتجاجات مسلمي البيازين التي شملت غرناطة - والتي كانت تطالب باحترام معاهدة تسليم المدينة، وعدم إجبارهم على دخول النصرانية بالقوة- تعاملت السلطات الإسبانية معهم بالقمع، وأصدر الملكان الكاثوليكيان عام (١٥٠٢م) قرارًا بالتنصير الإجباري لكلِّ أهل مملكة غرناطة، وإلا حُكِمَ عليهم بالتهجير والقتل.(1)

وعلى الرغم من إجبار سكان مملكة غرناطة على التَّعميد بالقوة، فقد تمسكوا بدينهم وشعائرهم الإسلاميَّة سرًّا محتفظينَ بعاداتهم ولغتهم العربيَّة، ولكنهم أمام السلطات الإسبانية والكنسية هم ظاهريا نصارى جدد يذهبون كلَّ يوم أَحَدٍ إلى الكنائس؛ خوفًا من المحاكمات أو العقاب، وظلَّ هذا التركيب السكاني هو الوضع العام لمملكة غرناطة حتى قيام انتفاضة جديدة [انتفاضة البشرات] ١٥٦٩-١٥٧١م. (2)

---

(1) Domínguez Ortiz, Antonio; Vincent, Bernard, Historia de los moriscos. Vida y tragedia de una minoría, p.106-112.

وانظر كذلك: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٤/ ٢٢٩.

(٢) ثورة أو احتجاجات البشرات وتعرف في المصادر الإسبانية باسم تمرد البشرات Rebelión de las Alpujarras امتدت من الاعوام (١٥٦٨م- ١٥٧١م) جاءت نتيجة التطبيق التعسفي للمرسوم البرجماتي للملك فليب الثاني في نوفمبر ١٥٦٦م، وقد بدأت بنجاح الموريسكين في تكوين دولة تحت حكمهم الذاتي، ولكنها لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات حيث نجحت الجيوش النصرانية في قمع تلك الثورة وإجلاء قرابة مائة ألف من سكان مملكة غرناطة عن أرضهم وتوطين سكان آخرين من النصارى، انظر: دولة الإسلام في الأندلس: ٣٦٦-٣٧٠. جدير بالذكر حين تم قمع

وعلى الرغم من سعي الملكين الكاثوليكيين إلى تأسيسِ مَحَاكم تفتيش في كلّ مدن وممالك إسبانيا؛ لفرض السيطرة التامة وضمان الولاء باسم الدين، إلا أنَّهما خشيا مِنْ إقامتها في مملكة غرناطة؛ وذلك انتظارًا لنتائج التنصير المأمول، وخشية من قيام انتفاضات أخرى.

وظلت مملكة غرناطة تابعةً لمحكمة تفتيش قُرطبة صوريًّا دونَ تدخلٍ فعليٍّ يُذكر، واستمر حفيدهما الملك **كارلوس الخامس** Carlos V[1] -على السياسية نفسها من التجاهل- حتى أوعز له مستشاروه والمقربون منه بخطر ترك مملكة غرناطة على هذه الحال، وأنَّ هذا من الممكن أن يمهد لقيام انتفاضات انفصالية كما حدث في بداية عهده في مملكة قشتالة ومملكة أراجون، وكل الشواهد كانت تعكس رغبة سكانها في عودة المملكة إلى وضعها الإسلامي السَّابق، وشجَّعهم على هذا الصراع المتزايد بين الإمبراطوريتين الإسبانية والعثمانية، وعلاقتهم الوطيدة مع الولايات الإسلاميَّة في المغربِ العَرَبِيِّ.

وفي الخَامِسِ مِنْ نُوفمبر لعام ١٥٢٦م أصدرَ الملك **كارلوس الخامس** قرارًا بإنشاء محاكم تفتيش داخل مملكة غرناطة، وكانَ مِنْ أوَّل قرارات تلك المحكمة إعلان

تلك الثورة، أصدر الملك الإسباني فليب الثاني قرار بترحيل الموريسكين الغرناطيين إلى الممالك المسيحية الأخرى داخل إسبانيا بهدف تشتيتهم والقضاء على تكتلهم الديني والثقافي واللغوي داخل مملكة غرناطة بعدما فشلت الكنيسة ومحاكم التفتيش في ذلك ,Domínguez Ortiz . Antonio; Vincent, Bernard Historia de los moriscos. Vida y tragedia de una minoría, p.136

(١) كارلوس الخامس-(١٥٠٠/١٥٥٨م) امتد ملكه إلى أراض شاسعة لم تبلغها إسبانيا من قبل في كل قارات العالم تقريبا، تنازل عن عرشه لصالح ابنه فليب الثاني عام ١٥٥٦ لصالح أبنه فليب وأخيه فيرناندو، وقضى بقية حياته في أحد الأديرة، انظر: ,Real Academia de la Historia. biografías (Carlos I)

(مرسوم النعمة- Edicto de Gracia)[1] والذي يُعطي للموريسكيينَ في مملكةِ غرناطة مهلة ثلاثة أعوام؛ لتَعَلُّمِ اللُّغةِ القَشْتاليَّة استعمالها بدلا من اللغة العربية.

وعلى كلِّ حالٍ استطاعَ الموريسكيون في مملكة غرناطة تأجيل أغلب تلك المراسيم المتعلقة باللغة العربيَّة والملبس والعادات والتقاليد الإسلاميَّة عن طريقِ دفع المزيد من الضَّرائب والرشاوى، كان مِنْ أشهرها الاتفاق الذي تم بينهم وبين الملك **كارلوس الخامس** عام ١٥٢٦م؛ وذلك لإعطائهم مُهلة أربعين عامًا؛ لتنفيذِ تلك القرارات مقابل ٩٠ ألفًا من الدويكات[2][3].

مصدر المخطوطة:

المخطوطة تقع في ورقتين، يوجد في أعلى الورقة الأولى طمس للتاريخ والسطور الأولى، والأصل محفوظ في الأرشيف التاريخي الخاص بإبراشية مدينة وادي آش تحت الرقم التالي:

Archivo Histórico Diocesano de Guadix, caja 83, legajo 11, pieza C.

كذلك أوردها كارلوس جاريدو كملحق في دراسته: (استخدام اللغة العربية كوسيلة في التبشير الإنجيلي للموريسكين في مملكة غرناطة) في مجلة الدراسات العربية والإسلامية عدد ٥٧ التابعة لجامعة غرناطة عام ٢٠٠٨م.

---

(١) مرسوم النعمة يصدر من محكمة التفتيش أثناء زيارتهم للمدن والمناطق الريفية، ويتيح للفرد أو الجماعة المدانة فترات سماح للاعتراف والتوبة، ولا يجوز على أثرها تنفيذ عقوبات صارمة
Kamen, Henry. La Inquisición Española. Una revisión histórica, p.340.

(٢) الدويكية: عملة إسبانية كانت تستعمل طوال القرن السادس عشر.

(3) María Jesús Rubiera Mata: Carlos V, los moriscos y el Islam, p.56.

Carlos Javier GARRIDO GARCÍA: El uso de la lengua árabe como medio de

evangelización-represión de los moriscos del reino de Granada. MEAH, SECCIÓN ÁRABE-ISLAM 57 (2008), 134-137

منهجي في ترجمة المخطوطة:

لا شكَّ أنَّ الترجمة جزءٌ حيويٌّ من المنظومة الحضارية للأمم، فكلما كانت الأمة متقدمة في الترجمة، أصبح لها مكان مرموق في إطار منظومة التقدم والريادة، مع ما نشهده من قلَّة في الوثائق التَّاريخية المُترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربيَّة، والتي تناولت أحداثا مهمة في حياة أمتنا العربية والإسلامية، وتعج بها بطون المكتبات الأوربية والإسبانية خاصة؛ فكان هذا دافعا إلى ترجمة تلك الوثيقة التاريخية، وتسليط الضوء عليها؛ أملا في سدِّ هذا النقص الكبير في مكتبتنا العربية من ترجمة لتلك الوثائق التاريخية المهمة، وفتح باب الاستقصاء والدراسة والتحليل في تلك الحقب من تاريخ أمتنا العربية والإسلامية.

وقد حاولتُ في هذه المخطوطة بكلِّ أمانةٍ نقلَ كلِّ مفرداتها من اللغة القشتالية (الإسبانية القديمة) إلى اللغة العربية قدر وسعي دون الإخلال بالمعنى، ولم أقحم نفسي في متن النص إلا بين قوسين معكوفين [ ] أو من خلال الهامش؛ وذلك من أجل إيضاح أو تعقيب.

الشخصيات الواردة في المخطوطة:

أولا: الشخصيات المحورية:

١- **الأسقف مارتين دي أيالا** Martin de Alaya:

ولد في مدينة جيان Jaén عام ١٥٠٤م، انضم منذ صغره إلى مدرسة القديس شنت ياقب (سانت ياجو Santiago) الكاثوليكية، ودرس اللاهوت في جامعة سلمنقة وجامعة طليلطة حتى نال الإجازة عام ١٥٣٢م.

عمل في جامعة ألكالا Alcalá أستاذًا للفلسفة، ثمَّ انتقلَ إلى جامعة غرناطة؛ للحصولِ على درجة الدكتوراه في عام ١٥٣٨م. وفي عام ١٥٤٣م ذهبَ إلى إيطاليا بترشيحٍ من ملك إسبانيا **كارلوس الخامس**، وهناك درس عامين في الجامعات الإيطالية، ليعود مرة أخرى إلى إسبانيا. وفي عام ١٥٤٩م تولى منصب أسقف وادي آش إلى عام ١٥٦٠م، ثم أسقف سيجوبيا من ١٥٦٠م وحتى ١٥٦٤م، وتولى منصب رئيس أساقفة مملكة بلنسية من عام ١٥٦٤م حتى وفاته في ٥ أغسطس عام ١٥٦٦م.[1]

عرف بـشغفه بتعلم اللغات، مثل: اللاتينية واليونانية والعبرية والعربية، سعى لجعل اللغة العربية لغة تبشير بالنصرانية لصالح الموريسكين الإسبان، عين واعظين ومترجمين لهذه المهمة، كما شارك بنفسه في كتابة بعض المؤلفات عن التعاليم النصرانية باللغة العربية، ومن أهمها كتاب: "العقيدة النصرانية بالعربية والقشتالية" والذي طبع عام ١٥٥٦م وأعيد طبعه مرة أخرى بعد وفاته في مدينة بلنسية تحت عنوان: "التعاليم النصرانية للنصارى الجدد المتحولين من الإسلام" عام ١٥٩٩م [2].

٢- **المترجم بارتولومي دورادور** Bartolome Dorador:

تفتقر المصادر الإسبانية إلى ترجمة كاملة ودقيقيه لهذا المترجم، فلا نعلم تاريخا محددًا لميلاده أو وفاته أو تنقلاته المختلفة في إسبانيا، ومع ذلك نستطيع - من خلال

(1) Diccionario de Historia Eclesiástica de España, vol. I, 172.

(2) Academia de la Historia biografías (Martin de Ayala) ; Catecismo para instrucción de los nuevamente convertidos en moros. Valencia: Pedro Patricio Mey, 1599.

بعضِ الوثائق، مثل محاضر محاكم التفتيش في غرناطة والمخطوطات الَّتي تركَهَا بخطه- تكوين صورةٍ عامةٍ عن سيرته الذاتية.

ولد في سابيولي Sabiote إحدى القرى التابعة لمدينة جيان بعد الربع الأوَّل من القرن السادس عشر، من أب يدعى **ألونسو فيرنانديث دي أوبيدا**، وأمُّه هي ابنة أحد القَادة العسكريين المُهمِّين في مستعمرة مليلية[١]، ويدعى بارتولومي دورادور، ونظرًا لمكانة جده من والدته فقد تسمَّى باسمه. وعاش بارتولومي طفولته في كنف جده في مستعمرة مليلية، وهذا ما يُفَسِّر تعلمه اللغة العربية منذ صغره. بعد وفاة جَدِّه في مليلية، انتقل الشَّاب **بارتولومي** إلى إسبانيا؛ ليعمل مترجمًا وموثقَ عقود للعبيد الزنوج عند أحد الموريسكيين المثيرين للجدل في التَّاريخ الإسلامي والمسيحي لإسبانيا، وهو علي بن عشرة[٢].

بعد عام ١٥٥٠م وإثر المراسلات المتبادلة بين الأسقف **مارتين دي أيالا** والملك **كارلوس الخامس**، والموافقة على الاستعانة بمن يعرفون اللغة العربية؛ للتبشير والوعظ،[٣] اختار الأسقف **أيالا** بارتولومي واعظا باللغة العربية للموريسكيين وترجمانا

(١) مدينة مغربية بشمال أفريقيا، تطل على البحر الأبيض المتوسط، ولا تزال مستعمرة من طرف الإسبان إلى يومنا هذا.

(٢) علي بن عشرة كان أحد القواد العسكريين في مدينة ألمرية الإسلامية، وقد تعاون مع الملكين الكاثوليكيين من أجل إسقاط مدينته، وغيرها من مدن مملكة غرناطة، حصل على امتيازات واسعة ومختلفة، وكانت له إقطاعية كبيرة في واي آش، أعلن عن تحوله إلى المسيحية عام ١٥٠٠م وتسمي **بديجو لوبث** وحصل بعدها على لقب نبيل، عرف بوفائه للسلطات الإسبانية والكنسية، واستمر أبناؤه وأحفاده على السياسية نفسها في موالاتهم الملوك الإسبان، توفي عام ١٥٤٥م. Academia de la Historia biografías, Diego López Abenaxara

(3) A.H.D.Gu., caja 83, legajo 14, pieza AE. Carta de Carlos I al obispo de Guadix. Augusta, 11 de septiembre de 1550.

خاصا له في إبراشية وادي آش، كما كلفه بترجمة عمله -التعاليم المسيحية للمتنصرين الجدد- إلى العربية، وتوجد منها نسخة محفوظة في مكتبة الجزائر الوطنية.[١]

في عام ١٥٥٤م قدَّم دعوى إلى محكمة التفتيش ضد الموريسكي **ديجو شايبون؛** بسبب ممارسته الشعائر الإسلامية، وقيامه بالدعوة إلى الإسلام، ونقده للنصرانية.

وفي عام ١٥٥٦م ظهر اسم بارتولومي مرة أخرى كشاهد في قضية أخرى ضد موريسكي من مدينة الكوديا Alcudia[2]، وعند اندلاع انتفاضة البشرات (١٥٦٩م – ١٥٧١م) عمل **بارتولومي** مترجما للجانب القشتالي.[٣]

في عام ١٥٧٤م ظهر اسمه في صك لمنح الحرية لجارية موريسكية تُسَمَّى "إلينا Elena" عمرها ٣٣ عاما من بلدة أندرش Andarax التابعة لمدينة ألمرية مقابل فدية قدرها ٧٥ من الدويكات[٤]، وظهر اسمه لآخر مرة في دعاوي قضائية عام ١٥٩٨م.[٥]

وبناء على هذه التواريخ السَّابقة في تلك الوثائق، فمن المرجَّح أن يكون تاريخ وفاته بين عام ١٥٩٨م والسنوات الأولى من القرن السابع عشر الميلادي.

٣- الموريسكي ديجو شايبون Diego Caybon:

لا توجد معلومات عنه أكثر ممَّا وَرَدَ في الدعوى المُقَدَّمة ضده، فهو أحد موريسكيي قرية ألديرا Aldeire التي تقعُ جنوب وادي آش، وتبعدُ نحو٦٠ كيلومترًا عن مدينة غرناطة، وكان أغلب سكانها موريسكيين حتَّى قيام ثورة البشرات، ويبدو أنَّ

(1) . María Paz Torres Palomo. Bartolomé Dorador, pp. 14-17

(2) A.H.D.Gu., carpeta 2515 (Pleitos ejecutivos, 1500-1596), pieza s.c.

(3) María Paz Torres Palomo. Bartolomé Dorador, pp. 14-17

(4) Archivo Histórico de Protocolos Notariales de Guadix, XVI-116 (Juan Bautista de Palencia, 1571-1574), fols. 1161r.-v.

(5) . A.H.D.Gu., carpeta 2872, pieza s.c

شايبون كان يتمتع بثقافة دينيةٍ واسعةٍ مع معرفة القراءة والكتابة باللغة العربيَّة، إلى جانب اتصاله بالموريسكيين في المدن والقرى المجاورة، وهو ما يرجِّح أنَّه كانَ أحد الفقهاء المسلمين للطائفةِ الموريسكية في قريته.

ثانيا: الشخصيات الثانوية:

١-بارتولومي ميرابيتي Bartolome Mirabate :

وُجِدَ توقيعُه في المخطوطة كمحقق في الدَّعوى المقدمة من الترجمان بارتولومي دورادور، ولا تتوافر معلومات عن حياته بخلاف ما نجده من خلال الدعاوى المرفوعة في محاكم التفتيش، ويتضح أنَّ لقبه أحيانًا في بعض الوثائق يأتي بهذا الشكل Mirabathe (بإضافة حرف H)[1]، وهو كاهنٌ خدمَ في إبراشية وادي آش، وعيَّنه كبير الأساقفة مارتين دي أيالا قاضي تحقيقات في ذات الإبراشية من الفترة (١٥٥٠م حتى ١٥٥٦م) ثم انتقل لاحقا إلى إبراشية باجة؛ ليعمل هناك في الفترة من ١٥٥٧م إلى ١٥٦٠م.[2]

٢- خوان دابالوسJuan Davalos :

أحد رجال الدين النَّصارى الذي بُدِئت المخطوطة بذكر اسمه، وتضمنت أنه في سكرات الموت رفض رسم الصليب كعادة النصارى، ونزع الصليب عن نفسه، وأخبر

(١) جدير بالذكر أن اللقب ميرابيتي Mirabate هو تحريف للكلمة العربية مرابط murābiṭ نسبة إلى المرابطين Almorávides الذين حكموا الأندلس في القرن الحادي عشرالميلادي؛ مما يرجح أن أصوله ترجع إلى أصول مسلمة أندلسية تنصرت فيما بعد.

(2) 35. A.H.D.Gu., carpetas 2341 (Pleitos criminales, 1529-1576) y 2367 (Pleitos ordinarios, 1550-1560).

القساوسة المحيطين به - ومن بينهم أخوه رئيس الأساقفة- أنَّه قد خدع في اعتقاده النصرانية.

٣-رولانRolan :

أحد رجال الدين المقربين من رئيس الأساقفة مارتين دي أيالا، وأكد الموريسكي ديجو شايبون أنه كان يعتنق الدين الإسلامي سرًّا.

٤- طبيب موريسكي (مجهول الاسم):

ورد ذكره في المخطوطة دون تسمية، وكل ما يعرف عنه أنَّه كانَ يقطنُ مدينة وادي آش، حيث إنَّه يعرف الكثير من العلوم العربية ويعمل في الطب، وهذه المهنة كانت محرَّمةً على الموريسكيين.

موضوع المخطوطة:

المخطوطة صغيرةٌ نسبيًّا فهي تتكونُ من ورقتين، الأولى بها بعض التشوهات في أعلاها؛ مما يصعب معه معرفة التاريخ الذي كُتبت فيه بدقة، وبعد دراسة متن المخطوطة وجدت معلومة بداخلها يمكن من خلالها تحديد العام الذي كُتِبَت فيه الدَّعوى، حيثُ تمَّ ذكر "يوم الخميس الموافق السادس من سبتمبر" وبمقابلة هذا التاريخ بالفترة التي تولَّى فيها الأسقف **مارتين دي الايا** وادي آش والتي امتدت من ١٥٤٩م حتى ١٥٦٠م يتضح لنا أن التاريخ المقصود هو الخميس السادس من سبتمبر لعام ١٥٥٤ميلادية، ومنه يستنتج أنَّ الدَّعوى كُتِبَتْ وقُدِّمَت في العام نفسه بعد هذا التَّاريخ، وهو المقابل لعام ٩٥١ هجرية.

أمَّا تحديد مَنْ هو كاتب الدَّعوى فنجد في المخطوطة توقيعين، الأوَّل باسم **بارتولومي ميرابيتي** المحقق من قبل المحكمة، والثاني باسم **بارتولومي دورادور**

الترجمان الخاص برئيس الأساقفة مارتين دي أيالا، ولدينا ثلاث قرائن تحيل على أنَّ كاتب الدعوى هو الترجمان **بارتولومي دورادور**.

أولا: بمطابقة خط التوقيعين المذكورين مع خط متن المخطوطة يتضح أن الكاتب هو **بارتولومي دورادور**.

ثانيا: ورد في نص المخطوطة عبارة " أمام وكيل المحكمة بارتولومي ميرابيتي" مما يؤكد أن كاتب الدعوى هو **بارتولومي دورادور**.

ثالثا: وردت بعض الجمل العربية داخل الدعوى المكتوبة باللغة القشتالية(١)، وهي دلالة أخرى على أنَّ الكاتب هو الترجمان **بارتولومي دورادور** نفسه، والذي كان يعرف كلتا اللغتين.

وبحسب النص فقد اكتسب الترجمان **بارتولومي** صداقة وثقة أحد الموريسكيين يُسَمَّى **ديجو شايبون** وهو أحد سكان قرية ألديرا Aldeire جنوب مدينة وادي آش التابعة لمقاطعة غرناطة؛ ممَّا جعله يشارك معلومات معه حول عقيدته الإسلامية في أثناء زيارة الموريسكي له في منزله بقرية لانتيرا Lanteira القريبة منه.

وقد جاءت هذه الثقة اعتقادًا من الموريسكي أنَّ معرفة **دورادور** باللغة العربية سببٌ كافٍ لدخوله في الدين الإسلامي.

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنه خلال دراسة كارلوس جاريدو -بالإسبانية - حول المخطوطة، استعان بأحد الباحثين العرب وهو الأكاديمي صالح الزهراني لمعرفة معاني تلك الجمل العربية وعنها يقول الباحث العربي: (وهي مكتوبة بخط عربي رديء وصعب القراءة، وتنم عن تواضع لغوي في مستوى كاتبها)

Carlos Javier GARRIDO GARCÍA: El uso de la lengua árabe como medio de evangelización-represión de los moriscos del reino de Granada. MEAH, SECCIÓN ÁRABE-ISLAM 57 (Granada -2008), 134-137.

وقد شهد القرن السَّادس عشر في إسبانيا جدلا واسعا حول استخدام اللغة العربية واستمرارها بين الموريسكيين، فقد كان رأي الأغلبية من النصارى أنَّ استمرارها في شبه الجزيرة الإيبيرية هو خطر على إسبانيا النصرانية، وفشل لجهود التنصير، ودليل على تمسك هؤلاء الموريسكيين بدينهم الإسلامي، ومن جهةٍ أخرى رأت الأقليات الموريسكية في إسبانيا أنَّ تمسكهم بلغتهم العربية يُعَدُّ حافظًا على هويتهم ودينهم وتراثهم الإسلامي؛ ولهذا سعوا بكلِّ جُهْدِهم إلى الدفاع عنها، والتحايل على السلطات الإسبانية لإعطائهم فترات زمنية أطول؛ ليتمكنوا من تعلم اللغة القشتالية.

ومع ذلك فقد وُجِدَت فئاتٌ نخبوية من الطرفين تنادي بضرورة فصل اللغة العربية عن الدين الإسلامي، بل إنَّ تعلم بعض رجال الدين النصراني للغة العربية، وتوفير كتب بالعربية عن العقيدة النصرانية هو أمرٌ ضروريٌّ من أجلِ نجاح عملية التبشير بالنصرانية في المجتمع الموريسكي. وقد عَبَّرَ عن هذا الاتجاه كثير من رجال الدين النصراني، مثل: **إرناندو دي تالابيرا**Hernando de Talavera ، **مارتين دي أيالا**Martin de Ayala ، **إجناسيو دي لاس كاساس** Ignacio de las Casas، ومن الجانب الموريسكي اشتهر الموريسكي **فرانثيسكو نونيث مولاي** Francisco Núñez Mulay بما كتبه في دفاعه عن اللغة العربية، وتأكيده على فصل اللغة عن الهُوِيَّة الدينية، واستشهد على وجود نصارى يتكلمون العربية في بلدان أخرى، بقوله: "المصريون والسرياليون والملطيون وآخرون منهم نصارى يكتبون ويقرؤون ويتكلمون باللغة العربيَّة ومع ذلك هم نصارى مثلنا"[(١)].

وهذا الاعتقاد الخَاطِئ في الرَّبط بينَ اللُّغَةِ وَالهُوِيَّة الدينيَّة يفسِّر - أيضًا- سَبَبَ ظَنِّ المُوريسكي في الأسقف **مارتين دي أيالا** أنَّه قد يكون مسلمًا، أو يمكنُ استمالته إلى الإسلام؛ وذلك لشغفه وإصراره على تعلُّم اللغة العربيَّة.

---

(١) ترجمة عمل فرانثيسكو نونيث مولاي إلى العربية، ينظر: محمد علي عبد الرازق: رسالة من موريسكي غرناطي إلى ملك إسبانيا: دفاعا عن اللغة العربية والإسلامية – مجلة ضاد – مجلد ٣ العدد ٥ الصفحات ٢٠٥: ٢٣١

والمخطوطة تتناول موضوعين رئيسيين:

أولا: الجدل الديني الإسلامي المسيحي:

وقد تناولَ الموريسكي ديجو شايبون في جدله الديني نقد رجال الدين والعقيدة النصرانية.

أمَّا مَا يختص بنقده لرجالِ الدين النصراني: فهو يُعطي نماذج مِن رجال الدين في مناصب عُليا كَنَسِيَّة في زمنِهِ، شَعَروا بخيبة أمل عند موتهم؛ لاعتقادهم بالدين النصراني، مثل **خوان دبالوس** الذي لم يرسم الصليب عند موته، بل نزعه وطلب من القساوسة عدم الانخداع بالديانة النصرانية.

أما نقده للعقيدة النصرانية: فيبدو أنَّ الموريسكي **شايبون** كان على معرفة جيدة بالنقاط الأساسية المثيرة للجدل بين الديانتين: الإسلام والمسيحية، وبخاصة فيما يتعلق بقضية الثالوث، وقضية الصلب، وتحريف الإنجيل، وهو يؤكد الرواية الإسلامية القائلة إن المسيح هو ابن مريم وهو عبد الله ورسوله، وأنه ليس ابن الله، وأن الملك جبريل قد نفخ في مريم فحبلت، وأنَّ المسيحَ لم يُصْلب كما يعتقد النصارى بل رفعه الله إلى السماء، وأنَّ الإنجيل الذي بين أيديهم محرفٌ فهو ليس كلام الله ولكنه كلام الشيطان.

ثانيا: الدعوة إلى الاسلام:

وتتمثل في محاولات الموريسكي **شايبون** استمالة الترجمان النصراني **دورادور**، عن طريق شرح وتفسير الشعائر الإسلامية من صلوات ووضوء وأدعية وأذان، وكتابتها له باللغة العربية، وتشجيع **دواردور** نفسه أن يكون وسيطا دعويا؛ لاستمالة رئيس الأساقفة مارتين دي أيالا إلى دخول الإسلام. كما أكد الموريسكي شايبون وجود رجال دين في السلك الكنسي يعتنقون الإسلام سرا، وأعطى له مثالا برجل دين يدعى رولان، وهو مقرب من رئيس الأساقفة مارتين دي أيالا.

وأخيرا، فالوثيقة تلمح إلى قضيتين كانتا مثيرتين للجدل في المجتمعات الموريسكية في إسبانيا:

الأولى: التقية وتُسَمَّى أحيانًا بالتعريض أو التورية؛ وهي قول أو فعل على خلاف ما يعتقده الشخص، وذلك عند الخوف من الهلاك أو الاضطهاد أوالبطش الشديد.

وفي الدعوى يلتمس **شايبون** العذر للترجمان **دورارور** عندما رآه في القداس يشرب الخمر وقال له: " إنه يجب فعل ذلك؛ لاسترضاء الناس "، وأيضا حالة الموريسكي **شايبون** نفسها في كونه مسلما سرًّا، يمارس الشعائر الإسلامية، ولكنه أمام السلطات والكنيسة يُعَدُّ من النصارى الجدد.

الثانية: العلوم العربية وممارسة الطب، حيث حرَّمت محاكم التفتيش تلك العلوم وجرمتها واعتبرتها نوعًا من الخرافات والشعوذة والسحر، وغلظت عقوبتها لتصل إلى الحرق.

وفي الوثيقة إشارة إلى رجل موريسكي يَعْرِفُ الكثير عن الطب ويمارسه في الخفاء في وادي آش، وينصح الموريسكي **شايبون** صديقه الترجمان **بارتولومي دورادور** بالتداوي عنده بسبب حساسية ألمت بجسده كله.

ترجمة الوثيقة من القشتالية (الإسبانية القديمة) إلى العربية:

(الورقة الأولى من المخطوط)

[دون تاريخ محدد] عام ١٥٥٤م

شكوى مُقَدَّمَة مِنْ **بارتولومي دورادور** أمامَ وكيل المحكمة **بارتولومي ميرابيتي** ضد المُوريسكِي **ديجو شايبون** المُقيم في ألديري [**مملكة** غرناطة]؛ بسبب ممارسته للشعائر الإسلاميَّة.

(طمس في السطور الأولى)

قال المُوريسكِي **ديجو شايبون** عن وفاة **خوان دابالوس**:

[لوَّح] بيديه، ولم يكنْ قد رسمَ الصَّليب، لم يكن يعرف أنَّ **خوان دابالوس** قد نزعَ الصَّليب عن نفسِهِ لحظةَ موتِهِ، وقد أَخبرَ أَخَاه رئيس الأساقفة أنَّه قد خُدِعَ باتِّباع شريعةِ النَّصارى، ليُقتدى به ويصبح مثالا وعبرة، لأنَّ تلك الأشياء تُعَدُّ إلهامات من الله؛ ليرشدَهم إلى طريق الخلاص.

سألني عندما كنتُ أُلقي درسَ القدَّاس لماذَا كُنْتَ تشربُ الخمرَ؟ [1] ثمَّ أجابَ عن نفسه قائلا: كان يجب عليكَ أن تفعل؛ لاسترضاءِ للنَّاس!

ثمَّ قال لي: لَقَدْ جئتُ إليكَ لأبلغك بأنَّه يجبُ عليكَ الذهاب إلى مدينة **وادي آش** حيث سمعت أنَّ هناك مُسلمًا يَعْرفُ الكَثيرَ عَنِ الطبِّ، ومِنَ الجيد أنْ أسأله عن علاج للحساسية التي تَنْتَابُنِي فِي كلِّ جَسَدِي.

فأجبته: بأنِّي كنتُ هناك يوم الإثنين الماضي، حيثُ استدعانا الأسقف [**مارتين دي أيالا**]؛ ليخبرنا عن رغبتِهِ في الذهابِ إلى مدينة باجة.

وبعدها استفسرَ عمَّا إذا كان الأسقف [**مارتين دي أيالا**] ما زال مُصِرًّا على تعلُّم اللغة العربيَّة، فأخبرته أنَّه كَانَ يجتهدُ في تَعَلُّمِهَا. فقال لي: حاول أن تختبره؛ لمعرفة ما إذا كان الأسقف مسلمًا! وذلك بسبب وَلَعِهِ بتعلُّم اللغةِ العربيَّةِ، وكثرةِ تعامله مع السيد **رولان** الذي من الموكَّد أنَّه مسلم!

---

(١) وفقا لفلسفة العقيدة النصرانية: الخمر والخبز لهما رمزية أثناء القداس أو الوعظ؛ فالخمر رمز لدم المسيح أثناء صلبه من أجل خلاص البشرية، وأما الخبز فهو رمز لجسد المسيح.

وطلب مني أن استميلَهُ [الأسقف]، وأَنْ أَكْتُبَ له شيئًا عَنِ الإِسْلَام، فَأَجَبْتُه بأنني لن أكتبَ له شيئًا؛ لأنَّه مِنَ الضَّروري - من أجل استمالتِهِ - أن تعلمني أوَّلًا معتقدات المسلمين. فأجابني: بأنَّه سيفعل في يومٍ آخر، ثمَّ ودعني وانصرف.

(الورقة الثانية من المخطوط)

الخميس السَّادس من سبتمبر، جَاءَ هَذَا المُسلم إِلَى مَحَلِّ إِقَامتي، وشرع في الكلام قائلا: إنَّه لا يوجد أفضلُ من شريعةِ المُسلمينَ، وإنَّها هي الشَّريعةُ الحقَّةُ الَّتي حُفظت جيدًا منْ قِبَلِ مُحَمَّدٍ، وأنَّهم إنْ أذنبوا [أي المسلمون] فقد دَعَا لهم مِنْ أجلِ نَجَاتِهِم، بينما النَّصَارى ضالون ومدانون!

فقلتُ له: أخبرني بإحدى صلواتك، فأجابني: إنَّه كتبَ لي واحدة، وبها يرجو مِنَ الله أنْ يُسْمِعَني الحَقَّ، وهي كالتالي:

" اللهمَّ يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد الذي لم يلد ولم يولد، ألهمني وأعلمني دينَكَ الأقوم الَّذي لا مثله شيء إنَّك الأعز القَاهر فوق عباده الَّذي لا يفوته شيءٌ"(١).

في يوم الأحد، يوم **القديس خيروم** (٢)، والذي صَادَفَ آخرَ يوم من شهر سبتمبر، جَاءَ هذا المُسلم إلى مَنزلي، وتحدثنَا في أشياءَ كثيرةٍ، ومِنْ تلك الأشياءِ الكثيرة: أنْ

---

(١) هذه العبارة كتبت في المخطوطة باللغة العربية.

(٢) سانت جيرم هو: أحد القديسين في الديانة النصرانية، ومن آباء الكنيسة الكاثوليكية ، ولد في سلوفانيا عام ٣٤٧م وتوفي في بيت لحم ٤٢٠م ، اشتهر كمترجم -بعد تكليفه بذلك من البابا داماسوس الأول (٣٠٠م- ٣٨٤م)- للكتاب المقدس، وتعد ترجمته اليونانية والعبرية إلى اللاتينية المرجع الأساسي للكتاب المقدس في المذهب الكاثوليكي، وقد طبعت عام ١٥٤٦م ، يحتفى بذكراه في نهاية شهر سبتمبر من كل سنة (وهو اليوم العالمي للترجمة). ينظر: Juan Belda Plans (2010). Historia de la Teología. p 39

أهتدي بالقر'نِ الَّذي هو كتابٌ من عند الله وكلماته، وقد وضعه ثمَّ أنزله على مُحَمِّد، **ثم قال الآتي**:

"قرآنًا ليس بمخلوق، عربيًّا لا فيه دخلةٌ ولا خرج إلا هو كلام ربي الأعز"(١).

وقد قال لي: إنَّ الإنجيل مَا كَانَ إِلَّا كلمات من الشيطان من أجل الخداع، ولهذا فنحن النصارى مخدوعون وضالون بسببِهِ، فسألته عن الشعيرة الأساسية التي لا يفعلها أحد إلَّا بعد الوضوء، ماذا تقول في تلك الصَّلاة، فأجابني قائلا: " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ "(٢).

وأخبرني بكيفَية أداء شعيرة الصَّلاة، وكان يقول ما كتبته، وقال لي أيضًا: إنَّ يسوع هو ابن مريم ولم يكن له أبٌ، وأنَّ الله أرسلَ الملك جبريل فنفخ في مريم فحَبلت، وأنَّ يسوع هو نبيٌّ وعبدُ الله ورسوله. وأنَّه لم يمت من أجلنا، ولكنَّ اليهودَ أرَادُوا أَنْ يقتلُوه فرَحَلَ، وقد رفعه الله إلى السماء كغيره من الرسل، وأنَّه أحد عباد الله، ولكنه ليس الله ولا ابن لله. لأن الله لم يكن له ابن، ولم يلد ولم يولد، وقال أشياءَ أخرى كثيرةٌ لا أتذكرُهَا؛ لكونِها هرطقات كثيرة من هذا المسلم العاهر خادم الشيطان.

في لانتيرا - محكمة التفتيش

شعار الصليب وإمضاء الترجمان بارتولومي دورادور والمحقق بارتولومي ميرابيتي

انتهى.

(١) هذه العبارة كتبت في المخطوطة باللغة العربية.

(٢) هذه العبارة كتبت في المخطوطة باللغة العربية.

المصادر والمراجع

دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٧م.

ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى، محمد عبد الله عنان، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٣٠م.

رسالة من موريسكي غرناطي إلى ملك إسبانيا دفاعا عن اللغة العربية والتقاليد الإسلامية، محمد علي عبد الرازق زللو، مجلة ضاد، المجلد ٥، تركيا ٢٠٢٢م.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، ١٩٦٨م.

Archivo Histórico Diocesano de Guadix, caja 83, legajo 11, pieza C.

Archivo Histórico Diocesano de Guadix., carpetas 2341 (Pleitos criminales, 1529-1576) y 2367 (Pleitos ordinarios, 1550-1560).

Diccionario de Historia Eclesiástica de España, vol. I, Madrid, CSIC-Instituto Enrique Flórez, 1972.

Domínguez Ortiz, Antonio; Vincent, Bernard Historia de los moriscos. Vida y tragedia de una minoría, Madrid 1979.

GARRIDO GARCÍA, Carlos Javier: El uso de la lengua árabe como medio de evangelización-represión de los moriscos del reino de Granada. MEAH, SECCIÓN ÁRABE-ISLAM 57 (Granada - 2008), 134-137.

López, Eva Martín y otros: El Real Fisco de la Inquisición en el Archivo Histórico de Granada, III Simpósio Internacional de Estudios Inquisitorios – Alcalá de Henares, junio de 2015.

Kamen, Henry: La Inquisición Española. Una revisión histórica. Casa del libro, Barcelona, 2011.

Martínez Diez, Gonzalo: Bulario de la Inquisición Española, Madrid: complutense, España 1998.

Millán, José Martínez: La Inquisición española, Alianza editorial Madrid 2021

Rubiera Mata, María Jesús Carlos V, los moriscos y el Islam, Editores: Universidad de Alicante, 2001.

Real Academia de la Historia , verse: www.rah.es

Torres Palomo, María Paz. Bartolomé Dorador y el árabe, universidad de Granada 1971.

صورة للمخطوط الأصلي المحفوظ في الأرشيف التاريخي بإبراشية مدينة وادي آش

